بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الإسم الرباعي : سعدية سعيد علي البيشي . **كلية :** الشريعة والدراسات الإسلامية **قسم :** الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير **في تخصص :** تاريخ إسلامي حديث

عنوان الأطروح : « الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/١/٨هـ - بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

والله الموفق ...،

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الإسم : د/ عبد الجواد صابر اسماعيل	الإسم : د/ خلف بن دبلان الوذيناني	الإسم : د/ السعيد رزق حجاج
التوقيع : عبد الجواد	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد ...،

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الإسم : أ.د/ يوسف بن علي بن رابع الثقفي

التوقيع : ....

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي الحديث

إعداد الطالبة
سعدية سعيد علي البيشي
إشراف
الأستاذ الدكتور / عبد الجواد صابر اسماعيل

العام الدراسي
١٤١٨هـ/١٩٩٧م

ملخص البحث

عنوان البحث : الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو

اهتمت الدولة العثمانية بركوب البحر بعد أن تنبهت الى أهميته وتبينت دوره فى العمليات الحربية البحرية ، خاصة بعد أن تم فتح القسطنطينية ، وتوفر البيئة البحرية من خلال ترساناتها ، ثم توفر العاملين فى بناء السفن ، ومواد بنائها . وقد كانت الدولة فى بداية تكوينها تخوض حروباً جهادية فى البحر ، الا أن فتح القسطنطينية فى عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م تطلب خوض عمليات جهادية فقامت الدولة العثمانية بتكثيف جهودها الحربية فى البحر مثل ما كانت تقوم به فى البر ، وقامت بصد الحركات الصليبية ضد المدن الإسلامية فى الشمال الأفريقي ، وفى غيره من المناطق المجاورة لأعداء المسلمين .

وكانت معركة ليبانتو التاريخية والتى كان من مقدماتها فتح العثمانيين لقبرص التى تمركز فيها الصليبيون وأخذوا يشنون غاراتهم على السفن الاسلامية فأرادت الدولة العثمانية تأمين المسلمين فى البحر وحمايتهم من تلك الغارات ، وكان الرد المسيحي نتيجة لفتح العثمانيين لجزيرة قبرص هو التجمع الصليبي ضد الدولة العثمانية لشن حرب عوان عليها وذلك فى موقعة ليبانتو التى يدور حولها هذا البحث .

أيضاً أوضح هذا البحث جغرافية المعركة واستعدادات كلاً من الدولة العثمانية والدول الأوروبية لخوض المعركة . التى انتهت بانتصار دول الحلف الأوروبية على الدولة العثمانية ، كما بين البحث أن هذا الانتصار كانت آثاره مؤقته ولم يكن نصراً حاسماً إذ هب العثمانيون بعد ذلك أقوى مما كانوا وواصلوا جهادهم .

كما وضح هذا البحث النتائج البعيدة المدى لمعركة ليبانتو والتى من أبرزها إشتداد الإضطهاد الصليبي الأسباني لمسلمي شبه الجزيرة الإيبيرية نتيجة لهزيمة العثمانيين ، ثم الإحتلال الأسباني لتونس . إلا أن الدولة العثمانية تمكنت من استردادها وطرد الأسبان وحلفائهم منها وقيام النيابات الثلاث فى منطقة الشمال الإفريقي والتى اشتهرت بالأوجاقات العثمانية وكان لهذه الأوجاقات الدور المتميز فى مجابهة أعداء المسلمين وعدم اتاحة الفرصة لهم بالعودة الى استعمار الشمال الأفريقي مرة أخرى .

كما جاء فى هذا البحث أبرز النتائج التى توصل اليها البحث .

الطالبة	المشرف	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية	يعتمد عميد الكلية
سعدية سعيد على البيشي	د/ عبد الجواد صابر اسماعيل	د/ يوسف [illegible] أبو [illegible]	د /
التوقيع /	التوقيع /	التوقيع	التوقيع /

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . . . . وبعد :

فإن الدولة العثمانية منذ قيامها في الأناضول حملت على عاتقها فريضة الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ، لذلك كانت خطة الدولة العثمانية الاتجاه إلى أوربا وفتح بلدانها ونشر الإسلام فيها ، والجدير بالذكر أن جهاد الدولة العثمانية لم يقتصر على الميادين البرية ، بل تجاوزها إلى الميادين البحرية . إذ استطاع العثمانيون أن يسيطروا على شرق البحر المتوسط . ويتضح ذلك من خلال فتحهم لأهم جزره (رودس ، وقاشوط وجلة وقبرص) كما استطاع العثمانيون أن يقللوا من نشاط القرصنة الأوربية في تلك المناطق . ولاشك أن موقفهم الممتاز في البحر المتوسط سهل لهم الإتصال بالشمال الأفريقي ، الأمر الذي مكنهم من السيطرة على الجزء الغربي من حوض البحر المتوسط أيضاً . من هنا ظهر دور البحرية الإسلامية العثمانية الجهادي ، وأثره في التفوق الدولي الذي أحرزته الدولة العثمانية وذلك من خلال تهديدها للسواحل الأسبانية ، وللجيوب الصليبية في المغرب العربي .

وعندما أدركت أوروبا تعاظم قوة الدولة العثمانية في الشمال الأفريقي وفي الحوض الغربي للبحر المتوسط دخلت في كثير من الأحلاف العسكرية ضد الدولة العثمانية ، أهمها الحلف الذي عقده البابا بيوس الخامس في أوائل سنة ٩٧٩ هـ / مايو ١٥٧١م . وقد تعهدت دول هذا الحلف (البندقية ، أسبانيا ،

مالطة ، جنوة ، ساڤوي ، صقلية ، ناپولي ، پارما) بشن هجوم بحري ضد العثمانيين ، وتحقق لها ذلك من خلال معركة ليبانتو الشهيرة التي يدور حولها هذا البحث ، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب أهمها : إبراز الدور الجهادي البحري الذي قامت به الدولة العثمانية ، وكيفية مجاراتها لمتطلبات الدفاع الأساسية في هذا العصر ، والانتقال بفتوحاتها من البر إلى البحر منذ مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وعلى الرغم من أن دول التحالف الأوروبي حققت انتصاراً على الدولة العثمانية في معركة ليبانتو سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م إلا أن هذا الانتصار لم يكن سوى انتصار محدود النتيجة ، لم تجن منه هذه الدول سوى الابتهاج والدعاية والفرح المؤقت ولَم تستغله الاستغلال الصحيح .

وعلى الجانب العثماني كان الموقف يسير في مساره السليم إذ استفاد العثمانيون من درس الهزيمة ، ولم يضيعوا دقيقة واحدة في التباكي أو الندم ، فأنشأوا الأساطيل التي عوضت خساراتهم في هذه المعركة ، وحافظت على تفوقهم في البحار ورسخوا وجودهم في جزيرة قبرص وبعض جزر البحر المتوسط العظمى ، وواصلوا مسيرة جهادهم البري والبحري في نسق موحد يحدوه التعاون والقوة والحماس ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع البحث (**الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو**) .

وقد قسمت الرسالة إلى أربعة فصول وخاتمة ، وسبق ذلك تمهيد تحدثت فيه عن اهتمام الدولة الإسلامية بركوب البحر ، وعن نشأة البحرية العثمانية وتطورها حتى مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي .

أما الفصل الأول (الجهاد البحري العثماني ضد المخططات الصليبية في البحر المتوسط منذ مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وحتى معركة

ليبانتو) فقد تناولت فيه التحركات الصليبية ضد المدن الإسلامية في الشمال الأفريقي، ثم المواجهة البحرية العثمانية ضد هذه التحركات ، واجبار من رسخ أقدامه من الأسبان الصليبيين في بعض مدن الشمال الأفريقي على الإنسحاب منها .

وأما الفصل الثاني (مقدمات معركة ليبانتو) ، فقد تحدثت فيه عن الفتح العثماني بجزيرة قبرص في عام ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠ م ، والتجمع الصليبي ضد الدولة العثمانية في عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م ومارافق ذلك من محادثات ومراسلات بين الدول وموقف البابوية في روما .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن (معركة ليبانتو) ، فبينت جغرافية الموقع واستعدادات الدولة العثمانية البحرية للمعركة ، واستعدادات الدول الأوروبية للمعركة ، ثم سير المعركة وانتهاؤها بانتصار الدول الأوروبية .

ثم انتقلت إلى الفصل الرابع فتحدثت فيه عن (**نتائج معركة ليبانتو**) وأبرز هذه النتائج اشتداد الاضطهاد الصليبي الأسباني لمسلمي شبه الجزيرة الإيبرية ، والاحتلال الأسباني لتونس في سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م .. ثم استعادة الدولة العثمانية لتونس في سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م ، ثم قيام النيابات العثمانية الثلاث (تونس ، الجزائر، طرابلس) .

أما الخاتمة ، فقد ضمنتها أهم ماتوصل إليه البحث من نتائج تاريخية سواء في الدولة العثمانية وفي الدول الأوروبية وفي شمال أفريقية .

ولعل أهم المشكلات التي واجهت البحث في بداية العمل هي : **قلة المصادر والمراجع المتاحة** التي تعالج فكرة الرسالة ، وتدعمها ، وتغطي جوانب خطتها ، مما تطلب مني القيام بعدة سفريات إلى الخارج بحثاً عن تلك المصادر والمراجع .

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها : (حقائق الأخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك / وتاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي / وحرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ - ١٧٩٢م لـ أحمد توفيق مدني / وتاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي لمحمد خير فارس / والبندقية جمهورية أرستقراطية لشارل ديل ، والأندلسيون المواركه / دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة لعادل سعيد بشتاوي / و . .

/ Fernand Braudel : The Mediterraneanand the Mediterranean warld in the age of philip II .

/ Stan Ford show : History of the ottoman empire and Modern Turkey .

/ M. A. Cook : Ahistory of the Ottoman empire to 1730.

/ A.J. Grant : Ahistory of Europ from 1494 to 1610.

وأخيراً أرجو أن تكون رسالتي جزءً من خطة علمية لتغطية جوانب هامة في التاريخ الإسلامي الحديث ، تلك الخطة التي اضطلع بها قسم التاريخ الإسلامي وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، وقد بدا لي من إطلاعي على كثير من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية إن الذين كتبوا وأرخوا لها كانت كتاباتهم مسايرة للمنهج الذي اتبعه سائر مؤرخي التاريخ الاسلامي الذين اهتموا بتسجيل كل شيء وبأسلوب موائم لزمنهم ، وهذا وإن أثرى علم التاريخ إلا أنه لايمكن أن يقدم لمثقفي عصرنا معلومات تثري موضوعاً واحداً محدد المعالم ، وتخدم الأفكار التي

تدور حوله ، فأصبحت مهمة الباحثين في هذا العصر تحديد موضوع تاريخي وخدمة الأفكار التي تدور حوله بما يتواءم ومنهج البحث العلمي التاريخي المعروف ، وأسلوب العصر . لذلك كتبت رسالتي هذه في ضوء هذه الأسس العلمية ، فإن كنت قد وفقت وهذا ماأرجوه فحمداً لله على توفيقه ، ولا أزعم أني قد بلغت في الأمر غايته فالكمال لله سبحانه وتعالى وحده . . والعلم فضل من الله يؤتيه من يشاء . . ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ .

وفي هذه المناسبة لايفوتني أن أنوه بجهود كل من قدم إليَّ العون والمساعدة في هذا الميدان ، وفي مقدمتهم **والدي ووالدتي وأخي** ، الذين شجعوني على مواصلة تحصيلي العلمي وذللوا جميع الصعاب التي واجهتني .

كما أخص بالذكر والشكر المشرف السابق الدكتور/ **نبيل عبد الحي رضوان** الذي أشرف على وضع خطة الرسالة ، و منحي من وقته الكثير في سبيل مناقشة الكثير من المواضيع ، حتى استقر الرأي الأخير على هذا الموضوع ، كما أمدني بكثير من الكتب التي غطت أجزاء كبيرة من الرسالة ، كما لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور / **عبد الجواد اسماعيل صابر** الذي واصل بي بقية المسيرة ، وغمرني بارشاداته العلمية وتوجيهاته السديدة ، التي أفادت البحث كثيراً ، وأضفت عليه طابعاً مميزاً ، وأبرزته إلى الوجود .

كما أشكر **جامعة أم القرى ، والمسئولين فيها** والذين سهلوا لي كثير من الصعوبات وبخاصة قسم الدراسات العليا التاريخية ، رئيسه ، وأساتذته ، كما أشكر **سكرتير الدراسات العليا التاريخية** والذي يؤدي خدماته الجيدة لطلبة وطالبات الدراسات العليا في صمت وكرم أخلاق .

والله ولي التوفيق ،،،،،،

التمهيد

نبذة حول تاريخ البحرية العثمانية
نشأتها، وتطورها
حتى مطلع القرن العاشر الهجري

التمهيد :

كانت الفتوحات الإسلامية في البداية برية بسبب ماافتضته الضرورة الحربية في تلك الفترة ، ولكن سرعان ماتنبهت الدولة الاسلامية إلى أهمية البحر ، وتبينت ضرورة دوره في عملياتها الحربية ، وكان مما دفعها إلى التحول نحو البحر حاجتها إلى الدفاع عن أملاكها الجديدة [١] فلما أتم عمرو بن العاص فتح مصر كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطاباً طلب منه أن يعلمه بوصف البحر وأحواله ، فكتب له عمرو بن العاص الجواب ، وقال فيه : (اعلم ياأمير المؤمنين أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف كدود على عود)[٢] ، فمنع عمر بن الخطاب المسلمين من ركوب البحر حفاظاً على أرواح المسلمين .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ركب المسلمون البحر في سنة ٣٤هـ - ٦٥٤م ، فاشتبكوا مع الروم في معركة حربية [٣] وتم النصر فيها للمسلمين ، وغنموا مغانم كثيرة ، وكان ذلك في ولاية عبد الله بن أبي السرح لمصر .[٤]

---

١ - أرشيبالد - ر - لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م) - ترجمة أحمد عيسى مراجعة وتقديم : محمد شفيق غربال - القاهرة - طبعة ١٩٦٠م ص. ٢٠ .

٢ - اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار - المطبعة الأميرية ببولاق - مصر الطبعة الأولى ١٣١٢هـ - الجزء الأول - ص ١٤ .

٣ - هي ذات الصواري وقد سميت بهذا الاسم لكثرة صواري السفن التي التحمت في القتال ، وتعرف في المصادر الأوروبية بموقعة فونيكة Phenicus لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكه غربي مدينة الاسكندرية وكانت بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح - سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية - نشر دار المجتمع العلمي بجدة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م - ص ٨٤ .

٤ - اسماعيل سرهنك : المرجع السابق - الجزء الأول - ص ١٥ .

أما البحرية الإسلامية في العصر الأموي ـ فقد كانت مكونة من ثلاثة أساطيل ـ هي أسطول مصر ، وأسطول سورية ، وأسطول شمال أفريقيا بالاضافة إلى وحدة بحرية صغيرة كانت ترابط في البحر الأحمر لحراسته . [١] غير إن رؤساءها وخدمتها كان معظمهم من النصارى لمعرفتهم بفنون البحر ، لأن جند الدولة الإسلامية لم يكونوا في أول أمرهم قد اعتادوا ركوب البحر . [٢]

أما العصر العباسي فقد وضح فيه الجانب البحري في الصراع الدموي الذي نشب بين البيزنطيين والعباسيين . ففي خلافة هارون الرشيد عهد إلى (حميد بن معيوف) بمهمة فتح سواحل بحر الروم وفتح جزيرتي رودس وقبرص ، واستمر النشاط البحري العباسي بعد هارون الرشيد حيث تمكن العباسيون من القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر المتوسط . [٣]

ومن ثم انتقل الدفاع البحري إلى الدول المغربية والأندلسية ، فقاموا بحماية حوض البحر الأوسط والغربي ، ثم تحويلة إلى بحيرتين إسلاميتين . [٤]

وقد ورث المماليك الأيوبيين في مصر والشام ـ نتيجة للتدهور السياسي الذي حل بدولتهم الاهتمام بالأسطول الإسلامي ، كما اهتموا بتنمية تجارتهم ، مما جعل دولتهم مطمع الأوروبيين . [٥]

---

١ ـ سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، ص ٨٧ .

٢ ـ اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ـ الجزء الأول ـ ص ١٥ .

٣ ـ حسن أحمد محمود ، أحمد ابراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ـ الطبعة الخامسة ـ ص ١٦٧ .

٤ ـ حسين مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ـ الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، الطبعة الأولى ـ ص ٦٦ .

٥ ـ عبد الله سعيد الغامدي ـ جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، مكة المكرمة ، طبعة ١٤١٠ هـ ص ص ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

أما الأتراك العثمانيون الذين دفعت بهم أواسط آسيا إلى آسيا الصغرى فانهم بعد أن استقروا في الأناضول بدأوا يكتسبون الكثير من حضارات الشعوب التي أخضعوها لحكمهم إلا أنهم لم ينصهروا فيها ، وبالتالي حافظوا على شخصيتهم ، وألفوا طبقة جديدة هي « الطبقة العسكرية » التي تألف منها الجيش العثماني الذي أصبح عماد الدولة وقاعدتها ، ولم يخرج العثمانيون عن القاعدة فقد كانوا عماد الجيش فالسلطان قائد حرب وقتال . [١]

ثم خاضت الدولة العثمانية حروباً برية في شتى الميادين ، حتى بلغت جيوشها السواحل فتنبهت إلى دور البحر في جهادها وأدركت أنه لابد لها من مجاراة العصر فاهتمت بالبحرية فأنشأت السفن والأساطيل ، وحشدت لها الجيوش : ففي سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م وقعت نيقية [٢] في يد السلطان أورخان بن عثمان ، وتبعها في ٧٣٧-٧٣٨هـ/ ١٣٣٧ - ١٣٣٨م أزميد- (نيقوميديا) [٣] ومن ثم صار الطريق إلى البسفور مفتوحاً أمام جيوش الدولة العثمانية . كما سقطت غاليبولي [٤] والتي تعتبر أول قاعدة عثمانية في أوروبا ، ومنها انطلقت

---

١ - نبيل عبد الحي رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ، نشر دار الثقافة للطباعة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ .
عبد اللطيف عبد الله بن دهيش - قيام الدولة العثمانية ، نشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ص ٨ .

٢ - تقع نيقية في مركز العاصمة الثانية للدولة البيزنطية وتعرف الآن بمدينة أزنك (Iznik) . انظر عبد اللطيف بن دهيش : قيام الدولة العثمانية . ص ٢٩ .

٣ - مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميدس) ، كانت تختاً لملكة (بوثنيا) ، تقع على بحر مرمرة ، ويدخل ميناءها أكبر السفن ، وبها مياه معدنية ومعامل للحرير .
محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق الدكتور إحسان حقي ، دار النفائس - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ، ص ١١٨ .

٤ - تقع غاليبولي على ضفة بوغاز الدردنيل وهو الممر الوحيد بين بحار أوروبا وبحر مرمرة ، وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوروبي وتبعد عن مدينة أدرنة بـ ١٤٠ كيلو متر - انظر : محمد فريد بك المحامي - المرجع السابق - ص ١٢٦ .

عمليات الفتح العثماني في البلقان .[١]

ونلاحظ مدى تحول الدولة العثمانية في حربها من البر إلى البحر كلما صارت في مواجهة مع دول بحرية ، فاضطرت إلى أن تأقلم قوتها لتحقق إستراتيجيتها وهي اختراق أوروبا من شرقها إلى غربها لاخضاعها ونشر الاسلام فيها .[٢]

وقد كان العثمانيون يعتمدون أثناء فتوحاتهم في شبه جزيرة البلقان على مراكب مستأجرة من اليونان . فما أن أتم أورخان تعزيز فتوحه حتى أرسل ابنه سليمان إلى الشاطيء الأوروبي حيث استولى على حصن زمبه Zampe .[٣]

وقد بلغت فتوحات السلطان مراد الأول أوجها عندما دخل مدينة أدرنه[٤] في سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م وذلك نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز إذ أنها تقع على ملتقى

---

١ - ابراهيم بك حليم : التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية ، مطبعة ديوان عموم الأوقاف - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م - ص ٣٧ .

- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، طبعة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م - ص ٢١ .

- محمد فؤاد كوبرلي : قيام الدولة العثمانية - ترجمة أحمد السعيد سليمان - القاهرة - دار الكتاب العربي ١٩٦٧م ص ص ١٨١ ، ١٨٢

- برنارد لويس : استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية : ترجمة سيد رضوان علي - الدار السعودية للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ص ٣٦ .

٢ - نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، ص ٢٦ .

٣ - أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق - القاهرة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ص ٤٧ .

زمبه Zampe : حصن يقع على مضيق الدردنيل ، انظر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، الزهراء للإعلام العربي - مصر - ص ٣٤٥ .

٤ - أدرنه : مدينة تقع في تراقيا واسمها بالرومية (ادريانابوليس نسبة للإمبراطور أدريان الرومي انظر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٤٥ ، ومحمد فريد بك ، الدولة العثمانية ، ص ١٢٩ .

ثلاثة أنهر كما أنها تشرف على طرق وممرات القوافل العسكرية . ثم تحرك السلطان مراد الأول بجيوشه عبر نهر ماريتزا وفتح فيلبه . [١]

وقد أعقب فتح غاليبولي فتح أبسالا [٢] ورودستو [٣] ، ففي عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م وقع القتال بين العثمانيين وبين تحالف مسيحيّي الشمال على ضفاف نهر ماريتزا بالقرب من أدرنة ، وكان مسيحيو الشمال يودُّون القضاء على الوجود العثماني في أوروبا الشرقية إلا أن الجيش العثماني أوقع الهزيمة بجيش التحالف المسيحي البلقاني المدعم بالمتطوعين . [٤]

وفي عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م اتجه السلطان بايزيد الأول بجيشه نحو الجنوب ، وفتح أعظم موانى الأناضول المطلة على بحر إيجه آيدين ، ومنتشه وصاروخان ، ثم واصل السير بجيشه إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

وفي عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م فتح السلطان بايزيد الأول سلانيك [٥]، وشبه جزيرة هالكيدكيا [٦] ويكي شهر [٧]، كما ضم إمارتين الأولى برهان الدين والتي

١ ـ أنيس الدولة العثمانية ، ص ٧٩ ، نبيل رضوان : جهود العثمانيين ، ص ص ٩١ – ٩٢ .
وفيلبه : اسمها بالرومية فيلبوبوليس Philippopolis ، أي مدينة فيليب نسبة لمؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر ، وتقع إلى الجنوب الشرقي من صوفيا ، بين صوفيا وأدرنه على خط واحد ، انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ .

٢ ـ تقع أبسالا في شمال مضيق الدردنيل في الجانب الأوروبي ـ انظر : محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ ص ١٢٧ .

٣ ـ رودستو Rodosto ويسميها الأتراك تكر طاغ أو تكفورطاغ وتقع على بحر مرمرة من الجانب الغربي ـ محمد فريد بك المحامي ـ المرجع السابق ـ ص ١٢٧ .

٤ ـ أنيس ـ الدولة العثمانية ـ ص ٤٨ .

٥ ـ سلانيك : مدينة روميه قديمة ، تقع في جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل .
انظر محمد فريد بك ، المرجع السابق ـ ص ١٣٣ .

٦ ـ يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات فيصل للتمويل تركيا ـ استنبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
هالكيدكيا : إحدى جزر اليونان Philips Modern School Atlas P .39 .

٧ ـ تقع في الشمال الشرقي من بورسه (بورصه) .

انظر : محمد فريد بك تاريخ الدولة العليه العثمانية ،ص ١١٨ وابراهيم بك حليم ، التحفة الحلمية ،ص٤٧ .

كانت إمارة في شمال شرقي لقرمان على طول نهر هاليز وتضم قيصرية [١] وسيواس[٢]، والثانية قسطموني [٣] ، وكانت حائلاً بين الإمارة العثمانية في اسيا الصغرى والبحر الأسود[٤] ثم واصل السلطان بايزيد الأول عملياته العسكرية في أوروبا فحاصر القسطنطينية عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م وفتح تسالي [٥] وأرسل حملة إلى المورة[٦] ، ثم قاد حملة كبرى في عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م توجه بها إلى مدينة سالونيك The Salonique عاصمة مقدونيا البحرية وفتحها .

كما استطاع ضم بلغاريا التي أصبحت ولاية عثمانية شأنها كبقية الولايات[٧].

---

١ ـ قيصرية Kaysari : تقع في وسط الأناضول بين أنقرة وملاطية . انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه العثمانية ، ص ١٩٧ .

٢ ـ سيواس : مدينة تقع في شمال شرق تركيا . انظر : محمد فريد بك ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

٣ ـ قسطموني : تقع في شمال الأناضول ، على بعد مائة كم عن البحر الأسود ، انظر : محمد فريد بك ـ المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

٤ ـ انيس ، الدولة العثمانية ، ص ٣٧ .

٥ ـ تسالي أو تساليا ، إقليم يقع في وسط اليونان إلى الجنوب الغربي من سلانيك . انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه ، ص ١٥١ .

٦ ـ مورة : هي شبه الجزيرة الكبيرة التي تشكل الجزء الجنوبي من بلاد اليونان . انظر : محمد فريد بك ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

٧ ـ ابراهيم حسن شحاته ، أطوار العلاقات المغربية العثمانية ـ قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (١٥١٠ ـ ١٩٤٧) – منشأة المعارف ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م ص ٩١ .

سعيد أحمد برجاوي ، الامبراطورية العثمانية ، تاريخها السياسي والعسكري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٣م ، ص ٤١ .

وفي عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م وصل بفتوحاته حتى قلعة نيكوبولي[1] Nikopol المطلة على الضفة الجنوبية لنهر الطونة . ثم توالت فتوحاته في عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م ، ودخل أثينا[2] ، وانتقل إلى مورة ، وأخضع هذه المنطقة في عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م . ثم عاد إلى آسيا الصغرى فضم مناطق من سواحل البحر الأسود . وبعد ذلك اتجه بجيوشه إلى أوروبا حيث قام بحصار القسطنطينية وذلك في عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م غير أن هجوم تيمورلنك على أراضي الدولة العثمانية في آسيا الصغرى أفسد على بايزيد مخططه إذ انتصر عليه في معركة أنقرة الشهيرة عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م . [3]

وعلى الرغم من ذلك فانه قد تحقق للقوة البحرية العثمانية التفوق البحري في بحر إيجه ، إذ استطاعت الدولة العثمانية أن يستفيدوا من البيئة الموجودة في سواحلها ، وأن تستفيد في هذا المجال من شعوب لها خبرتها ، ومن مقوماتها بناء الأساطيل وتسييرها . أما الأعمال البحرية التي قام بها السلطان محمد جلبي بن بايزيد فأعظمها أنه أعد أسطولاً مكوناً من اثنتين وأربعين سفينة ، ثم وجهه إلى بعض الجزر التابعة للبندقية (آغريبوز ـ وكيكلاد)[4] إلا أن حملته هذه منيت بالفشل .

وفي عام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م استصحب السلطان محمد جلبي الوحدات البحرية المرسلة إليه من ولايتي (قره مان وجاندار) التابعتين للدولة ، ثم عبر نهر الطونة نحو الشمال ، ودخل رومانيا ، وهناك شيد قلعتين هما (تورنو ويركوي) داخل رومانيا في شمال الطونه .

---

١ ـ نيكوبولي : مدينة في شمال بلغاريا ، على حدود رومانيا . انظر : محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العليه ص ١٣٥ .

٢ ـ أثينا : عاصمة اليونان . انظر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٤٥ .

٣ ـ يلماز ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٠٩ .

٤ ـ اغريبوز وكيكلاد ، جزيرتين تقعان شمال غرب جزر الدودكايز الواقعة غرب الأناضول . Pilips Modern School Atlas 39-41.

وما أن تولى مراد الثاني السلطنه في سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م حتى اهتم بشئون الدولة بصفة عامة وبالبحر على وجه الخصوص ، فاتجه بأساطيله في عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م إلى البحر الأبيض المتوسط وقضى بصورة نهائية على إمارة منتشه، وآيدين ، وتكه [١] .

كما اهتم السلطان مراد الثاني باعادة ماانفصل من البلاد بأوروبا بعد موت جده السلطان بايزيد الأول ، فابتدأ بمحاربة جيوش المجر ، وكانت نتيجة هذه الحروب أنه تمكن من فتح مدينة (كولمباز) [٢] الواقعة على شاطيء نهر الدانوب الأيمن (الطونه)، كما تمكن من إلزام ملك المجر بالتوقيع على معاهدة تقضي عليه بالتخلي عن البلاد المجرية الواقعة على الشاطي الأيمن لنهر الدانوب بحيث يكون نهر الدانوب فاصلاً بين أملاك الدولة العثمانية وبين المجر . [٣]

وفي سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م أعاد السلطان مراد الثاني فتح مدينة سلانيك بشكل نهائي [٤] غير أنه في عام ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م تشكلت في شمال نهر الدانوب كتلة كاثوليكية معادية للأتراك العثمانيين وكانت هذه الكتلة تضم إمارة موالدافيا (البغدان)[٥] التي كانت تحت سيادتها وتمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود [٦]

---

١ ـ إمارة منتشه وآيدين وتكه تقع في جنوب الأناضول . انظر حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ص ٣٤٥ .

٢ ـ كولمباز هي Kucevo كوتشيفو ، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بلغراد . انظر : محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٤ .

٣ ـ المرجع السابق ـ ص ١٥٤ .

٤ ـ يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٢ .

ـ محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٥٥ .

٥ ـ البغدان : هي المنطقة الشرقية من رومانيا المتاخمة لحدود الاتحاد السوفيتي والكائنة بين نهري بروت Prut وسيرت Siret ، انظر محمد فريد بك ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٣ .

٦ ـ يلماز ـ تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وفي هذا العام خرج أمير الصرب (جورج برنكوفتش على الدولة العثمانية فعاقبه السلطان مراد الثاني بفتح مدينة (سمندرية) [١] بالقرب من مدينة بلغراد عاصمة الصرب ، ثم حاصر السلطان مراد بعد ذلك بلغراد لكنه لم يتمكن من فتحها لقوة استحكاماتها ورباطة جنودها . [٢]

ثم قام السلطان مراد الثاني بحملتين على شبه جزيرة المورة ، فكانت الحملة الأولى في عام ٨٤٣ـ ٨٤٤هـ/ ١٤٣٩ ـ ١٤٤٠م ، والحملة الثانية في عام ٨٥٠ـ ٨٥١هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٤٤٧م ، فحاصر في ٢٧ من نوفمبر ١٤٤٦م قلعة كورينتوس Korinthos واستولى عليها في ١٠ من ديسمبر ١٤٤٦م ثم دخل شبه الجزيرة واحتل باتراس[٣] ثم خاض السلطان مراد الثاني بعد ذلك عدداً من الحروب هزمت فيها جيوشه ، فتنازل عن عرشه لابنه محمد ، وفضل العزلة ، لكنه اضطر إلى العودة للحكم عندما علم بإعداد أوروبا حملة صليبية كبرى ضد العثمانيين ، فأراد السلطان مراد العبور إلى غاليبولي لملاقاة العدو ، لكنه وجد أن سفن الحلفاء سيطرت على المدخل المؤدي إليها ، فاضطر إلى العبور من البحر الأسود ، وتلاقى مع الجيوش الصليبية أمام مدينة (وارنه) على سواحل البحر الأسود في شهر رجب ٨٤٨ هـ/ نوفمبر ١٤٤٤م وانتهت هذه الموقعة بانتصار العثمانيين وتمزق الحملة الصليبية . [٤]

---

١ ـ سمندريه : معناها (القديس اندريا) وهي مدينة واقعة على نهر الدانوب تبعد ٤٥ كيلو متر عن بلغراد عاصمة الصرب ولها أهمية حربية عظمى ، انظر : محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥٥ .

٢ ـ محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ـ ص ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

٣ ـ باتراس : Patras مدينة تقع في شمال شبه جزيرة المورة إلى الغرب وتطل على خليج باتراس الذي سمى باسمها . انظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ١٨٥ ، ٢١٩ .

يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٢٨ .

٤ ـ نبيل رضوان ، القوة العثمانية بين البر والبحر ـ ص ٥٠ .

يتضح لنا مما تقدم أن الدولة العثمانية لم تتجه بأنظارها إلى فكرة إنشاء الأساطيل قبل بايزيد الأول وذلك لأن أملاكها بالرغم من سعتها كانت تشمل عدداً قليلاً من المدن الساحلية ، فلما سقطت في أيديهم الدويلات التركية غير العثمانية[١] في عهد بايزيد الأول اتجهت أنظارهم إلى أهمية انشاء الأساطيل ولكن عطل هذا المشروع غارة تيمورلنك سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م ، وكان من الطبيعي أن يفكر العثمانيون في إنشاء الأساطيل والتوسع فيها بعد انتهاء آثار هذه الغارة على ممالكهم .

ومن المعلوم أن مدينة القسطنطينية كانت قبل الفتح العثماني عاصمة الامبراطورية البيزنطية ولهذه المدينة تاريخها القديم والوسيط الحديث ، بالاضافة إلى أنها كانت تحتوي على أقدم وأكبر دور لصناعة السفن في العالم آنذاك ، لأن الدولة البيزنطية كانت من أعرق الدول في البحرية بحكم موقعها الجغرافي الممتاز على عدد من البحار والمضايق ، وبحكم موقع عاصمتها الاستراتيجي الفذ ، لذلك أدرك السلاطين العثمانيون أهمية تلك المدينة ، بالاضافة إلى أن القسطنطينية كانت تأوي الخارجين على الدولة العثمانية من الأمراء العثمانيين ، ثم تهدد السلاطين العثمانيين بهم ، فضلاً على أن القسطنطينية كانت تسيطر على الطريق الذي يصل بين الجزء الآسيوي والجزء الأوروبي وبإمكانها قطعه وعرقلته في أي وقت تشاء .

بعد أن ثبَّت السلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني قواعد حكمه في آسيا وأوروبا أصبح عليه مواصلة نهج آبائه ، وأن يحقق أمل الأمة الإسلامية بفتح القسطنطينية ، فحول مدينة أدرنة عاصمة ملكه إلى مصنع كبير للأسلحة ، وجعلها مركزاً لتجمع الجيوش العثمانية ، ثم قام ببناء دار السعادة فيها لسبك المدافع وصنع الأسلحة كما جعلها مركزاً لتموين الجند[٢] .

---

١ ـ لما سقطت دولة السلاجقة تجزأت أملاكهم في بلاد الأناضول إلى عشر إمارات صغيرة وهي [قره سي ، وصاروخان ، وآيدين ، وتكه ، والحميد والقرمان وكرميان وقسطموني ومنتشا وقونيه ثم ضمت إلى مملكة ال عثمان .

أنظر : محمد فريد بك ص ١١٥ ؛ جـ٢

٢- نبيل رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ـ ص ٦٠ .

وكان الهم الأكبر للسلطان محمد الثاني هو القضاء على الدولة البيزنطية ، فلذلك رأى أن من واجباته السيطرة على القسطنطينية وإحكام الرقابة على السفن المارة من مضيق البسفور، وإحكام السيطرة عليه ، فلذلك شيد على مضيق البسفور في الساحل الأوروبي قلعة (روملي حصار) والتي أطلق عليها (بوغازكسن حصار) أي القلعة قاطعة البوغاز ، لأنها كانت في مواجهة القلعة التي شيدها السلطان بايزيد الأول على الشاطيء الآسيوي المسماة (أناضولي حصار) والمعروفة باسم (كوزل حصار) أي القلعة الجميلة . [1]

ولما بدأ السلطان محمد الفاتح بفتح القسطنطينية شرع في مهاجمة الأسوار الغربية والتي كانت تمتد من القرن الذهبي إلى بحر مرمرة ، وأدرك أنه على الرغم من ضخامة مدافعه وقوتها فإنه لايستطيع أن يتغلب على دفاعاتها وذلك لمناعتها وتعددها في المكان الواحد وقوة استحكاماتها ، فقرر أن يهاجمها من أضعف جهاتها وهي الجهة المطلة على القرن الذهبي ، وكان البيزنطيون قد تنبهوا واحتاطوا لذلك بمد سلسلة عظيمة على مدخل القرن الذهبي حتى لاتدخله السفن العثمانية وتهاجم الأسوار من تلك الجهة ، فلم يضعف ذلك من عزيمة العثمانيين ، وإنما تغلبوا على ذلك بنقل سفنهم إلى القرن الذهبي بطريقة فنية عجيبة عُدت من عجائب التاريخ ، وكان السلطان محمد الفاتح في الوقت نفسه يهاجم المدينة من جهاتها

---

١ ـ عبد السلام عبد العزيز فهمي ، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، دار العلم ـ بيروت الطبعة الثالثة ، ص ٧٣ .

ـ أنيس ، الدولة العثمانية ، ص ص ٥٤ ، ٥٥ .

ـ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٦٦ .

ـ يلمازا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣١ .

ـ نبيل رضوان : القوة العثمانية ـ ص ٦٠ .

- Halilinal cik: The Ottoman Empire . the classical Age 1300 - 1600
Weidn feldan Nicolson , London (p,23).

الأخرى ويدكها بالمدافع ليضلل حامياتها ، ثم اشتركت السفن العثمانية والجيش البري في ضرب الأسوار فلم تَقْوَ على إحتمال النيران ، ثم حمل العثمانيون على المدينة حملة صادقة ، فدخل الجنود العثمانيون المدينة بعد قتال مرير وسيطروا عليها وحطموا جيوب المقاومة ، ولم يكن فتح القسطنطينية أمراً هيناً بالنسبة للعثمانيين فقد بذلوا فيه ضحايا ومجهودات عظيمة إلى أن تمكنوا من دخولها في أواخر عام ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م .(١)

وقد اهتمت الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية بانشاء دور صناعة وبناء السفن وبعد مدة قصيرة أمكنها تهديد جمهورية البندقية ذات النفوذ القوي والشهرة البحرية ، فتمكن السلطان محمد الفاتح بهذه القوة البحرية من فتح كثير من المدن والقلاع البيزنطية في أوروبا ، ولم تلبث البحرية العثمانية أن خطت خطوات عظيمة في سبيل نهضتها وارتقائها ، وأصبحت مهيبة السمعة مرهوبة الجانب وظهر فيها كثير من رجال البحر العظماء مثل كمال رئيس ، وبربروسا ، وعلى باشا قلج ، وسنان باشا وغيرهم .(٢)

ولقد انزعج البنادقة لسقوط القسطنطينية في يد العثمانيين أيمّا انزعاج ، لذلك لجأوا إلى مهادنة السلطان محمد الفاتح ، وعقدوا معه اتفاقية في

١ - يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية - ص ص ١٣٤ ، ١٨١ .
- اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
- أنيس : الدولة العثمانية ، ص ١٨ .
- برنارد لويس : استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية ، ص ص ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ .
- تيودورجيانا كوليس ، اليونان شعبها وأرضها - ترجمة محمد أمين رستم ، مراجعة وتقديم عز الدين فريد . مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك ١٩٦٣ م ، ص ١٧
٢ - اسماعيل سرهنك - حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ١٨ .

سنة ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤م وقد تضمنت هذه الاتفاقية حماية السلطان العثماني لمصالحهم وإمتيازاتهم التجارية في البلقان . [١]

ثم توالت بعد ذلك انتصارات محمد الفاتح ، ففي هذا العام تمكن من الاستيلاء على إنز Enez [٢] وهو مرفأ جنوبي واقع على مصب نهر مريج ، كما قاد حملة إلى صربيا . وكان قد تمكن في الفترة من ٨٥٧ـ ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٣ـ ١٤٥٦م من ضم جزر بحر إيجة الشمالية إلى الدولة العثمانية وهي بوزجه آدا ، وطاشوز ، وليمني ، وإمبروز ، وسمندريك .

وقد تمكن الفاتح بعد ذلك من أخذ مدينة غلطه [٣] من أيدي الجنويين ، كما تمكن في عام ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥م من ضم قونية [٤] الجديدة .

وفي عام ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٦م حاصر السلطان محمد الفاتح بلغراد عاصمة الصرب براً وبحراً ، إلا أنه اضطر في آخر الأمر إلى رفع الحصار عنها لمهاجمة قائد المجر أساطيل العثمانيين ، ثم لم يلبث محمد الفاتح أن أرسل أحد قواده على رأس جيش كبير لفتح بلاد الصرب فأتم فتحها [٥] ، ثم توجه إلى الموره ، وضم

---

١ ـ أنيس : الدولة العثمانية ص ٥٦ .

٢ ـ إنز Enez ميناء يقع على البحر الأيوني شمال غاليبولي على خليج ساروس GOFSAROS انظر :
Philips Modern School Atlas P . 41

٣ ـ غلطة : تقع في الضفة الشرقية من القرن الذهبي ، وتعد أهم دار لصناعة السفن ، انظر أندري كلو : سليمان القانوني ، مثل من التمازج بين الهوية والحداثة ـ تعريب البشير بن سلامة ، دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الأولى (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ص ١٧٧ .

٤ ـ قونيه : مدينة تقع في وسط تركيا إلى الجنوب من أنقرة إلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط. انظر محمد فريد ، تاريخ الدولة العليه ـ ص ٦٨ .

٥ ـ يلماز ـ تاريخ الدولة العثمانية ـ ص ١٥٠ .

ـ نبيل رضوان ـ القوة العثمانية ـ ص ٦٢ .

كورنثه .[١]

وكان من بين الجزر التي فتحها العثمانيون إبان حملاتهم ببحر إيجه ، جزيرة موديللي[٢] ، في سنة ٨٦١ هـ/ ١٤٥٧م ، كما تمكن العثمانيون من ضم جزيرة لسبوس[٣] صلحاً . وفي سنة ٨٦٤ هـ/ ١٤٦٠م استطاع السلطان محمد الفاتح ضم شبه جزيرة المورة كلها حيث كانت للبندقية فيها مراكز هامة على الشاطيء[٤] .

ثم توالت حملات الفاتح في أوربا سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١م ونتيجة لذلك أصبحت صربيا والبوسنة ولايتين عثمانيتين .

أما حملاته في آسيا الصغرى فقد أتم بها فتح أماسره[٥]، سينوب[٦] وطرابزون[٧] Trabzon ثم تم إلحاقها بالممالك

---

١ - كورنثه : هو الخليج الذي يحجز بين بري اليونان وعلى شاطئه الجنوبي تقع مدينة كورنثه ، انظر : محمد فريد المحامي ، تاريخ الدولة العليه ، ص ١٥٨ .

٢ - موديللي : جزيرة تقع في بحر إيجه أمام بر الأناضول وتسمى Mitilini , انظر :محمد فريد المحامي، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٣ - لسبوس : تعتبر أكبر جزر الأرخبيل ويفصلها عن ساحل آسيا الصغرى مضيق ضيق صغير ، انظر : سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، مكتبة الارشاد ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٠ .

٤ - سالم الرشيدي : المرجع السابق - ص ص ٢٢٢ ، ٢٧٩ .

٥ - أماسره (أماصره) : مدينة في شمال الأناضول على البحر الأسود ، انظر خريطة ص ١٦٦ محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه .

٦ - سينوب : مدينة في شمال الأناضول على البحر الأسود بها ميناء واسع ، انظر : محمد فريد بك ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

٧ - طرابزون : إمارة رومية نصرانية ، تقع في شمال شرقي آسيا الصغرى على شاطيء البحر الأسود واسمها مشتق من لفظة (ترابيزوس) اللاتينية ومعناها (الشكل المعين) . انظر : سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ص ٢٥٠ ، ومحمد فريد بك : تاريخ الدولة العليه العثمانية - ص ١٦٠ .

العثمانية [١] . وفي سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١م أتم السلطان محمد الفاتح فتح ولاية سينوب Sinop . كما تمكن بواسطة أسطول مؤلف من مائتي سفينة من التوجه إلى نهر الطونة والسيطرة على الأفلاق .

يتبين لنا من خلال العرض السابق لفتوحات السلطان محمد الفاتح مدى اهتمامه بتطوير الأسطول العثماني ومدى فعالية هذا الأسطول في الفتوحات العثمانية ، فلقد عزز السلطان الفاتح الأسطول العثماني بعدد من السفن الحربية الشبيهة بأساطيل البنادقة المتقدمة تم بناؤها في الترسانات العثمانية ، وترتب على ذلك أن العمارة العثمانية أصبحت تخرج سنوياً إلى بحر الأرخبيل ، ولما كانت جزيرة مديللي تقع على طريق الدردنيل فقد صمم السلطان محمد الفاتح على ضمها لأملاكه ، فحاصرها حتى دانت له . [٢]

وفي سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣م تجدد الصراع ثانية بين البندقية والعثمانيين نتيجة لاستيلاء العثمانيين على حصن أرغوس [٣] واستمر هذا الصراع مدة ستة عشر عاماً .

ساد بلاد قازان وأردهان والقريم [٤] الضعف والتفكك . فانتهز هذه الفرصة

---

١ - برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الاسلامية ص ٤٩ .
Stan Ford Show : History of the Ottoman Empier and Modern Turkey P.63
- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠ م ، الجزء الثاني ، ص ٨٨٣ .

٢ - نبيل عبد الحي رضوان ، القوة العثمانية ، ص ص ٦٢ - ٦٤ .

٣ - اركوز : Arguse شرق جزيرة البلوبنيز Peloponnese على خليج اركوليز Argolis جنوب خليج كورنث Corinth Philips Modern School Atlas P.41

٤ - قازان وأردهان والقريم : بلدان تقع شمال البحر الأسود ، وكان للبنادقة والجنويين مستعمرات ، انظر: اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ - ص ٥١٦ .

الجنوبيون واستولوا على ثغور آزاف [١] وكافا [٢] وغيرها واتخذوها مراكز تجارية لهم . فقرر السلطان محمد الفاتح فتح تلك النواحي ، وذلك للاستعانة بفرسانها المشهورين بالشجاعة والإقدام على محاربة البغدان ، فأرسل اليها عمارة بحرية تحت إمرة كدك أحمد باشا فتم له فتحها ، ثم سقطت بعدها جميع الثغور التجارية التابعة لجمهورية جنوا في هذه الجهات ، وبعد ذلك فتح الأسطول العثماني ميناء آمدكرمان [٣] ثم توجهت الأساطيل العثمانية بقيادة السلطان محمد الفاتح إلى مصب نهر الدانوب فاقتحمت هذا النهر لإعادة فتح بلاد البغدان ، إلا أن السلطان لم يتمكن من فتحها . [٤]

وفي الفترة من ٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠م-٨٧٧ هـ/ ١٤٧٢م قام الوزير الأعظم كدك أحمد باشا بعد ذلك باحتلال نيغده ، وعلائيه (آلانيه) وسيلفكه [٥] ووصل بفتوحاته إلى سواحل إمارة رمضان في جقوراوفا (إمارة جنوب الأناضول) التي كانت تحت حماية المماليك ، وبذلك تحققت سيطرة عثمانية على آسيا الصغرى وسواحل شرق البحر الأبيض المتوسط . [٦]

---

١ - ازاف : هي أزوف Azov تقع في الشمال الشرقي في بحر ازوف الواقع شمال البحر الأسود ، انظر: محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه ، ص ٢٨٦ .

٢ - كافا : Kafa : ثغر في شرق شبه جزيرة القرم ، أسسها الجنويين على اطلال مدينة تيودسيا القديمة ، انظر: محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه، ص ١٨٠ ، اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥١٦ .

٣ - كرمان : ميناء في رأس خليج صغير مقابل شبه جزيرة القرم ، يصب فيه نهر دنييسر Dniestr انظر: محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العليه ، ص ١٧٤ .

٤ - نبيل عبد الحي رضوان ، القوة العثمانية ، ص ٦٤ .

٥ - نيغذه ، وعلائية ، وسيلفكه : مواني جنوب الأناضول على البحر المتوسط . انظر : خريطة محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العليه العثمانية ، ص ١٦٦ .

٦ - يلماز - تاريخ الدولة العثمانية - ص ١٥٩ .

وفي سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م غزا السلطان محمد الفاتح إقليم الفريول Frioul [١]، ثم كرويا Croia [٢] ثم حاصرا اشقودرة [٣] ونتيجة لذلك إضطرت البندقية إلى أن توقع صلحاً مهيناً مع الدولة العثمانية في ٥ من ذي القعدة سنة ٨٨٣ هـ / ٢٨ من يناير سنة ١٤٧٨م ، وكان هذا الصلح بمثابة الخطوة الأولى للدولة العثمانية للتدخل في شئون أوروبا ذلك لأن البندقية كانت في هذا الوقت أهم دول أوروبا في التجارة العالمية فلقد جرد هذا الصلح البندقية من ممتلكاتها في أرجوس نجريون ، كما فقدت اشقودرة ، يضاف إلى ذلك أن الدولة العثمانية فرضت عليها عشرة آلاف بندقي تدفعها للسلطان مقابل السماح لها بالتجارة على أراضي الدولة العثمانية . [٤]

وفي سنة ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م أبحر كدك أحمد باشا بأسطوله إلى ساحل إيطاليا الجنوبي حيث تمكن من الاستيلاء على أوترانتو . [٥]

---

١ - الفريول Frioul : اقليم يقع إلى الشمال من الخليج الواقع في رأس بحر الأدرياتيكي ، انظر محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العليه العثمانية ، ص ١٧٤

٢ - كرويا : تقع إلى الجنوب من مدينة اشقورده وشمال مدينة تيرانا وتكتب Kruje . انظر : محمد فريد بك - المرجع السابق - ص ١٧٤ .

٣ - اشقورده : مدينة قديمة يقال أن مؤسسها الاسكندر المقدوني ، تبعت بلاد ألبانيا في تقلباتها السياسية ملكها الصرب ، ثم البنادقة ثم العثمانيون ، انظر محمد فريد بك ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

٤ - أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧١ .

- نبيل رضوان ، القوة العثمانية في البر والبحر ، ص ٦٥ .

٥ - برنارد لويس ، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية - ص ٣٣ .

- الشناوي - الدولة العثمانية - دولة اسلامية مفترى عليها - ص ٨٨٥ .

ونتجة لاهتمام حاكم جزيرة رودس [١] ببناء السفن الحربية للقضاء على سفن التجارة العثمانية صمم محمد الفاتح على إخضاع هذه الجزيرة فعهد إلى مسيح باشا قائد الأسطول العثماني بفتح هذه الجزيرة ، غير أن مسيح باشا لم يستطع فتحها فتأخر فتحها خمسين عاماً . [٢]

مما سبق يتضح مدى التقدم الذي أحرزته البحرية العثمانية ومن خلال معاضدتها للقوات البرية وقيامها بدور رئيسي في فتح الثغور والجزر ولاسيما في عهد السلطان محمد الفاتح - حيث قامت بدور رئيسي في الفتوحات العثمانية - حتى أن بعض المؤرخين اعتبروا السلطان محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للبحرية العثمانية - اذ فتح خلال فترة حكمه مناطق كبيرة من سواحل أوروبا وآسيا ، وتوطدت أركان دولته وصارت حاكمة لجميع جهات البحر الأسود وبحر مرمرة - والجزر المهمة في بحر الأرخبيل . [٣]

ولما تولى السلطان بايزيد الثاني العرش جنح إلى السلم لأنه لم يكن ميالاً للاعتداء على أحد . ولكن البندقية أجبرته على ذلك بعد أن سيطرت على قبرص ، لذلك سار على سياسة والده العسكرية ، فعزز الجيش والبحرية فأصبحت ضعف ماكانت عليه في عهد أبيه . [٤]

---

١ - هي جزيرة وسط البحر بين اسلامبول القسطنطينية ومصر ، وهي قاعدة الجزيرة المسماه باسمها ، واقعة على الشاطيء الشمالي الشرقي ، وكان يتردد على مينائها كثير من السفن التجارية والشراعية بين عثمانية وأجنبية ، وجزيرة رودس من الجزر المهمة ، وهي بيضاوية الشكل طولها نحو ٧٠ كيلو متراً ومتوسط عرضها يبلغ ٢٣ كيلو متراً . انظر : أحمد زيني دحلان - الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية - مطبعة مصطفى محمد - القاهرة - الجزء الثاني - ص ١٥٣ واسماعيل سرهنك - حقائق الأخبار عن دول البحار - جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

٢ - نبيل رضوان - القوة العثمانية - ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

Stan Ford Show . History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . P.64

٣ - نبيل رضوان - القوة العثمانية بين البر والبحر - ص ص ٦٦ ، ٦٧ .

٤ - ول دايريل ديوارنت - قصة الحضارة (الاصلاح الديني) - ترجمة عبد الحميد يونس - مراجعة - علي أدهم دار الجيل - الجزآن (٢٥ ، ٢٦) ص ٥٩ .

- يلمازا أوزتونا - تاريخ الدولة العثمانية - ص ٢١١ .

ففي سنة ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م قام السلطان بايزيد الثاني بغزو فالاشيا [١] ثم عبر نهر الدانوب وقام بشن عدد من الغارات داخل بلغاريا مما أحدث لها تهديداً هائلاً. ثم دخل بايزيد الثاني بجيوشه موالدفيا [٢] واستولى على كيليا [٣] الواقعة على الدانوب في سنة ٨٨٩ هـ (١٤ من يوليه سنة ١٤٨٤م) وبسقوط موالدفيا وهنغاريا [٤] وقعت تجارة هذه المناطق تحت السيطرة العثمانية . [٥]

وفي عام ٩٠١ هـ/ ١٤٩٥م استولت أساطيل البندقية على جزيرة كفالونيا [٦] . وهاجمت ميناء بroيزه [٧] ، فرد السلطان بايزيد الثاني على هذا الهجوم بفتح قلعتي (مودون - كورون) [٨] بالاضافة إلى قلعة

---

١ - فالاشيا : هي ولاشيا Wallochia مجاورة لمولدافيا ، تكونت منها ومن غيرها جمهورية رومانيا الحالية وكانت تعرف بالبغدان ، انظر : برنارد لويس - استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية - ص ١٥٣ ، ص ١٥٥

٢ - موالدافيا : هي الأفلاق أو الفلاخ ، وكان الأتراك يسمونها (افلاق) وهي إمارة من إمارات الدانوب وهي حاليا جزء من رومانيا . انظر : محمد فريد بك - تاريخ الدولة العليه - ص ١٣١ .

٣ - كيليا : Kilia ميناء نهر الدانوب ، وبوابة دخول ولاشيا انظر
Stan Ford Show: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . P64 , 73

٤ - هنغاريا : Hungary بلاد مغلقة الأراضي تقع في وسط شرق أوروبا تحدها حالياً خمسة دول تشيكوسلوفيا في الشمال والاتحاد السوفيتي (سابقاً) في الشمال الشرقي ، ورومانيا في الشرق ويوغسلافيا في الجنوب والنمسا في الغرب ويطلق عليها اليوم (المجر) انظر .
Academic American Encyclopedia , New Jesey , 1980 vol 10 p 306 .

٥ - Paul Coles : The Ottoman Empect on Ewrop . Thames and Hudson London 1968 . p . p 72 - 73 .

٦ - كفالونيا:جزيرة في شرق البحر الأيوني غرب مدخل خليج باتراس أنظر Philips Modern School Atlas p 41

٧ - برويزه : ميناء غرب اليونان على البحرالأيوني انظر المرجع السابق ص ٤١ .

٨ - مودون : Modon تقع في الرأس الجنوبي الغربي من شبه جزيرة الموره
كورون : تقع في الناحية الشرقية من الرأس الجنوبي الغربي من شبه جزيرة المورة داخل الخليج
- انظر محمد فريد بك - تاريخ الدولة العليه لإحسان حقي - ص ص ١٧١ ، ١٨٥ .

نافـارين [١] ونتيجة لذلك تكون حلف مسيحي ضد الدولة العثمانية فاستولت قوات هذا الحلف على كفالونيا ودراج [٢] ثم حاصرت بوغاز الدردنيل ، ثم استولت أخيراً على قلعة جزيرة مديللي فاستطاع السلطان بايزيد الثاني أن يسترد قلعة مديللي ، ثم عقد صلحاً بينه وبين البندقية [٣] وعندما ازداد ضغط المسيحيين على المسلمين في أسبانيا بالاضافة إلى وصول البرتغال إلى شرق أفريقيا وباب المندب وخليج عدن والهند تهادن السلطان بايزيد الثاني مع السلطان المملوكي قنصوة الغوري لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة . والتصدي للالتفاف البرتغالي حول الجنوب الاسلامي .

ومما يدل على اهتمام السلطان بايزيد الثاني بدعم الأساطيل العثمانية وتطورها فَرضُه ضريبةً خاصة على استانبول ومدن أخرى للإنفاق منها على بناء السفن ، ونتيجة لذلك اكتسبت البحرية العثمانية شهرةً واسعة . [٤]

وفي عهد السلطان سليم الأول خطت البحرية العثمانية خطوات واسعة . نظراً لإمتداد فتوحاتها وإشرافها على البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وكان هذا التقدم في البحرية العثمانية سبباً في تقوية الروح المعنوية في الدولة [٥] وقد اهتم السلطان سليم الأول بالقوة البحرية العثمانية وتوسع في دور صناعة السفن والتي واصلت بناء السفن الحربية بمختلف أنماطها ثم حشد لها الجنود البحريين كما أنشأ

---

١ - نافارن : Navarin تقع شمال مودون وهي ميناء بحري في بلاد اليونان - انظر محمد فريد بك - المرجع السابق - ص ١٨٥ .

٢ - دراج : تقع جنوب شرق البحر الأدرياتيكي في ألبانيا الحالية انظر :
Philips Modern School Atlas p . 39 .

٣ - نبيل رضوان - القوة العثمانية بين البر والبحر ص ص ٦٧ - ٦٩

٤ - المرجع السابق ص ص ٦٨ ، ٦٩ .

٥ - محمد عبد اللطيف البحراوي - فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر - مكتبة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ١٩٥ .

ترسانة في ضاحية جالاطة ، وأمر مهندسيها ببناء سفن كبيرة الحجم ، وكان السلطان سليم الأول قد شرع في إعداد العدة لفتح جزيرة رودس لكنه توفى قبل أن يسير أساطيله لفتحها .

وعندما اعتلى السلطان سليمان المشرع العرش (٩٢٧ ـ ٩٧٤ هـ) (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) اعتنى عناية فائقة بالأسطول فأنشأ له إلى جانب قاعدته الرئيسية في استانبول قواعد بحرية في جزر بحر الأرخبيل ، وفي أقلونا على ساحل ألبانيا ، وإضافةً إلى ذلك أمر بانشاء قاعدة بحرية وترسانة لصناعة السفن في سيناء وسواحل السويس ليعتمد عليها في تنفيذ خططه الحربية في البحر الأحمر والبحار الشرقية .[١]

وفي ٩٢٧ هـ (٨ أغسطس سنة ١٥٢٠م) تم فتح قلعة بلغراد الحصينة بعد حصار طويل ، وبسقوط بلغراد وقعت آخر مدن الصرب وبلدانهم في أيدي العثمانيين .[٢]

وفي عام ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م حاصر السلطان سليمان المشرع جزيرة رودس التي أعيت السلطان محمد الفاتح مرتين[٣] وذلك لمهاجمة فرسان القديس يوحنا (سانت جون) سفن التجارة الاسلامية واستيلائهم عليها ولسلبهم ونهبهم سفن السفر والسفن التي تحمل الحجاج وقتلهم ولاضطهادهم رعايا السلطان العثماني

١ ـ عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ٢ ص ٨٨٧ .

٢ ـ Stan Ford Show : History of the Turke . p 91

٣ ـ ابراهيم عبد القادر المازني ، تاريخ الدولة العليه العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية ، خزانة المعارف بالسكة الجديدة بالاسكندرية ، ص ٤٠ .

أينما وجدوهم [١] ، فأرسل السلطان سليمان القانوني مصطفى باشا بأسطول عظيم لفتح الجزيرة فحوصرت الجزيرة فترة طويلة ولكن دون نتيجة فقاد السلطان سليمان القانوني بنفسه جيشاً كبيراً ، ثم أمر العساكر بمواصلة الهجوم على الجزيرة ، واستمرت المحاصرة لمدة ستة أشهر ، فتمكنت مدافع القوات العثمانية من تحطيم قلاعها ، وتحويلها إلى رماد [٢] ثم نجح العثمانيون في اقتحام قلعة رودس التي كانت تعد بمثابة المفتاح لشرق البحر الأبيض المتوسط . [٣]

وقد استغل السلطان سليمان القانوني فتحه لرودس استغلالاً حربياً واسع النطاق فقام الأسطول العثماني بتطهير بحر إيجه من المنشآت والمحطات البحرية والتي أقامها البنادقة في بعض الجزر المهمة ، وكانوا يعدونها جيوباً وثكنات عسكرية لهم ، ثم انتقلت عمليات الأسطول العثماني الحربية إلى البحر الأيوني ثم البحر الادرياتي [٤] . ونتيجة لذلك انتشرت الترسانات العظيمة في استانبول وغاليبولي ومناطق أخرى ، كما انتشرت الموانيء الجيدة على طول سواحل بحر إيجه والبحر المتوسط ، فتوفر نتيجة لذلك كميات كبيرة من الخشب ، وأعداد عظيمة من بناة السفن . كما أن المدفعية العثمانية تطورت وتفوقت على المدفعية الأوروبية وأصبحت مهيأة لمواجهة العالم المسيحي . [٥]

وعندما كان السلطان سليمان القانوني منشغلاً بفتح رودس ، هاجم ملك المجر حدود الدولة العثمانية في الروملي ، فقرر السلطان سليمان محاربة المجر فأعد جيشاً وأسطولاً عظيمين في عام ٩٣٢ هـ / ١٥٢٦م واقتحم بهما نهر الطونه ثم خرج السلطان بنفسه وعبر نهر صاوه ، ثم تقدم الصدر الأعظم

---

1 - M.Acook : Ahistory of the Ottoman Empire to 1730 Cambridge University press. London . Newyork. p.74.

٢ ـ ابراهيم أفندي ، مصباح الساري ونزهة القاري ، طبعة بيروت ، ١٢٧٢ هـ ـ ص ٣٠ .

3 -Halil Inalcik : The Ottoman Empire . The classical Age 1300- 1600 , p.35

٤ ـ عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٨٨٨ .

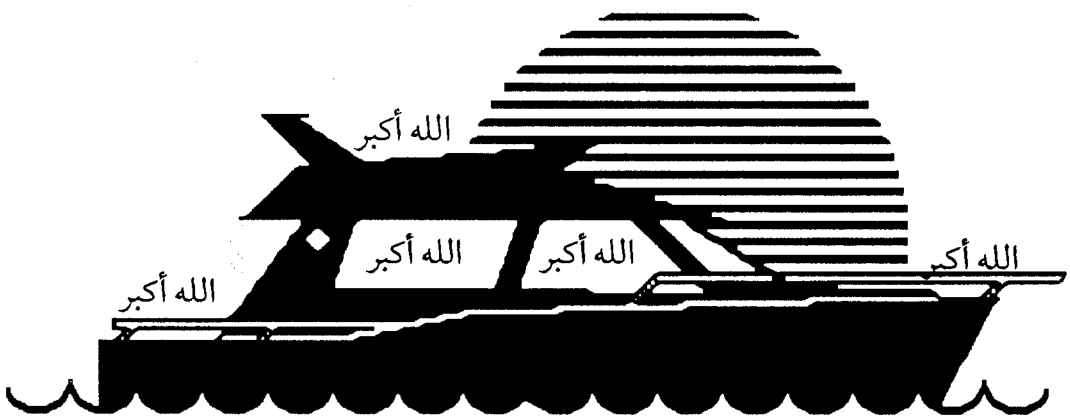
٥ ـ نبيل رضوان ، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ص ٣٤٢ .

في بلاد المجر وفتح مناطق عدة [١] .

يتضح لنا مما سبق أن البحرية العثمانية شهدت في هذه الفترات مرحلة تأسيس وبناء عظيمين وذلك لمواجهتها للأمم الأوروبية البحرية والتي أصبحت مصالحها تتعارض مع مصالح الدولة العثمانية ، وتقف حجر عثرة ، وتحول دون تحقيق خطة الدولة العثمانية الرامية إلى فتح أوروبا ونشر الاسلام فيها وسنلاحظ ذلك من خلال الفصول القادمة بمشيئة الله تعالى .

---

١ - نبيل رضوان:القوة العثمانية بين البر والبحر ، ص ٧٢ .



الفصل الأول

الجهاد البحري العثماني ضد المخططات الصليبية
في البحر المتوسط منذ مطلع القرن
العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي
حتى معركة ليبانتو

(أ) (التحركات الصليبية ضد المدن الإسلامية في الشمال الأفريقي)

(ب) (المواجهة البحرية ضد التحركات الصليبية)

الفصل الأول

أ - التحركات الصليبية ضد المدن الاسلامية في الشمال الافريقي :

قامت الدولة الوطنية الحديثة في الأمم الأوروبية الموحدة فاتجهت نتيجة لشعورها بقوة مركزها وانضواء شعوبها تحت لواء واحد إلى محاولة التوسع وبسط سيادتها على غيرها من الأمم والشعوب الأوروبية التي تأخر تكوينها ، ونتيجة لذلك اتجهت الدول الموحدة في أوروبا إلى توسيع أملاكها داخل القارة الأوروبية كما حدث في إيطاليا عندما نشبت الحروب الإيطالية ، وكما اتجهت دولتا شبه الجزيرة الايبيرية إلى حروب الاسترداد ثم التوسع خارج أوروبا بحكم الموقع الجغرافي .

ومن هذه الدول البرتغال التي تتمتع بموقع استراتيجي هام وذلك لوجودها على الطرق التجارية بين موانيء البحر المتوسط وشمال غرب أوروبا مما جعلها أقرب إلى السواحل الأفريقية ، وتجلى ذلك في العاصمة لشبونة التي كانت مركزاً لتجارة غرب أفريقيا ، وهذا بدوره وفر الأموال اللازمة التي ساعدت ملوك البرتغال على توحيد أجزاء البلاد الداخلية وجعلتهم يعملون باستمرار من أجل محاربة الاسلام . فشغل الملوك من بيت أفيس خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين بهذا الاتجاه السياسي والحربي لتصبح البرتغال راعية المسيحية والمتنصرة لها ضد الاسلام ، ولتكون روح الحروب الصليبية مستمرة . (١)

---

١ - نبيل رضوان ، جهود العثمانيين ، ص ص ٣١ ، ٣٢ .

وقد كان للأمير هنري الملاح البرتغالي مخطط يحلم به منذ طفولته هدفه تقويض مركز الاسلام فافتتح مخططه هذا بالهجوم على مدينة سبته (١) في سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥ م ، وبعد أن ثبت البرتغاليون أقدامهم في سبته وأتموا تحصينها اتجهت أنظارهم إلى طنجة (٢) فوصلت الحملة إلى طنجة في ٢٧ أغسطس من هذا العام ، وهناك تفرعت إلى قسمين : الأول بقيادة الأمير هنري الملاح الذي سلك الطريق البري نحو طنجة ، والآخر بقيادة الأمير فيرناندو الذي سلك الطريق البحري وذلك ليطبقوا على المدينة من الجهتين إلا أن هذه الحملة فشلت .

وعلى الرغم من ذلك فقد أصر الملك البرتغالي الفونسو على متابعة مخططه لغزو الثغور الاسلامية في الشمال الأفريقي فكرر هجومه على طنجة في المحرم سنة ٨٦٣ هـ/ أكتوبر ١٤٥٨م ثم أعدَّ حملة ضخمة لمهاجمة القصر الصغير ، فاستطاع أن يحقق هدفه عندما اقتحمت القوات البرتغالية الميناء المغربي ، ولعل ذلك كان رد فعل طبيعي لسقوط الجدار الشرقي للقارة الأوروبية (القسطنطينية) عاصمة الامبراطورية البيزنطية البائدة (٣)

---

١ ـ سبتة : من أقدم وأشهر مدن المغرب (مراكش) تقع في شرق مدينة القصر الصغير على مستوى الجزيرة الخضراء . كان الرومان يترددون عليها كثيراً لموقعها في حلق المضيق « مضيق جبل طارق » حيث لايتجاوز عرضه فرسخين ، بالإضافة إلى أن لها ميناءً جيداً لايبعد عن أسبانيا إلا بمسافة خمسة فراسخ (الفرسخ الأسباني : أربعة أميال) انظر مارمول كربخال : أفريقيا ـ ترجمة محمد حجي وآخرون .

دار نشر المعرفة ـ الرباط ١٩٨٩ الجزء الثاني ـ ص ٢١٦ .

٢ ـ طنجة : مدينة أسسها الرومان وسموها (طنجيد) ، وذلك عندما استولوا على الأندلس ، وموقعها جيد على شاطيء المحيط الأطلسي في مدخل البوغاز « جبل طارق » وعلى بعد خمسين فرسخاً من فاس في جهة الشمال ـ انظر مارمول كربخال : أفريقيا ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٩ .

٣ ـ جلال يحيى ـ المغرب الكبير – (العصور الحديثة وهجوم الاستعمار) دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت : ١٩٨١م – جـ ٣ – ص ١٤ .

لقد استجاب هنري الرابع ملك قشتالة بدافع التعصب الديني الممقوت إلى نداء البابا نحو شن حرب صليبية جديدة على المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية وذلك لاستئناف حروب الاسترداد في سنة ٨٦٠ هـ ١٤٥٥م .

وتحقيقاً لتلك الغاية واصل البرتغاليون هجومهم على الشواطيء المغربية ، ففي عام ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م استولوا على أنفا ثم أصيلا [1] في سنة ٨٧٦ / ١٤٧١م ، ثم توجهوا نحو العرائش [2] وطنجة للمرة الثانية ، فسقط هذا الميناء الحصين في أيديهم بعد أن استعصى عليهم في الجولات السابقة ، وأصبح الملك البرتغالي يلقب منذ هذا الحين بملك البرتغال والأقاليم البرتغالية فيما وراء الأنهار . ومما خفف الضغط عن الجبهة الإسلامية أن القوى المسيحية شُغلت بعد ذلك بحروب داخلية فيما بينها ومنها حرب الوراثة الأسبانية [3] ، كما واصل البرتغاليون تدعيم قوتهم البحرية وذلك بأن أسس هنري الملاح معهداً بحرياً يرعى القيام بأسفار بحرية ، وينمي المعلومات والخبرات البحرية ، ويحافظ على الخبراء ، ويعد البحارة الناشئين .

ولقد كان احتلال سبته الخطوة الأولى نحو معاودة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي [4] والتعرف على أقسامه وأبعاده ، ثم استعمار المدن الساحلية الواقعة على المحيط الأطلسي ، لهذا تابع البرتغاليون رحلاتهم نحو شرق أفريقيا [5] كما جمع

---

١ - انفا أو نافي قاعدة إقليم تامسنافي القديم : تقع بين الرباط وأزمور على شاطيء المحيط بعيدة عن الأطلس الكبير باثنين وعشرين فرسخاً وعن أزمور بعشرين فرسخاً وعن الرباط بثلاثة عشر فرسخاً .

أصيلا : تعرف في الأصل (أرزيلا) مدينة قديمة تقع على بعد سبعة وأربعين فرسخاً من فاس ، وسبعة فراسخ من مضيق جبل طارق من جهة الغرب - انظر مارمول كربخال : أفريقيا جـ ٢ ص ص ١٢٧ ، ١٩٧ .

٢ - العرائش : مدينة أسسها الأفارقة القدامى على شاطيء المحيط في المكان الذي يصب فيه نهر الكلوس في البحر ، وهي واقعة في جهة على ضفة هذا النهر ومن جهة أخرى على المحيط .

انظر الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ١٩٨٠م ، الجزء الأول ، ص ٢٣٣ .

٣ - حرب الوراثة الأسبانية : لما توفى هنري الرابع ملك قشتالة سنة ١٤٧٤م ثارت حول وراثة العرش مشكلة دقيقة ففريق يناصر خوانا ابنة الملك المتوفي . وفريق يناصر ايزابيلا

انظر محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٦٦م - ص ١٨٢ .

٤ - إن البعض قد يعتقد خطأ أن هذه الحملات حملات كشفيه لها أهداف علمية بحته أما بالنسبة لنا نحن المسلمين نثق تماماً في أن هذه الحملات كانت حملات صليبية توسعية .

٥ - ادوار بروي : تاريخ الحضارات العام (العصور الوسطى) ترجمة يوسف أسعد داغر- منشورات عويدات - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م - الجزء الثالث - ص ٦٢٧ .

الملك البرتغالي نخبة من علماء الرياضيات لتحديد خط العرض بدقة ، وهذا بالتالي أنتج أول تقويم أوروبي صُمم للأغراض البحرية الملاحية [١] ، وهكذا واصلت البرتغال حركة النزول في سواحل المغرب الأقصى حتى يأخذ الأسبان دورهم في الاستيلاء والاستعمار في غير مناطق النفوذ البرتغالي .

وفي سنتي ٨٦٠هـ - ٨٦٢ هـ / ١٤٥٥م - ١٤٥٧م توغلت ست حملات عسكرية صليبية ضخمة داخل مملكة غرناطة غير أن هذه الحملات لم تحقق أهدافها (في استرداد الأراضي من المسلمين) وفي عام ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م استولت قوات قشتاله الصليبية على الحمراء ودخلت بعد ذلك في حملات منظمة تهدف إلى اقتطاع قطعة وراء الأخرى من المملكة العربية الباقية في شبه جزيرة إيبريا بحيث لم يتبق لها سوى غرناطة [٢] ونتيجة لاشتداد الحرب الأهلية بين جزئي غرناطة المسلمة استولى الأسبان بصورة نهائية على الجزء الغربي لغرناطة في عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧م [٣] .

وخلال ربيع عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م عسكر الجيش الأسباني تحت أسوار غرناطة وخلال شهور أعد الجيش الأسباني عدته للهجوم على غرناطة واقتحامها فشيدوا مدينةً بجوار المعسكر ، وأدى ذلك إلى هبوط الروح المعنوية في المعسكر العربي ، وصاحب ذلك رغبتهم في الاستسلام الذي يحمي ماء الوجه بدلاً من القتال ، فبدأت المفاوضات بين الجانبين الأسباني والعربي في ٨٩٧هـ/ أكتوبر ١٤٩١م

---

1 - Roger Lockyer : Habsburg and Bourbon Europe 1470 - 1720 Longman . London . New York . 1982 . p 31 .

2 - J . H . Eiliott : Imperial Spain 1469 - 1716 Edward Arnold London 1981 . p . 37 .

3 - I bid . p . 37

وتم الاتفـاق في نهايـة نوفمـبر من هـذا العام وبموجبه استلمت غرناطة المسلمة في ١٣ ربيع الأول ٨٩٧ هـ/ ٢ من يناير سنة ١٤٩٢ م [١].

وبعد عدة سنوات نقض الأسبان معاهدة الاستسلام التي عقدوها مع مسلمي غرناطة فارتكبوا أعمالاً مخالفةً لتلك المعاهدة حيث ضيقوا على المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية ، كما بذلت الحكومة الأسبانية جهوداً كبيرة لتنصير المسلمين مما اضطر المسلمين إلى الهجرة إلى« العدوة المغربية »[٢] .

وحقيقة الأمر أن التعصب الصليبي والمحاولات المستمرة لتنصير المسلمين من الأسباب الرئيسية التي دفعت الأسبان في أواخر القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر الميلاديين للتدخل في شئون المدن الاسلامية بالشمال الأفريقي ، ثم تضخمت بعد ذلك الروح الصليبية العدائية عندما تزعمتها الكنيسة الكاثوليكية لتجعل المعركة مع المسلمين معركة خاصة بها [٣].

وقد ظهرت أسباب أخرى للنزول الأسباني على سواحل شمال أفريقيا منها الأسباب الحربية التي تهدف إلى الانتقام من المسلمين الذين حكموا بلادهم فترة طويلة من الزمن أو قدموا خلالها الدعم والمعونات لمسلمي الأندلس ، فضلاً عن الأسباب السياسية التي أفرزتها الأوضاع المتردية في بلاد الشمال الأفريقي ، فرأت أسبانيا استغلال الموقف لصالحها وذلك لخوفها من تدخل الدولة العثمانية التي عظم شأنها في

---

1 - J. H . E iliott : Imperial Spain 1469 - 1716 Edward Arnold . p . 37

2 - Fernand Brawdel : The Mediterranean and the Mediterranean world in the Age of philip 11 . val . 11 p 783 .

العدوة : يقصد بها العدوة المغربية والتي تشتمل سواحل الشمال الأفريقي

د/ نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده ـ ص ص ٧٣ ، ٧٤ .

٣ ـ أحمد توفيق مدني ـ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ ـ ١٧٩٢م ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤م ـ ص ٨١ .

البحر المتوسط [١] .

وقد مهد الملوك الكاثوليك لذلك بأن بعثوا بالجواسيس بدراسة سواحل المغرب فأعجبوا بمليلة ، ونتيجة لذلك أقنعوا البرتغاليين بالاستيلاء عليها وذلك لأن البرتغاليين خصتهم المعاهدات بكامل مملكة فاس التي استولى عليها في آخر الأمر دوق شذونة التابع للملك الأسباني [٢] .

هاجم المسلمون منطقة الشمال الأفريقي لقَنَتْ ، وبلش ومالقة التي سيطر عليها الأسبان وذلك في ربيع ٩١١ هـ / ١٥٠٥م لإنقاذ إخوانهم فيها فأعد البرتغال عدتهم للتحرش بالمغاربة ، وهنا انتقلت قيادة المرسى الكبير [٣] إلى الأسبان حيث استولى القائد الأسباني بيدروناڤارو Don pedro Navarro على حجر باديس [٤] الواقعة تحت التأثير الأسباني في عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م كما احتلت أسبانيا في العام نفسه حصن بينونْ ثم ميناء بجاية [٥] وبذلك أصبحت تونس محاطة من الغرب والشرق بالقواعد الأسبانية [٦] .

---

١ - أحمد مدني : المرجع السابق - ص ص ٨٣ ، ٨٦ .

٢ - شارل اندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة ١٨٣٠م) - تعريب محمد فرالي ، والبشير سلامة ، الدار التونسية للنشر - تونس ، طبعة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م الجزء الثاني - ص ٢٥٥ .

٣ - المرسى الكبير : مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة بضعة أميال عن وهران ، ومعناها الميناء الكبير ، انظر الحسن الوزان : وصف أفريقيا - جـ ٢ ص ٣١ .

٤ - يقع في منطقة المغرب الأقصى .

٥ - بينون : بالأسبانية (الحصن) يقع على البحر للدفاع عن الميناء وهو مصطلح يطلق على الجزر الساحلية والرؤوس الداخلة في البحر اعتاد الأسبان أن يقيموا عليها قلاعاً حصينة تهدد سكان الساحل وتمنع وصول سفن المسلمين انظر : نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين ص ٢٨٨

بجاية : مدينة عظيمة بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر ، على بعد ثلاثين ميلاً شرقي الجزائر ، وعلى بعد اثني عشر فرسخاً من جيجل في الجبهة الأخرى على عرض دنس أو دنسين - انظر : مارمول كربخال - أفريقيا - جـ ٢ ص ٣٧٦ .

٦ - يلماز أوزتونا - تاريخ الدولة العثمانية - ص ٢٤١ .

ثم سقطت وهران في أيدي الأسبان بسبب الخيانة ، وقتل وأسر عدد كبير من المسلمين وحولت المساجد إلى كنائس وذلك في عام ٩١٥ هـ / ١٥٠٩م [١] وكانت مدينة هنين المرسى الطبيعي لعاصمة تلمسان [٢] .

فبعد احتلال مدينة وهران أرسل ملك تلمسان مدداً إلى مرسى هنين [٣] وحصَّنها ، وذلك لما لها من أهمية اقتصادية إذ تعتبر مركز المبادلات التجارية مع أوروبا وبالذات مع البندقية [٤] .

وقد كان ضعف الممالك الإسلامية في شمال أفريقية من العوامل المساعدة على نجاح الحملات الحربية الأسبانية في الاستيلاء على أجزاء من الشواطيء المغربية ثم بناء الحصون وإقامة الحاميات الأسبانية فيها وذلك لتهديد الموانيء المغربية وتعطيل مصالحها ولمنعها من نجدة مسلمي الأندلس ، ونتيجة لهذه السياسة الحربية أصبحت أسبانيا سيدة المغرب الأوسط [٥] وكان لسلسلة الانتصارات التي أحرزها الأسبان أثر كبيرٌ في تغير ميزان القوى بعض الشيء في حوض البحر المتوسط ، وخاصة عندما احتلوا المرسى الكبير في عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م وبينون ثم وهران [٦] في عام ٩١٥ هـ / ١٥٠٩م وبجاية ثم طرابلس في عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م ، أما بالنسبة

١ - شارل اندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية - ص ٣٢٣ .

٢ - هنين : تعتبر ثغر تلمسان المبتسم على البحر ، نظر لقرب المسافة بينهما ، وتقع هنين داخل جون حسن في منتصف الطريق بين بني صاف وجامع الغزوات وبينها وبين تلمسان على خط مستقيم ٤٥ كيلو متراً ، انظر أحمد توفيق مدني : حرب الثلثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا - ص ٢٣٦ .

٣ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط (العصر الوسيط) (٣٥هـ - ٦٥٥م/٩٧٨هـ/١٥٧١م) ، وزارة الثقافة - هيئة الآثار المصرية - ص ٤١ .

- رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصور الوسطى - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م - ص ١٧٧ .

٤ - أحمد توفيق مدني - المرجع السابق - ص ٢٣٦ .

٥ - رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصور الوسطى - ص ١٧٧ .

٦ - وهران : مدينة تقع داخل الخليج الذي يحمل اسمها ، ويبلغ عرض خليجها ٢١ كيلو متر وتحيط بالمدينة جبال لايتجاوز إرتفاعها ٥٨٩ متر - انظر أحمد المدني - حرب الثلثمائة سنة - ص ١١٤ .

للموانيء التي لم يحتلها الأسبان مثل (تنس - شرشال - دلس مستغانم) (١) فعلى الرغم من أن سلطاتها عرضت على الأسبان أن تدفع لهم ضريبة إتقاء لخطرهم ، إلا أن الأسبان لم يوافقوا على ذلك العرض واحتلوها عنوة (٢)

ثم كان الاحتلال الأسباني لطرابلس الغرب في سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م واستمر إلى عام ٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م وكان لهذا الاحتلال عدة أسباب منها ارتفاع الروح المعنوية بين الأسبان خاصة بعد القضاء على الدولة الاسلامية في الأندلس ، ثم الانتصارات المتوالية في الشمال الأفريقي إضافة إلى رغبة الأسبان في ملاحقة المسلمين للتنكيل بهم والقضاء على نفوذهم في شمال افريقية والبحر المتوسط ومما لاشك فيه أن نجاح الأسبان حربياً في البحر المتوسط وشمال أفريقية كان مرجعه تلك الحضارة الاسلامية العربية التي كانت قائمة في بلادهم ، والتي استفادوا منها فوائد جمه وخبرتهم في فنون الملاحة التي ورثوها من البحارة العرب . بعد أن ركبوا معهم السفن العربية ، يُضاف إلى هذا كله تمكنهم من اكتشاف أمريكا ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢م وكشف طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ٩٠٣ هـ/ ١٤٩٧م ، فلقد أدى ذلك في نهاية الأمر إلى شعور الأسبان بالقوة والسيادة [٣] ومن أسباب الاحتلال

---

١ - تنس : مدينة قديمة على سفح جبل يقع على بعد نصف فرسخ من البحر ، وهي في منتصف الطريق بين وهران ومدينة الجزائر . تبعد عن كل منهما بثلاثين فرسخاً .

شرشال : مدينة عتيقة بين مدينة تنس وبين مدينة الجزائر ، تبعد عن كل منهما بمسافة خمسة عشر فرسخاً في البحر ، أما عن طريق البحر فلا تصل المسافة بينهما إلى عشرة فراسخ انظر مارمول كربخال - أفريقيا - ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

دلس : (تدليس) مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلاً من شاطيء البحر المتوسط ، وتتبع دائماً عاصمة الجزائر في كل شيء حكومة وإمارة . انظر الحسن الوزان وصف أفريقيا - الجزء الثاني - ص ٤٢ .

مستغانم : مدينة موغلة في القدم على سفح جبل مطل على ساحل البحر ، تقع على بعد أربعة عشر فرسخاً شرقي وهران لها مرسى جيد يبعد قليلاً عن المدينة ، وتسمى كاتينا - انظر مارمول كربخال - أفريقيا - جـ ٢ - ص ٣٥٠ .

٢ - مبارك محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث - مكتبة النهضة الجزائرية - الجزائر - الجزء الأول - ص ٤٢ .

٣ - حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر - مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٢ ص ١٥٩ .

أيضاً رغبة الأسبان في احتلال قواعد في الشمال الأفريقي ليمتلكوا الموانيء والأسواق وليتمكنوا من احتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل ولينافسوا المدن الإيطالية التجارية (جنوة والبندقية) المحتكرة لتجارة الشرق والغرب .

ومما ساعد وسهل هذا الاحتلال عدم وجود وحدة سياسية قوية في الشمال الأفريقي حيث كان هذا الشمال مكوناً من عدة دويلات صغيرة متناحرة [1] ومما عجل باحتلال طرابلس الغرب وقوع خلاف بين أحمد الحفصي ووالده الناصر ، فاستنجد الأول بالأسبان على أبيه واتفق معهم على عودة تجار من الأسبان كانوا في طرابلس ، فأخذ هؤلاء التجار يغرون حكومتهم باحتلال طرابلس الغرب والتقليل من شأنها ، ويصفون مافيها من الثروات الهائلة ومما قالوه لهم : (مارأينا بلداً أكثر منها مالاً ، وأقل سلاحاً ، وأعجز عن مدافعه العدو) فكان هذا الوصف مشجعاً للأسبان على التعجيل باحتلالها [2] وقد بدأت التحركات الحربية الأسبانية للاستيلاء على طرابلس الغرب حيث رسا الأسطول الأسباني على الميناء ليلة الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٩١٦ هـ (١٥/ ٧/ ١٥١٠م) ، وهناك رتب الكونت الدون بدرونافارو جيشه ، ثم أطلق نيران مدافعه على المدينة في صباح هذا اليوم ، ولم يكن الاستيلاء على هذه المدينة من الناحية البحرية فقط بل شمل الناحية البرية حيث تم إنزال أحد عشر ألف جندي إلى البر حيث دخلوا المدينة ، وفي المساء تمكن الأسبان من إحتلالها ، ودخول الجامع الكبير وقتل أكثر من ألفي شخص ، ثم هاجموا في نهاية الأمر القصر وأسروا الوالي وعائلته وبعض الزعماء . وقد استقبلت أوروبا هذا الخبر بالفرحة والبهجة ، وأعظم نتائج هذا الانتصار الأسباني أن ملوك أسبانيا تحركت مطامعهم للتوسع في الشمال الأفريقي .

---

١ ـ حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ـ ص ص ١٥٩ – ١٦٠ .

٢ ـ الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ـ دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٣م ـ ص ٢٧٢ .

وعندما أستقرت الأوضاع في طرابلس الغرب ، جعل الكونت نافارو هذه المدينة قاعدة لغزو الشمال الأفريقي [١] ، لذلك نجد أن أسبانيا بعد أن ثبتت أقدامها في الناحية الشرقية ، وجهت أنظارها إلى الناحية الغربية ، ففي عام ٩١٦ هـ/ ١٥١٠م اتجه نافارو إلى بجاية ، ولم يشعر به أحد ، ولم يستعد أحد في بجاية للدفاع عنها بيد أن نافارو ادعى أنه يبغى العودة إلى أسبانيا ، وإمعاناً في التضليل والخداع اتجه نحو الشمال ، وأرسى أسطوله على جزائر البليار [٢] وظل بها حتى نظم العملية الحربية ورتبها فوضع على الأسطول الاميرال خيرونيموفيانلي .

وعندما أدرك مسلمو بجاية الخطر القادم إليهم من الأسبان نادوا للجهاد ، واستعدوا للدفاع عن دينهم ومدينتهم ، وعندما وصل الأسطول الأسباني وأنزل فيانلي قواته التحم الفريقان والمدفعيتان البجائية والأسبانية ، ورجحت كفه الجيش الأسباني على الرغم من أن المعركة كانت معركة شعب بجاية لا معركة حكومتها . فأمام ماكان باديا من هذا التصميم الاسلامي فقد قسم القائد الأسباني جيشه إلى أربع فرق ، وجعل كل فرقتين منها فيلقا ، ثم أمر الفيلق الأول بأن يتسلق مرتفعات قورايا للإشراف على المدينة من أعلاها ولمنع وصول الإمدادات . أما الفيلق الثاني فقد أمره بمهاجمة المدينة من الساحل والاقتراب منها حتى تقع في منطقة الحصار ، وقد أخذ الأسبان في تنفيذ هذه الخطة إلى أن تمكنوا من احتلال أرباضها المرتفعة والسفلى ، وعلى الرغم من المقاومة اليائسة التي قام بها المقاتلون من أهل بجاية ضد الغزاة الأسبان فإنهم قرروا الانسحاب ، وكان في مقدمتهم الملك عبد الرحمن الحفصي [٣]

---

١ ـ حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١٦١ .

٢ ـ جزائر البليار : تتوسط الحوض الغربي من البحر المتوسط بين شماله وجنوبه .

انظر : أحمد توفيق المدني حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢١٩ .

٣ ـ كانت بجاية تابعة للحفصيين في هذه الفترة .

وبعد أن تمكن الأسبان من السيطرة على بجاية واحتلالها اسرفوا في القتل والذبح والنهب والتخريب ونقل نفائس بجاية إلى أسبانيا . [١]

ومع كل هذا فلم يتكبد الأسبان في بجاية إلا خسائر طفيفة . والدليل على ذلك مانقله القائد نفارو في تقريره إلى الملك الأسباني فردنياند والذي جاء فيه : (إن احتلال المدينة كان سهلاً وأن العملية كانت ميسورة ، مع أن أسوار المدينة كانت عالية قوية ، والمواقع الجبلية كانت حصينة ، وعدد المجاهدين المسلمين كان كبيراً ، والمؤن والذخيرة كانت موجودة ، والمقاومة الطويلة الناجحة كانت ميسورة) [٢] .

والجدير بالذكر أن بجاية قد بقيت تحت حكم ملوك قشتالة مدة خمس وثلاثين سنة إلى أن استردها صالح رئيس حاكم مدينة الجزائر في سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥م [٣] .

وفي عام ٩١٧ هـ / ١٥١١م عقدت إتفاقية بين مستغانم وأسبانيا وذلك حتى لاتقع مستغانم فريسة سهلة للأسبان شأنها شأن بجاية ، وقد تضمنت هذه الإتفاقية عدة نصوص أهمها : أن يلتزم قائد ومرابطوا وشيوخ مستغانم ومازغران [٤] وجميع سكانها بخدمة الملك ودفع المكوس والضرائب ، وأن يطلق أهالي مستغانم ومازغران جميع الأسرى المسيحيين الذين تحت أيديهم ، ويحق لقاضي قرطبة[٥] أن يحتل قلاع

---

١ ـ أحمد توفيق المدني : حرب الثلثمائة سنة – ص ص ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ .

٢ ـ أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

٣ ـ مارمول كربخال : أفريقيا جـ ٢ ـ ص ٣٧٩ .

٤ ـ مازغران : مدينة على بعد نصف فرسخ من البحر وعلى بعد ثلاثمائة عشر فرسخاً شرقي وهران .
مارمول كربخال أفريقيا جـ ٢ ص ٣٤٩ .

٥ – قاضي قرطبة : ليس قاضياً بالمعنى المعروف واسمه سنيور دون دياقوفرنانديزدي قرطبة القاضي) (أي أنه يحق للسنيور دون دياقو فرنانديزدي قرطبه القاضي ALCADE والقائد العام لملكة تلمسان Capi-Toingeneral أن يحتل قلاع وحصون المدينتين إذا طلب منه ذلك)

وحصون المدينتين إذا طلب منه ذلك، وأن يلتزم أهالي المدينتين بتموين مدينتي وهران والمرسى الكبير [١] ، وألاَّ يسمحوا بتعمير أو تفريغ أي سفينة بمرسى مستغانم إلا باذن من جلالة الملك ، وعلى سكان المدينتين إعلام القائد العام بكل مايهم جلالة الملك والقائد العام الاطلاع عليه وبكل مايتعلق بسلامة وهران والمرسى الكبير . وألا يُرغم أهل المدينتين على إعتناق الدين المسيحي [٢] .

وفي عام ٩١٩ هـ/ ١٥١٣م تنازل ملك أسبانيا عن إدارة طرابلس لنائبه في جزيرة صقلية ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت طرابلس تابعة لحكومة صقلية [٣] .

وفي سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥م توجهت كتيبة برتغالية [٤] بقيادة حاكم (أسفي) فرنانديس دي فايدي وقد انضم اليهم بعض المغاربة من أهالي وكالة الذين عرفوا بتعاونهم مع حاكم أسفي إلى أن وصلت إلى أبواب مراكش على بعد ١٥٠ كم من أسفي ، وقد دافع عرب مراكش بقيادة مولاي الناصر بوشنتوف عن مدينتهم دفاعاً

---

١ ـ كانت وهران والمرسى الكبير تحت الاحتلال الأسباني منذ عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م .

٢ ـ أحمد توفيق مدني : حرب الثلثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ص ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار ـ صححه وعلق عليه : الطاهر أحمد الزاوي ، الناشر مكتبة النور – طرابلس ليبيا – الطبعة الثانية . ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م – ص ١١٤ .

٤ ـ تألفت الكتيبة البرتغالية المغربية : إثر تعاون أهالي وكالة مع البرتغاليين ، واشتهر ابن توقت بأنه أحسن معاون مغربي لقائد حامية اسفي . وكان طرفا المعركة : عرب مراكش بقيادة مولاي الناصر بوشنتوف ، والبرتغاليين بقيادة حاكم أسفي فرنانديس دي فايدي . وانتهت المعركة بهزيمة البرتغاليين .

انظر : مارمول كربخال أفريقيا جـ ٢ ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

مستميتاً ، وبعد عدة معارك تخللها فترات من الهدنة استطاع مولاي الناصر بوشنتوف أن ينهي المعركة لصالحه [١] .

وفي سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م انتهز الأسبان فرصة انشغال الدولة العثمانية بحروبها في المشرق (مع الدولة الصفوية) وأخذوا من تنفيذ خطتهم الاستعمارية في البحر المتوسط ضد دول شمال أفريقيا الاسلامية ، فكانت الهجمة البحرية الأولى على ميناء المرسى الكبير في الجزائر لأهميته البالغة وخاصة في رسو السفن ، إضافة إلى كونه مأوى للبحارة المسلمين الذين اتخذوه مركزاً للإغارة على السفن والسواحل الأسبانية [٢] .

وفي هذا العام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م دارت معركة طاحنة بين الأسبان والجزائريين في (تلمسان) وعلى الرغم من مقاومة القائد المسلم عروج ومن معه لمدة ستة أشهر ، فإن الأسبانيين حطموا أسوار تلمسان بقصف مدافعهم المتواصل ثم تمكنوا من دخول المدينة (تلمسان) ، فانقلبت المقاومة إلى حرب في الأسواق والطرقات والمنازل ، ثم لجأ عروج في نهاية الأمر إلى قلعة (المشور) ، ثم استطاع بمجموعة من المقاتلين عن طريق الحيلة اقتحام صفوف الأسبان وقتل الكثير منهم ، فتمكن من الخروج ومعه رجاله المستميتون حيث توجهوا ناحية الغرب ومنها إلى ساحل البحر حيث اعتصموا بجبال بني سناس ، فحاصرهم الأسبان ، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة غير متكافئة أدت في النهاية إلى استشهاد عروج ومن معه من الرجال ، وهكذا تم للأسبان الاستيلاء على تلمسان [٣] والقضاء على المقاومة الجزائرية .

١ - شارل اندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية - الجزء الثاني ، ص ٢٥٧ .

ومارمول كربخال : أفريقيا جـ ٢ ، ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

٢ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط ، (ص ٤١ .

٣ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ -١٧٩٢ ص ص ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ .

ويتضح من خلال العرض السابق أن التعصب الأسباني الصليبي والرغبة في تحويل المسلمين عن دينهم بالاضافة إلى عدد من الأهداف الحربية والسياسية والاقتصادية ، كانت هي الأسباب الرئيسية التي دفعت بأسبانيا إلى استعمار بعض المدن والثغور في الشمال الأفريقي ، كما واصلت تنفيذ مخططها الذي أدى إلى احتلالها مناطق مختلفة من سواحل الشمال الأفريقي ، ونجحت في هذا إلى حدٍ بعيد .

ومما هو جديرُ بالذكر أن المقاومة الاسلامية في الشمال الأفريقي وعلى وجه الخصوص في منطقة الجزائر كانت مقاومة غير منظمة الأمر الذي أدى إلى استفحال الخطر الأسباني وازدياد هجماته على الشمال الأفريقي وهذا ماسوف يظهر لنا في العرض التالي :

ب ـ (**المواجهة البحرية ضد التحركات الصليبية**) :

ازداد الوجود العسكري الأسباني في منطقة الشمال الأفريقي وخاصة أفريقيا الوسطى حيث تشجعت الحكومة الأسبانية في الوقوف أمام الجبهة الإسلامية الجديدة التي يقودها خير الدين بربروسا بعد استشهاد أخيه عروج رغبة منها في القضاء على القوة الإسلامية والروح الجهادية في شمال أفريقيا والتي أصبحت تهدد الاستراتيجية الأسبانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط والقضاء على من كان فيها من الأسبان وفي الشمال الأفريقي [١] ، وقد أصبح هذا واضحاً بعد أن استطاع خير الدين بربروسا استعادة مدينة تلمسان ، والقضاء على من كان فيها من الأسبان وذلك في سنة ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م ، وقد كان خير الدين بربروسا قائداً محنكاً عركته

---

١ ـ نبيل عبد الحي رضوان ـ جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ص ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

التجارب والحروب فرأى أن الموقف في شمال أفريقيا يحتم عليه أن يمد يده إلى العثمانيين الذين أصبحوا قوة عالمية اسلامية ، وأنه بدون اشراكهم في المعارك القادمة ضد أسبانيا وأوربا المسيحية سيصبح نجاح الشمال الأفريقي في حروبه هدفاً بعيد المنال ، وربما وقع فريسة لاستعمار أسبانيا قد يطول مداه ، لهذا قرر السفر إلى الدولة العثمانية لتحقيق هذا الهدف ، فاجتمع بأعيان أهل الجزائر من المشايخ والعلماء ، وبين لهم عزمه على السفر للقاء السلطان العثماني سليم الأول بعد أن أمَّنَ بلاد الجزائر التي أصبح لديها جنود مجاهدون ، ثم اقترح على الجزائرين لحماية بلادهم أن يتصلوا بالسلطان العثماني سليم الأول ويمدوا له يد الطاعة لأنهم اذا مافعلوا ذلك فإن السلطان العثماني سوف يمدهم بالمال والرجال وسائر مايحتاجون اليه من آلات الحرب والجهاد ، ولايكون ذلك إلا بالدعاء له في الخطبة وضرب السكة باسمه ، فاستحسن الجزائريون رأيه . فلما عرف استحسانهم لرأيه أمرهم بكتابة رسالة على لسانهم للسلطان العثماني يخبرونه فيها بطاعتهم له ، وفي الوقت نفسه كتب خير الدين بربروسا للسلطان العثماني رسالة مثلها ، ثم عين خير الدين أربع سفن للسفر وعلى رأسها رجل من خواصه اسمه الحاج حسين ، ووجه بصحبته هدية عظيمة للسلطان العثماني سليم الأول ، فقبل السلطان سليم الأول العثماني الهدية ، وأمر بانزال الوفد وإجراء النفقة على رجاله ، وعندما عزموا على العودة وجه صحبتهم خطاباً وسنجقاً[1] إلى أهل الجزائر بقبول ماكتبوا به ، وأنهم ممن تشملهم عنايته وتحرسهم رعايته ، ثم سافر بعد ذلك خير الدين بربروسا إلى إسلامبول حيث التقى بالسلطان سليم الأول الذي قرر على الفور إرسال ألفي جندي من قوة سلاح المدفعية العثمانية ، وأربعة آلاف من المتطوعين للجهاد وجند الانكشارية . وأعطى للذين يذهبون إلى الجزائر كمتطوعين امتيازات الانكشارية تشجيعاً لهم على الانضمام إلى كتائب المجاهدين . كما منح السلطان سليم خير الدين بربروسا

---

١ ـ السنجق : اللواء العثماني .

لقب بيكلر بك الجزائر في سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨م (أي أمير أمرائها) وهو من أعظم القاب الدولة العثمانية [١] ومما لاشك فيه أن انضمام الجزائر للدولة العثمانية ومنح خير الدين بربروسا لقب بكلر بك الجزائر دليل على أهمية المواجهة بين الاسلام والمسيحية على البحر المتوسط .

كلف حاكم تلمسان [٢](ابن حمو الثالث) باتفاق مع أسبانيا في توجيه ضربة حاسمة على الجزائر وكان دوره يقتصر على الهجوم من جهة البحر ، كما عين (منكاد) قائداً ومعه شخص يدعى دي غونزولفو مارينودي ريبرا (De Gonzolvo Marino de Ribera) وقد أصيبت الحملة بالفشل نتيجة للخلاف بين القائدين .

وقد توجه الأسطول الأسباني في أول الأمر إلى وهران ، فاختار والي وهران [٣] والذي كان من القادة الأسبان - عدداً من سفنه واتجه بها إلى المرسى الكبير ، وفي هذه الأثناء أرسلت مفرزه من السفن الأسبانية إلى سهل سرت بالقرب من مستغانم ، وهناك هاجم جنودها قطعان الماشية وصادروها . ثم تحرك (هوجود ومنكاد) من وهران متجهاً إلى مدينة الجزائر واستطاع دخول مينائها ، ثم أرسل مفرزه من السفن لاحتلال موقع في غرب المدينة وخلال ذلك حدثت مصادمات خفيفة بين الأسبانيين وأهل الجزائر .

وفي ٩٢٥ هـ / ١٨ من آب سنة ١٥١٩م زحفت القوات الأسبانية حتى بلغت كدية الصابون فأقاموا فيها معسكراتهم ، ونشروا فيها عدداً من بطاريات مدفعيتهم

---

١ - نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس - ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ .

- أرجمنت كوران - السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر - ترجمة عبد الجليل التميمي - مطبوعات كلية الآداب بجامعة استانبول سنة ١٩٥٧م منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٠م ص ٢١ .

٢ - حاكم تلمسان هو ابن حمو الذي عز عليه منافسة خير الدين وعروج بربروساله في إقامة دولة جزائرية بعد انتصاراتهم عليه في تلمسان فتحالف مع الأسبان للتخلص من الدولة العثمانية .

٣ - عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية - ترجمة محمود علي عامر - دار النهضة العربية بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م ، جـ١ ص ص ٧٦ - ٧٧ .

لقصف مدينة الجزائر ، ولم يشرعوا في قصف المدينة إلا بعد وصول قوات سلطان تلمسان ، وعندما بدأ الأسبان هجومهم اضطر إلى خوض معارك عديدة ظهر فيها العثمانيون إلى جانب الجزائريين ، فبدأ الاعياء والإنهاك على القوات الأسبانية خلال يومين من بدء المعركة ، فلقد استطاع العثمانيون تشكيل فرقة من خمسمائة شخص بقيادة الريس خضر (خير الدين بربروسا) وكلفت هذه الفرقة بحرق زوارق الأسبان الموجودة على الساحل ، وقد خدع الأسبان بهذه الفرقة ، فتقدموا لمهاجمتها تاركين مواقعهم الدفاعية الأمر الذي أدى إلى انقضاض العثمانيين على الأسبان بكل قواهم فأوقعوا بهم هزيمة منكرة ، ومما ساعد على ذلك هبوب العاصفة البحرية في تلك الفترة الأمر الذي أدى إلى تحطيم عدد كبير من سفن الأسبان وغرق الكثيرين من جنودها ، ولم يتمكن من النجاه إلا عدد قليل منهم [١] .

وفي هذا العام ٩٢٦ هـ / ١٥١٩م كانت مدينة طرابلس تعاني من سيطرة فرسان مالطة ، وقد جرت محاولات من قبل الأهالي بتاجوراء [٢] للتخلص من سيطرتهم لكن المساعدات الكثيرة التي كان يتلقاها الفرسان المسيحيون المسيطرون على طرابلس حالت دون نجاحهم ، وهنا اتجهت النيه للاستعانة بالعثمانيين لانقاذ المدينة وتحريرها من نير الاحتلال المالطي ، فبعثوا باستغاثاتهم إلى السلطان سليم الأول الذي أسند بحث هذه القضية إلى مراد آغا [٣] .

وفي ربيع سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠م قاد خير الدين بربروسا قوة لاستعادة تنس

---

١ - عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ص ص ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ .

٢ - تاجوراء : بادية تقع على بعد ١٣ ميل شرق طرابلس انظر الوزان : وصف أفريقيا - جـ ٢ ص ١١٠ .

٣ - نجم الدين غالب الكيب - مدينة طرابلس عبر التاريخ - الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس - الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ، ص ٩١ .

فطلب قائدها النجدة من أسبانيا ، ولكن خير الدين عزز قواته بثمان عشرة سفينة ، وقاد قوة بحرية أخرى ، فاستعاد قلعتها ، ثم عاد إلى الجزائر . وفي الوقت الذي كانت فيه سفن خير الدين راسيةً في ميناء الجزائر وصل الأسطول الأسباني الذي كان مكوناً من عشر ومائة سفينة بقيادة الأمير فرديناند وعلى الفور خرج له خير الدين بربروسا بأسطوله وشن عليه هجوماً بحرياً معاكساً فَأجَاَ به الأسطول الأسباني الأمر الذي أدّى إلى حدوث الفوضى والاضطراب بين السفن الأَسبانية ، فأخذت سفن الأسطول الأسباني تصطدم بعضها ببعض ، وتسير باتجاهات مختلفة ، فحط بعضها على الشاطيء ، ودارت المعركة بين الأسطول الأسباني وهو في هذا الموقف الصعب وبين الأسطول العثماني ، وأسفرت المعركة عن هزيمة الأسطول الأسباني ، وتحطيم عدد كبير من سفنه ، وأسر بعض سفنه ، وفرار البعض الآخر (١) .

وفي هذا العام حاول الأسبان للمرة الثالثة الاستيلاء على جزيرة جربه (٢) ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل لإهتمام شارل الخامس بحروبه الداخلية (٣) .

وفي عام ٩٢٧ هـ/ ١٥٢١م اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية . فاستهل أعماله بتعزيز مواقع العثمانيين على الضفة اليمنى لنهر الدانوب ، ومهّد السبل أمام قواته (٤) بفتح بلغراد على الرغم من حصانتها ومتانة أسوار قلعتها ،

---

١ - عزيز سامح التر - الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ص ص ٧٨ - ٧٩ .

٢ - جزيرة جربه : قريبة من اليابس مواجهة للساحل لمدينة تونس .

٣ - حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٣ .

٤ - رو بيرمانتران - تاريخ الدولة العثمانية - ترجمة بشير السباعي - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - باريس - الطبعة الأولى - ١٩٩٣م - جـ ١ ص ٢١٧ .

- Stan Ford Show : History of the Ottoman Empire p . 91 .

وهذا مادفعهم إلى بناء جسر وربطه بالسفن للوصول إليها [١] وقد تأكدت عند السلطان سليمان القانوني الأخبار التي تحكي كثرة الأذى الواقع على المسلمين من أهل رودس [٢] المعروفين بفرسان القديس يوحنا .

حيث تعرضوا بالسلب والنهب لسفن المسلمين التي تحمل الحجاج المسافرين إلى مكة المكرمة ، كما هاجموا السفن الاسلامية التجارية المحملة بالحبوب والذهب والقادمة من الأقاليم العربية إلى السواحل التركية ، ونهبوا مافيها ، وقتلوا كل من قاومهم أو حاول الهرب مُعرضاً عن نداءاتهم [٣] (. . . . وهم أي كفره رودس أغنياء وأقوياء من الغير في جهة المال والخدمة بوجهين أحدهما أنهم صرفوا جميع أوقاتهم وساعاتهم في الليل والنهار في البحر إلى المقابلة والمقاتلة مع المؤمنين وغيرهم . . .) [٤] .

---

١ ـ رمضان : رسالة فتحية سليمانية متعلقة بفتح القلاع الانكروسية كبلغراد وغيره من القلاع المكتوبة في الرسالة ـ مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٢٧٩ وتوجد نسخة مصورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١١٠٧ تاريخ ٧٧ أ الورقة ٧٨ ب .

٢ – أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية – جـ٢ ص ١٥٦ .

محمود مقديش ـ نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار : تحقيق على الزاوي ومحمد محفوظ ـ دار الغرب الاسلامي – بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـ ص ٤٩ .

3 - M.A. Cook : Ahistory of the Ottoman Empire - p. 79 .

ـ أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ـ ص ١٥٧ .

ـ ابراهيم عبد القادر المازني ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية .

ـ نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ص ٣٤٤ .

٤ ـ رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ـ مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٢٢ وتوجد نسخة مصورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٣٧١ بتاريخ ـ الورقة ١٦ب الورقة ١٧ أ .

فضلاً عن أن الجزيرة تعتبر مركزاً أمامياً خطرا للمسيحيين وسط بحر من العثمانيين [١] ومما لاشك فيه أن فتح رودس يعتبر تعزيزاً للقوة البحرية العثمانية وتأميناً للمواصلات البحرية بين مصر والآستانة وللسفن المسافرة إلى الحرمين الشريفين والعائدة منها وليس للدولة العثمانية طريق إلى الغرب غير بلغراد براً ورودس بحراً [٢] .

وفي عام ٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م أرسل السلطان سليمان مصطفى باشا وبيري باشا إلى رودس وكان تحت قيادتهما أسطول مكون من ثلاثمائة سفينة وثلاثمائة ألف مقاتل وبحار [٣] ، وبعد حصار طويل لقلعة رودس دون ظهور نتائج مفيدة قدم السلطان سليمان بنفسه في أسطول وجيش آخرين كما استدعى من مصر جيشاً وأسطولاً واستمر في محاصرة قلعة رودس وقصفها بالمدفعية ستة شهور ، ونتيجةً لهذا الحصار القوى والقصف المدفعي المستمر لم يتبقَّ مع المحصورين شيء من البارود والمؤن ، وأشرف أغلبهم على الموت ، فاستسلموا وقبلوا الشروط التي عرضت عليهم ، وأهمها مغادرة الفرسان وجنودهم الجزيرة في أمان ، أما الباقون في الجزيرة فقد منحهم العثمانيون الحرية الدينية الكاملة مع إعفائهم من الجزية لمدة خمس سنوات [٤] .

---

١ - نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ص ٣٤٤ .

٢ - حبيب غزالة - جزيرة رودس جغرافيتها وتاريخها واثارها - تليها خلاصة تاريخية عن أشهر جزائر بحر إيجه - مطبعة الاعتماد - مصر - ص ٢٨ .

٣ - ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري - ص ١٣٠ .

- ول دايريل ديورانت : قصة الحضارة - الجزآن ٢٥ ، ٢٦ - ص ١٠٢ .

٤ - ابراهيم افندي : مصباح الساري ونزهة القاري - ص ١٣٠ .

- ول دايريل ديورانت : قصة الحضارة - جـ ٢٦ - ص ١٠٢ .

- محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار - ص ٥٠ .

وقد أخذ فرسان القديس يوحنا في نقل مقاتلي رودس وجندها والأهالي الراغبين في الهجرة منها على سفن تابعة لبابا روما إلى جزيرة مالطة بعد تحصينها بحيث أصبحت قاعدة قوية للعمليات الحربية ضد المسلمين في المنطقة الوسطى من البحر الأبيض المتوسط [١] وأسهموا إسهاماً حربياً ومباشراً في المحالفات الصليبية المكونة من البابوية في روما ومن دول أوروبية ضد الدولة العثمانية وأصبحوا يمتلكون عدداً من السفن التي تجوب البحر المتوسط بحثاً عن سفن المسلمين ليستولوا على ماتحمله من بضائع ومؤن وليأسروا ركابها ثم يلقوا بهم في السجون إلى أن يأتيهم الموت [٢] ، والجدير بالذكر أن فرسان القديس يوحنا منحوا جزيرة مالطة شريطة الدفاع عن طرابلس [٣] وذلك لأن مالطة تعطي بعض الحماية لصقلية الأسبانية وللملاحة المسيحية في وسط البحر المتوسط [٤] .

1- Stan Fard Show : History of the Ottoman Empire . p 87 .
- A.J. Gant : Ahistory of Europe From 1494 to 1610 Methaen and Coltd . London . p 224 .

- حسن سليمان محمود - ليبيا بين الحاضر والماضي - ص ١٦٤ .

٢ - عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - جـ ٢ ص ٩٢٧- ٩٢٨ .

٣ - الطاهر الزاوي - تاريخ الفتح في ليبيا - ص ٢٨٣ .

أبو عبد الله محمد بن خليل ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار ، ص ١١٦ .

اتوري روسي - ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ص ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي نقلها عن الفرنسية وحققها عبد الكريم الوافي - دار الفرجاني - طرابلس - ليبيا - ١٩٨٣م - ص ٩٦ .

٤ - جون رايت - تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور - تعريب - عبد الحفيظ الميار ، وأحمد اليازوري - ص ٩٠ .

لقد كان استيلاء العثمانيين على رودس ٩٢٩هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٥٢٢م بمثابة عزم السلطان سليمان على القيام بالهجوم على جبهتين ، والتغاضي عن القليل من المراكز الأوروبية وبالذات جزيرة قبرص وجزيرة شيوس الجنوبية في البحر الأبيض المتوسط الشرقي [١] وبالتالي فإن وقوع رودس في أيدي العثمانيين نشر الأمن في شرق البحر المتوسط [٢] وبعد هذا النصر الكبير الذي تم للدولة العثمانية باستيلائها على رودس فقد واصلت انتصاراتها ، ففي سنة ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٥م تمكن خير الدين بربروسا من ضم الجزائر وخاصة المناطق الداخلية للدولة العثمانية ، وكان أعظم نجاح حققه بربروسا في الجزائر هو استيلاؤه على قلعة بينون (penon)

في عام ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩م والتي كان الأسبان قد بنوها على جزيرة صغيرة أمام مدينة الجزائر إضافة إلى أنه بنى كاسرةً للأمواج لكي تصل مابين القلعة والجزيرة بالساحل وبذلك يكون قد أسس ميناءاً حصيناً بالجزائر وهو الهيئة العسكرية العثمانية المنوط بها أمر الدفاع عن الجزائر كما أسس أوجاق الجزائر [٣] وكانت تلك

---

1 - Paul Coles : the Ottoman Empact on Europ . Thames and Hudson - London . 1968 . p . 92 .

- نبيل عبد الحي رضوان ، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس - ص ٣٤٤ .

2 - Stan Ford Show : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . p87 .

- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني - ص ٨٩ .

٣ - تأسيس أوجاق الجزائر : يبدو أنه كان في نفس السنة التي استولى فيها بربروسا على قلعة بينون ١٥٥٩م ، لأن أحمد ابن القاضي دام حكمه في مدينة الجزائر ١٥٢١ - ١٥٢٧م وذلك بعد أن قسم خير الدين مملكة الجزائر إلى قسمين قسم شرقي يشمل البلاد القبائلية الجبلية ، من شرقي العاصمة الجزائرية إلى حدود المملكة الحفصية التونسية ، ووضع على رأس هذا القسم صديقه أحمد بن القاضي ، أما القسم الغربي الممتد من الجزائر إلى حدود دولة بني زيان غير المحددة فقد وضع عليها السيد محمد بن علي ثم أعلن ابن القاضي بعد ذلك الثورة على خير الدين بربروسا ، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٣ ، ٢٤ جمعت أبحاثهما في مجلد واحد للدكتور عبد الجليل التميمي بعنوان الدولة العثمانية وقضية الموريسكين ص ص ١٩٤ - ١٩٥ .

الانتصارات ، بداية للسيطرة العثمانية على المغرب [١] وفي مقابل هذا الأمر أخذ الأسبانيون يصرون على ملاحقة مسلمي الأندلس وتشديد الحملات عليهم وإقامة القلاع المحصنة في شمال أفريقيا ، وزيادة مراقبة الحركة البحرية العثمانية ، وقطع المحولات المتكررة التي يقوم بها البحارة المغاربة لإنقاذ مسلمي الأندلس (المورسكيين) من الأرض الأسبانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان البحارة المغاربة يتصلون برجال البحر المسلمين ويمدونهم بالمعلومات للقيام بهجماتهم بنجاح كبير [٢] .

وقد بررت السياسة الأسبانية في هذا الوقت هجومها على الجزائر باستنجاد الأسبان سكان الشواطيء الأندلسية من أجل تخليصهم نهائياً من المسلمين لذلك أقرت مبدأ تدخلها وهجومها على الجزائر منذ عام ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠م [٣] .

وفي هذا العام أرسل أمير تونس إلى أمير طرابلس التابعة لمالطة آنذاك يطلب منه عقد معاهدة صداقة ودفاع عنها فطلب والى طرابلس وقتاً لاستشارة الحكومة المالطية [٤] ، ورجاه ألا يرسل معونة للمسلمين في تاجوراء حتى تتم المعاهدة ، ولما علم خير الدين بربروسا بأخبار هذه المعاهدة أعد أسطولاً وتوجه به إلى تاجوراء وسيطر عليها في عام ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠م ، وطرد منها أنصار الحسن أمير تونس ومؤيديه ، وأبقى في تاجوراء أحد قواده وهو (خير الدين كرمان) مع عدد من الجنود والأسلحة والسفن الحربية ، فما لبث خير الدين كرمان أن قام ببعض التحصينات

---

١ - أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر .

- عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١م - ١٩١٣م : نقله من الفرنسية وعلق عليه : عبد الجليل التميمي : دار الكتب الشرقية : تونس - الطبعة الأولى ١٩٧٣م - ص ٢٦ .

- بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٣ ، ٢٤ ، جمعت ابحاثهما في مجلد واحد نوفمبر ١٩٨١م للدكتور عبد الجليل التميمي : بعنوان الدولة العثمانية وقضية الموريسكين - ص ص ١٩٤ ، ١٩٥.

٢ - المجلة التاريخية المغربية ، العدد ٣/١٩٧٥م ، عبد الجليل التميمي : رسالة من مسلمي غرناطه إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١ م - ص ٣٩ .

٣ - مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ص ٥٧ .

٤ - الحكومة المالطية : فرسان القديس يوحنا الذين حكموا طرابلس من سنة ٩٣٧هـ - ٩٥٨هـ ١٥٣٠-١٥٥١م .

لمدنية تاجوراء ، منها بناء حوض للسفن ، وبرج للدفاع عن السفن الراسية في الميناء ، كما قام بإعلان الحرب على فرسان القديس يوحنا في البر والبحر ، واستولى على بعض سفنهم مما أدى إلى إضعاف نفوذهم خارج أسوار مالطة [1] .

أما القيادة الأسبانية فإنها شرعت في وضع الخطط للإستيلاء على مدينة الجزائر ، فأعدت لهذا الغرض حملة اختارت لقيادتها الأميرال (أندريادوريا) ، وقد أبحر أندريا دوريا بقواته على ظهور عشرين سفينة حربية في سنة ٩٣٨ هـ/ ١٥٣١م وقام بالهجوم على الشواطيء القريبة من شرشال [2] ، وتمكن من إطلاق سراح نحو سبعمائة من الأسرى المسيحيين المشتغلين في تعزيز ميناء شرشال ، ولكن مدينة شارشال ردت على هذا الهجوم واشتبكت في معركة مع القوات المسيحية وأطلقت قذائف مدفعيتها على سفن أندريادوريا الأمر الذي جعله يولي هارباً تاركاً وراءه العديد من الجنود الذين وقعوا في الأسر [3] وقد كانت معظم الجهود التي صدت حملة أندريا دوريا جهوداً أهلية قام بها سكان المدينة نفسها ، أما عن الجهود التي بذلتها الدولة العثمانية لصد هذه الحملة فعندما علم خير الدين بربروسا بإعدادات الأسبان لغزو الجزائر ، أعدَّ خمساً وثلاثين سفينة في ميناء الجزائر ، كما أخبر الرئيس سنان الموجود في جزيرة جربه [4] ، وطلب منه الحديث الى جميع القباطنة بخطة الأسبان ، فالتحقوا جميعهم بسفن خير الدين بربروسا الذي بادر في شهر

---

١ - الطاهر أحمد الطرابلسي الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ص ٢٨٤ .

٢ - شرشال : مدينة على البحر الأبيض المتوسط تقع غرب مدينة الجزائر بمسافة ١٢٠ كم انظر حسين مؤنس أطلس تاريخ الاسلام - ص ١٦٦ .

٣ - مبارك محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ٥٨ .

عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٩٤ .

أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ - ١٧٩٢م - ص ٢٢٣ .

٤ - جزيرة جربة : مجاورة لليابسة قبالة السواحل التونسية ودائرتها نحو ثمانية عشر ميلاً .

انظر الحسن بن محمد الوزان : وصف أفريقيا جـ٢ ص ٩٣ .

الحـجة ٩٣٧هـ/ يوليه ١٥٣١م بنجـدة مدينة شرشـال وحماية الشواطيء القريبة منها [١] فباءت الحملة الأسبانية بفشل ذريع [٢] .

وفي عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م تلقى القائد الأسباني (دون الفارودوبازان don Al varode Bazan) أمر الإمبراطور شارلكـان بمهاجمة مدينة (مرسى هنين) واحتـلاله ، وكان هدف الإمبراطور من ذلك إحاطة وتطويق الجزائر من شرقها وغربها ، وفرض سيطرته على بني حفص بتونس ، وعلى بني زيان في تلمسـان ، وقد انتـهت هذه الحملة باحتلال هذه المدينة[٣] على الرغم من مقاومة سكانها [٤] ، وقد كـان لضم العثمانيين مدينة تونس أثر سيء على أميرها (الحسن) [٥] الذي لم يلبث أن لجأ إلى فرسان القديس يوحنا لعقد معاهدة دفاعية ضد العثمانيين ، وأكد معاهدته هذه بأن قاد جيشاً لغزو طرابلس وتاجوراء من طريق البر وخاصة عندما سمع بأعمال خير الدين في تاجوراء ، فبادر في عام ٩٣٨ هـ/ ١٥٣٢م بمحاصرة تاجوراء ، ثم زحف ببقية جيشه صوب طرابلس ، إلا أن والي طرابلس لم يف بوعـده الـذي قطعه على نفسه بمساعدة الأمير الحسن [٦] ، وفي الوقت نفسه وصلت نجدات حربية إلى

١ - أحمد توفيق المدني حرب الثلاثمائة عام ص ٢٢٢ .

٢ - عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية - ص ٩٤ .
مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ص ٥٨ .

٣ - أي مرسى هينن .

٤ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ - ١٧٩٢م ، ص ٢٣٦ .

٥ - هو الحسن بن محمد بن الحسن الحفصي ينتمي إلى الحفصيين ومملكته تونس
أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة عام ص ٢٢٩ .

٦ - الطاهر أحمد الطرابلسي الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ص ٢٨٥ .
ابن غلبون - التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار - ص ١٢١ .

(خير الدين كرمان) ، بعث بها إليه خير الدين بربروسا ، فأصبح عدد سفن أسطوله في تاجوراء خمس عشرة سفينة حربية كبيرة ، واستطاع خير الدين كرمان الدفاع عن تاجوراء بشرف وبسالة ، ومالبث أن قدم خير الدين بربروسا في حملة كبيرة لنجدة تاجوراء ، فأنزل جنوده على صفاقس [١] وضمها للدولة العثمانية وذلك في سنة ٩٤٠ هـ/ ١٥٣٤م .

وأما الأمير الحسن فإنه عندما علم بهذه النجدة رحل من تاجوراء وذهب إلى خير الدين بربروسا في صفاقس معلناً تخليه عن سياسته الماضية وقد دفعه إلى هذا فشل حملته وضياع آماله .

وأما فرسان القديس يوحنا فقد أقلقهم تقدم خير الدين كرمان إلى طرابلس الأمر الذي دفعهم إلى تحصين قلاعها وإصلاح أسوارها ، فاحتاجوا إلى الكثير من الأموال ، وهذا ماجعلهم يقومون بفرض الضرائب المرهقة على أهالي طرابلس ، وقد سرت الدولة العثمانية بالنجاح الذي حققه خير الدين بربروسا في الشمال الأفريقي فاستدعى السلطان سليمان القانوني خير الدين بربروسا إلى استانبول ، فأبحر بربروسا بأسطوله إلى استانبول [٢] ثم ذهب إلى حلب للتشاور مع الصدر الأعظم حيث وجهت إليه هناك ولاية الجزائر .

ولما عاد إلى إستانبول بنى في ترسانتها عدداً من السفن الحربية والناقلة ليستعين بها على ضم تونس [٣] إلى الدولة العثمانية ، فبعد أن استتب الأمر للعثمانيين في مدينة الجزائر - وذلك بفضل المساندة العسكرية والمعنوية التي كانوا يتلقونها من

---

١ - صفاقس : مدينة على البحر المتوسط جنوب مدينة المهدية في تونس - انظر حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام - ص ١٦٦ .

السلطان سليمان القانوني - أصبحت السياسة العثمانية تهدف إلى إشغال جيوش شارل الخامس في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي ، وقد بدا ذلك واضحاً في تحول اهتمام العثمانيين إلى تونس وذلك لضمها إلى الجبهة العثمانية وليصبح التنقل الاسلامي في البحر الأبيض المتوسط حراً آمناً [1] ففي ٣شوال ٩٤١ هـ/ ٨ من ابريل سنة ١٥٣٤م قام خير الدين بربروسا بحملته الأولى على تونس التي كان يحكمها في ذلك مولاي الحسن من سلالة الحفصيين ، وقد استقبل خير الدين من قبل الشعب التونسي أفضل استقبال ، لذلك استطاع ضم مدينة تونس بسهولة [2] ثم خطب

١ - عبد الرحمن تشايجي - المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ - ١٩١٣م - ص ٢٧ .

المجلة التاريخية المغربية - العدد ٣ - ١٩٧٥م : عبد الجليل التميمي : رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١م ، ص ٤٠ .

٢ - عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسية العثمانية ١٨٨١ - ١٩١٣م - ص ٢٧ .

- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٢٣٢ .

- يلماز أوزتونا - تاريخ الدولة العثمانية - ص ٢٩٤ .

- أحمد توفيق مدني - حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ - ١٧٩٢ - ص ٢٩ .

- محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية - دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦ - ص ٦١ .

- عبد العزيز محمد الشناوي : أوربا في مطلع العصور الحديثة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الخامسة ١٩٨٥م جـ ١ - ص ٢٩٧ .

- محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري إلى ختام القرن الثالث عشر - طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة - العقبة - تونس - أكتوبر ١٩٧٤م ، ص ١٨٨ .

للسلطان العثماني فيها ، ووضع فيها حامية ، لكن لما وصل الإمبراطور شارلكان [1] خبر سقوط (تونس) أعد حملة ضخمة من الأسبان والإيطاليين والألمان قادها بنفسه بعد التحالف مع فرسان القديس يوحنا ، وكان الهدف منها طرد العثمانيين من تونس وإعادة مولاي حسن إلى تخت ملكه فيها ، فنزل بقواته في حلق الواد وذلك في محرم ٩٤٢ هـ/ (يوليو ١٥٣٥م) ثم حاصر مدينة تونس مدة شهر ، وهنا قرر خير الدين بريروسا إغلاق المدينة ومحاربة العدو من خارجها واختار بعض المواقع المناسبة للتمركز ، وقبل البدء في المعركة ظن أن الأهالي سيعلنون تمردهم إستجابة لطلب مولاي حسن فبين لهم أنه سيحارب الأسبان خارج القلعة ، وهنا شعر الأهالي بالخجل فأعلنوا بصوت واحد أنهم سيشتركون معه في الدفاع عن المدينة ، وكانت القوات المشتركة في الدفاع ثلاثة أرباعها من العثمانيين ، والربع المتبقي من التونسيين ، وفي أثناء القتال وصلت قوة صغيرة من الجزائر فازدادت قوة خير الدين بقدومهم ، وتمكن بمن معه من إلحاق خسائر فادحة بالعدو ، لكنه أمام كثرة عدد العدو وعدته فقد أمله في تحقيق النصر ، فقرر الانسحاب فانسحب التونسيون أولاً إلى القلعة ، ثم اضطر خير الدين باشا إلى سحب مدفعيته إلى داخل القلعة ، وفي اليوم الثاني بدأ خير الدين باضافة المتاريس إلى القلعة ، وطلب من جنوده مهاجمة الأعداء ومشاغلتهم ريثما تصله الإمدادات من الجزائر ، ولكي يبث الحماس في نفوس جنوده قاد بنفسه عدة هجمات ، غير أن التونسيين تركوا المدينة وفروا منها هاربين [2] وفي الوقت الذي خرج فيه خير الدين إلى القلعة ، كان قد عهد إلى وكيله ـ المهتدي فرنك جعفر ـ بمهمة المحافظة على المدينة ، وترك في يده سبعة آلاف أسير أوروبي ، لكن

---

١ ـ شارلكان ـ ١٥١٦ ـ ١٥٥٦م هوشارل الخامس ورث إسبانيا عن جديه فرديناندو وإيزابيلا وورث نابلي أو الصقليتين اللتين كان فرديناند قد ضمها في سنة ١٥٠٤م . وورث عن والده فيليب الأراضي المنخفضة في سنة ١٥٠٦م ، وعن جده مكسمليان أملاك أسرة هابسبرج في سنة ١٥١٩م .

انظر : د. نبيل رضوان ـ أوربا في العصر الحديث .

٢ ـ عزيز سامح التر ـ الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ص ١١٦ .

فرنك جعفر خرج على خير الدين ، فأطلق سراح الأسرى الأوروبيين الذين سرعان ماستولوا على المدينة وأغلقوا أبوابها ، وعندما علم خير الدين بالأمر ـ توجه إلى عنابه [١] لانتظار وصول المدد ونتيجة للقصف الكثيف والمركز والمستمر من قبل الأسبان وبمساعدة الأسرى الذين فتحوا أبواب المدينة تمكن شارلكان من دخول مدينة تونس في سنة ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥م [٢]، واستولى على مابقلعتها وثغرها من المدافع والسفن ، ثم دخل الجنود الأسبان المدينة ، وصرح لهم شارلكان بسلبها ونهبها ، فسلبوا ونهبوا جامع الزيتونة ، وبددوا ماكان به من النفائس والمحفوظات ، وفسقوا وارتكبوا كل أنواع المحرمات ، وحرقوا ومزقوا أغلب الكتب النفيسة ، ثم دخلها شارلكان ، ومنع جيشه من الاستمرار في ارتكاب هذه الأعمال [٣] ، ثم نصب الحسن الحفصي على كرسي الحكم ، بعد أن عقد الطرفان معاهدة في (٦ من صفر ٩٤٢ هـ / ٢٦ من يوليو ١٥٣٥م [٤] وهي بالنسبة إلى الحسن الحفصي تعد معاهدة الخزي والعار ، وأهم ماجاء في بنودها السماح للأسبان بالسكن في جميع أنحاء تونس ، وممارسة طقوسهم الدينية دون أن يتعرض لهم أحد ، وأن يتنازل الحسن الحفصي عن (عنابة وبنزرت وحلق الواد والمهدية) [٥] لإقامة حاميات أسبانية بها ، وأن يدفع الأمير الحفصي للأسبان اثنتى عشرة ألف دوكة سنوياً ، وقد

---

١ ـ عنابه ـ بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط في خليج نوميديا على بعد أربعين فرسخاً من مدينة تونس غرباً ـ انظر : مارمول كربخال أفريقيا جـ ٣ ص ٧ .

٢ ـ عزيز سامح التر ـ الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ـ ص ١١٥ .

٣ ـ محمد فريد بك المحامي ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ ص ٤٣٢ .

٤ ـ المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ ـ ٣٠ جمعت أبحاثهما في مجلد واحد ، ١٩٨٣م ـ بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر ـ ص ٧٥ .

٥ ـ كانت المهدية محطة تبادل تجاري مع الاسكندرية ، وهذا مايعكس مدى حيوية هذا الميناء انظر المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ ، ٣٠ جمعت أبحاثهما في مجلد واحد ١٩٨٣م - بحث للدكتور عبد الجليل التميمي ، رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر - ص ٧٥ .

حسن حسني عبد الوهاب بعنوان خلاصة تاريخ تونس ـ ص ١٣٢.

حاول شارلكان بعد إخراج العثمانيين من تونس وتعيين مولاي حسن حاكماً عليها مواصلة إنتصاراته ، وذلك بمهاجمة العثمانيين في الجزائر وفي بقية المواقع الأخرى ، لكن نشوة النصر وظهور التعب والإرهاق على جيشه وتأكده من عدم قدرة قواته على متابعة الهجوم ، جميع هذه الأمور أرغمته على الانسحاب إلى بلاده ليزف إليها تباشير النصر بالاستيلاء على تونس من الأتراك العثمانيين[١] .

وقد كان لاستيلاء الأسبان على تونس رد فعل عنيف لدى خير الدين بربروسا فشن هجوماً عنيفاً على سواحل أسبانيا وجزر البليار قبل انتهاء عام ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م .[٢]

وكان خير الدين بربروسا يهدف إلى إقامة دولة بحرية قوية تابعة للعثمانيين في شمال أفريقيا ، لتصبح السيادة للدولة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ولما لاح في الأفق تحقق هذا الهدف أرهبت نتيجة لذلك البندقية رهبةً جعلتها تتحلل من التحالف البحري الأوروبي ضد العثمانيين ، وأحس المسيحيون بتضييق الأتراك العثمانيين عليهم خاصة بعد أن حاصر العثمانيون كورفو[٣] في عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م ، وفتحوا كريت في هذا العام .[٤]

---

١ - عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ص ١١٥ ، ١١٦ .

2 - Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ . p 93 .

٣ - كورفو- تقع على مستوى جنوب البانيا وشمال اليونان .

محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٢٣٤ .

٤ - محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر- ص ١٢٩ .

وهذا ماجعل الإمبراطور شارلكان يقرر إعداد حملة للقضاء على الأتراك العثمانيين في غربي البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه الحملة تعد أكبر قوة عسكرية في القرن السادس عشر ، فقد شارك فيها نبلاء أسبانيا وإيطاليا ، وألمانيا كجنود متطوعين إضافة إلى مشاركة فرسان القديس يوحنا [١] وقد أسندت القيادة إلى (إندريادوريا) وكان الهدف من هذه الحملة عدة أمور : أولها الاستيلاء على الجزائر ، ثم إجتثاث العثمانيين من البحر الأبيض المتوسط وعزل فرنسا ، وقطع الإمدادات عنها والتي تصل إليها عن طريق حلفائها العثمانيين ، وبذلك يتسنى لأسبانيا التخلص من منافسيها وذلك للإعتقاد السائد لدى الأسبان وهو أنه لولا بروز العثمانيين بالمغرب لتمكنوا من إنشاء مملكة على السواحل المغربية ، ولقطعوا من خلالها الطريق على رسل المورسكيين إلى استانبول لطلب النجدة [٢] ولم يضع الإمبراطور شارلكان في تقديره الحربي التغيرات العنيفة في الجو في فصل الخريف في بلاد الجزائر حيث كان الجو صحواً حينما رسا بقواته على أرض الجزائر [٣] فأرسل الى حاكمها ليسلم المدينة ومإإن تمت عملية الإنزال حتى تغير الجو ، وهطلت الأمطار بغزارة ، وهبت عاصفة [٤] شديدة استمرت عدة أيام فاقتلعت خيام الجنود ، ونتيجة لذلك ارتطمت السفن بعضها ببعض مما أدى إلى غرق كثير منها ، كما قذفت الأمواج ببعض السفن إلى الشاطيء فهجم عليها المدافعون المسلمون واستولوا على أدواتها وذخائرها ، إضافة إلى الأمطار قد أفسدت مفعول البارود ، وقد أراد شارلكان مواصلة الهجوم على

١ - عزيز سامح الترـ الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ـ ص ٥٦ .

٢ ـ المجلة التاريخية المغربية العدد ٣ ـ ١٩٧٥ عبد الجليل التميمي ـ رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١م ـ ص ٤٠ .

٣ - عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها - جـ ٢ ـ ص ٩١٩ .

٤ - مبارك محمد الهلالي الميلي ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ ص ٦٦ .

- شارل أندري جوليان ـ تاريخ أفريقيا الشمالية جـ ٢ ص ٣٣٢ .

- عبد الحميد البطريق ، وعبد العزيز نوار ـ التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ص ٧٩ .

- عمر الاسكندري ـ وحسن سليم ـ تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ، مكتبة مدبولي ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - القاهرة جـ ٦ ، ص ٣٠ .

الجزائر إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل ، فقد خرج الجزائريون لملاقاة قواته مستغلين هذه الكوارث الطبيعية ، فقضوا على جزء كبير منها ، فاضطر الإمبراطور شارلكان إلى الانسحاب مع بقية جنوده وماتبقى له من سفن [١] وبذلك هزم جيش شارلكان هزيمة ساحقة ، وهي أكبر هزيمة تلقاها شارلكان في حياته . [٢]

ولقد أكسبت هزيمة شارلكان الجزائر سمعة لها أثرها البعيد في عالم البحر المتوسط والعسكرية البحرية ، ودفعتها إلى أن تلعب دوراً مهماً .

وقد أثارت بنود هذه المعاهدة الأهالي على الأمير الحسن الحفصي فقبضوا عليه وسملوا عينيه ، فخلفه ابنه [٣] الذي حاول أن يحد من التيار الاستعماري الأسباني ، ولكن الأسبان نجحوا في عام ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠م في الاستيلاء على صفاقس وسوسة ومناستير [٤] ، ويقال أنه في هذه المواقع مات الثلث من أهل تونس ، ونجا الثلث ، وأسر الثلث ، وأن المأسور كان يفتدى نفسه بألف دينار . [٥]

---

١ - عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها - ص ٩١٩ .
- جلال يحيى - تاريخ المغرب الكبير - جـ ٣ ، ص ٢٦ .
- إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ، ص ١٧٠ .
- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ص ٣٦ .
- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصور الوسطى - ص ١٨٩ .

٢ - محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، ص ١٣١ .

٣ - هو أبو العباس الثاني ابن الأمير الحسن الحفصي .

٤ - شوقي عطا الله الجمل - المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٧٧م ص ٨٧ .
- صفاقس : تقع على الشاطيء ، وتبعد عن العاصمة بنحو ستة وعشرين فرسخاً جنوب شرقي البلاد .
- سوسه : تقع على الساحل في مكان مرتفع من ناحية البر ، وتبعد عن القيروان اثنى عشر فرسخاً على طول الساحل ، وتبعد عن تونس خمسة وثلاثين فرسخاً على البر .
- مناستير : تقع على الساحل على بعد أربعة فراسخ من سوسة إلى جهة المشرق .
أنظر : مارمول كريخال أفريقيا جـ ٣ ص ص ٩٤ ، ٦٤ ، ٦٧ .

٥ - أحمد أبي الضياف - إتحاق أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان .
مطبعة الدار التونسية - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - جـ ٢ - ص ١٤ .

وبعد تلك الهزيمة الساحقة التـــي منـــي بها الأسبان أمـامَ مدينـة الجـــزائر فـــي عـــام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م نقلوا الصراع بينهم وبين القوى الإسلامية العثمانية من الجزائر إلى تونس ، حيث استطاع القائد الأسباني (أندريا دوريا) الاستيلاء على العديد من المدن في اقليم تونس مثل صفاقس ، وسوسه ومناستير مما أثار سخط السكان على بني حفص لتخاذلهم أمام الغزو الأجنبي ، فانتشرت الثورات الداخلية ضد حكم الحسن ، فاضطر الحسن إلى الرحيل إلى أوربا لطلب المساعدة [١] وشاكياً أمره الى شارل الخامس فلم يجد منه التفاتاً ، فعاش في فقر ومذلة حتى توفى ، فجلس الأمير حميدة على عرش أبيه في تونس ، وا ضطرته الظروف الماحقة إلى استرضاء الأسبان والأتراك العثمانيين ، وعقد أكثر من معاهدة مع كل جبهة ، فتنازل للأتراك العثمانيين عند مواني جوليت والمهدية ، وتعهد بتقديم مايلزمهم من المؤن والجند [٢] .

وفي عام ٩٥٧هـ/ ١٥٤٣م حاول شارلكان إعادة الكره على الجزائر بناءً على مشورة قائده البحري لكنه هُزم هزيمة منكرة ، وتعتبر هذه الهزيمة السبب المباشر في مبادرة سلطان تلمسان [١] (مولاي محمد) بطرح سيادة أسبانيا عنه وإعترافه بسيادة العثمانيين ، وهذا ما دفع المسيحيين الأوربيين إلي تجديد حملاتهم على الجزائر ، فقد امد شارلكان الكونت الكوديت بناء علي طلبه بالرجال والعتاد والسفن ، وما إن أتت

---

١ – عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها – جـ ٢ ، ص ٩٢١ .

– صلاح العقاد : المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر تونس المغرب الأفريقي) مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة (ط – ٥) ١٩٨٥ م ، ص ٢٣ .

– جلال يحيى : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ٢٥ .

– ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٣٤٦ .

٢ – زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب) .

مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٦٧م – ص ٧٩ .

٣ – تلمسان : عاصمة اقليم مملكة تلمسان على بعد سبعة فراسخ من البحر المتوسط في جهة الجنوب .

أنظر : مارمول كربخال أفريقيا ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٤م حتي تقدم الكونت الكوديت على رأس جيش أسباني كبير صوب تلمسان ، وكان أهلها يومئذ عاكفين على الرباط الحربي فدارت بين الأسبان وأهالي تلمسان معركتان : الأولى في سهل إنكاد ، والثانية تحت أسوار المدينة حيث إقتحم بعدها الأسبان مدينة تلمسان وعاثوا فيها سلباً ونهباً [١] ثم نصبوا عبدالله الأخ الأصغر لمولاي محمد ملكاً عليها ، الا أن الأهالى بايعوا ملكهم السابق ، وعلي الرغم من الإنتصارات الأولية التي حققها الأسبان فإنّ الفشل كان في النهاية حليفهم بسبب الطريقة التي استخدموها والتي تعتمد على الهجمات دون التمركز الدائم [٢]، وفي عام ٩٥٢هـ / ١٥٤٥ م تعرضت قبيلة (لماية) [٣] بهجوم بري وبحري عنيف شنه عليهم فرسان القديس يوحنا ، نتيجة لفرار رهائن كانوا لديهم من قبيلة لماية ، وبسبب رفض أهالي لماية تسليم غيرهم إلي الفرسان ، وإلقائها القبض علي رسل الفرسان الذين ذهبوا الى هذه القبيلة لمفاوضتها في أمر الفارين ، ثم قيامها ببيع هؤلاء الرسل إلي مراد أغا التابع للعثمانيين ، وقد أسفرت هذه الحملة الانتقامية عن القضاء على عدد كبير من أهالي لماية ، وأسر عدد كبير من رجالها ، وإستيلاء الفرسان على جميع أموال القبيلة وخيراتها ومقوماتها ، ولم يترك الفرسان ديارها الا

---

١ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣١١ .

٢ – شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص ٣٤٢ .

زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصر الحديث ، ص ٧٦ .

٣ – تقع غرب قرية جنزور التي تبعد عن طرابلس ٣٠ كم ،

حسن سليمان محمود – ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٩ .

بعد أن أصبحت خاوية علي عروشها (١) وقد واصل القائد الهمام خير الدين بربروسا جهوده التي توجها بإقامة وحدة عسكرية بينه وبين العثمانيين ، وانضمامه للعثمانيين ، وجعله مدينة الجزائر مدينة آمنة قوية حتي أصبحت في نظر الأوربيين المدينة التي لا تقهر ، لهـذا اتخذها العثمانيون قاعدةً حربيةً ينطلقون منها ضد الأمم الأوربية المسيحية المعادية ، كذلك يرجع الفضل إلى الله ثم إلى بربروسا في تكوين أكبر تحالف بين السلطان سليمان القانوني وبين فرانسو الأول (٢) فأضاف الي سجله الحربي المشرف سجلاً سياسياً مرموقاً . وقد إنتقل هذا القائد الشجاع المؤمن خير الدين بربروسا إلي رحمة الله في عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م (٣)تاركاً وراءه الكثير من القباطنة الأقوياء ، فتولي منصبه إبنه حسن بن خير الدين بربروسا (٤).

وفي سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م شن شارلكان هجوما كاسحا علي المهدية ، ثم قام بتطويق المدينة براً وبحراً وتم له الإستيلاء عليها (٥) إلا أن دارغوث تمكن من طرد

---

١ – أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ،ص ١٢٥ .

وحسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٦٩ .

٢ – عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية – ص ١٠٨ .

3- Paul coles : The Ottoman Empact on Europ . P 93

عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية – ص ١٠٨ .

M . A . Cook : Ahistory of the Ottoman Empire 1730 . p 100 .

4- I b id . P 100

أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر – ص ٩٣ .

5- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ . p 143 .

نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ص ٣٥٧ .

شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ص ٤٨ .

حسن سليمان محمود : ليبيا بين الجاضر والماضي ، ص ١٧٠

الأسبان ، ثم أعيدت محاولة الإستيلاء في العام التالي بحملة قادها كل من أندريادوريا ونائب ملك صقلية ، وعلى الرغم من دفاع القائد الشجاع درغوث باشا عنها هو وجيشه والمرابطون فإن القوات الأسبانية تمكنت من إقتحامها ، وأراد الإمبراطور شارلكان أن يمنح المهديه لمنظمة فرسان القديس يوحنا لكنهم رفضوها فأمر بتخريبها وهدم تحصيناتها بالديناميت حتي لا يتخذها العثمانيون مركزاً من مراكز دفاعاتهم أو هجومهم فيما بعد (١) ثم استولى على قلعتها وقد ردّ دارغوث باشا على هذا الهجوم الأسباني السافر على المهدية بأن استولى على طرابلس وحررها في عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م (٢) ولم تُجد محاولة (فاليير) حاكمها المسيحي لطلب النجدة من فرسان القديس يوحنا وملوك أوربا ، غير أن فرسان مالطة حاولو فيما بعد استرجاع مدينة طرابلس ووجهوا حملةً إلي زواوة (٣) لكنهم لم ينجحوا الا في أسر بعض الأشخاص الذين اقتصر عملهم علي القيام ببعض الأعمال التي تخدم الأمور الدفاعية في مالطة (٤).

1- Stan Fordshow : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . p 106 .

– أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط - ص ٣١٠ .

2- M. A . Cook : Ahistory of the Ottoman Empire to 1730 . p . 100 .

Stanford show : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . p . 106

– إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ م ، ص ١٧٨ .

– حسن محمود سليمان : ليبيا بين الماضي والحاضر – ص ١٧٠ .

– نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ – ص ٩٢ .

٣ – زواوة : مدينة صغيرة بناها الأفارقة تقع على ساحل البحر المتوسط بعيدة بنحو خمسين ميلاً عن جزيرة جربه شرقاً عن طريق البحر . أنظر :

– الحسن بن محمد الوزان : وصف أفريقيا ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

٤ – المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ – في مجلد واحد – ١٩٨٣ م .

– بحث د . عبد الجليل التميمي . رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر ، ص٧٨.

وفي سنه ٩٦١هـ / ١٥٥٣م بعث حاكم المهدية الأسباني رسولاً إلي نائب الملك بصقلية يحثه على إرسال أجور الجند ، ويهدد بأنه في حالة رفضه فسوف يقبل عرض مراد أغا الذي يتمثل بإنقاذ الحامية الأسبانية وإخراج الأمتعة في مقابل تسليم القلعة [١] .

وفي عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م هاجم الولاة العثمانيين بشمال إفريقيا حكام مراكش بسبب تقديمهم المساعدة للأسبان ، ومع أن الغلبة كانت للعثمانيين الذين تمكنوا من دخول فاس[٢] الا انهم لم يتمكنوا من البقاء فيها [٣] .

وقد قدم دارغوث باشا إلي طرابلس واليا عليها في سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٧م ومعه عدد كبير من العساكر ، فتولى الأمر فيها ، وعمر أرجاءها وما يتبعها من بلدان ، ووضع الإستحكامات ، وجعلها في غاية المتانة ، والقوة ، فأقام العدل ونشر الأمن في البلاد ، ثم أخذ في بث السرايا على الأعداء ، ومن ثم كان يرجع بالغنائم التي كانت تصرف فيما بعد في معاشات الجند ، ونفقات الأسطول (٤) .

ولقد أدرك الكونت دا الكوديت أن إسترداد العثمانيين لتلمسان سيهدد الأسبان تهديداً خطيرا لذلك قرر الهجوم على (مستغانم) إحدى القواعد العسكرية العثمانية ليستولي عليها وليتخذها قاعدة للهجوم على الجزائر (٥) .

---

١ – إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ م – ص ١٨٤ .

٢ – فاس : عاصمة المملكة وبلاط الغرب وهي أكبر وأجمل مدينة بأفريقيا .

– أنظر مارمول كربخال أفريقيا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

٣ – أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر : ص ٩٣ .

٤ – أحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١١ .

5- Fernand Braudel : The Mediterranean .

عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢٠٤ .

أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٧٣ .

نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص ٣٨٠ .

وقد تحرك الكونت داالكوديت في عام ٩٦٥هـ / ١٥٥٨م علي رأس جيش كبير قدر عدده بإثني عشر ألف أسباني رافقهم أعداد كبيرة من القوات المحلية (١)، إضافة إلي السفن التي تحمل الأسلحة والذخيرة والمؤن والاثقال (٢) . فلما علم حسن باشا بتحركات الاسبان استعد لذلك ، ثم تحرك بقواته من البر والبحر ، وأخذ يراقب تحركات العدو فلما ظهرت سفن الأسبان في البحر أمر حسن باشا سفنه بمهاجمتها وخاصة السفن المحملة بالمؤن والمعدات فانهارت نتيجة لذلك معنويات القوات الأسبانية ، وأصيبت بخيبة أمل ، ثم قام بك تلمسان ومحافظوها بمطاردة القوات الأسبانية التي كانت تزحف على البر ، وقد انضم الى أهالي تلمسان كثيرون من الجزائريين الذين لبوا نداء الجهاد فأعملوا في العدو قتلاً وأسراً (٣) وانتهت هذه المعركة بانتصار القوات العثمانية ، وهزيمة القوات الأسبانية هزيمة ساحقة إضافة إلى الخسائر الفادحة التي منيت بها القوات الأسبانية ، وقد قتل في هذه المعركة حاكم وهران الأسباني (٤)

وقد خلف شارل الخامس الذي توفى في عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م إمبراطور أسبانيا على الحكم فيليب الثاني ، وأول مااتجه إليه فيليب الثاني هو تفكيره في إيقاف

---

١ – القوات المحلية : جماعة كبيرة من الأغراب المرتزقة مثل القائد المنصور بن بوغانم ، ومن معه من بني عامر وبني راشد وغيرهم ..

– أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة عام ص ٣٧٣ .

– أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ص ٣٧٣ .

٢ – عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢٠٤ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٣٨٠ .

٣ – عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢٠٥ .

٤ – نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندليس ، ص ٣٨٠

التهديدات العثمانية للأسبان في شمال أفريقيا (١) ، مستجيباً في ذلك لنائبه في صقلية الدوك دومادينا سيلي ، وللمرشد الأكبر في مالطة جون دوفايت (٢) اللذين كانا يسعيان لإقناعه بإعداد حملة بحرية جماعية .

وبالفعل فقد أمر فيليب الثاني بإعداد حملة لغزو طرابلس الغرب ، وكان لهذه الحملة أسباب عديدة أهمها : استتباب الأمن مع فرنسا (٣)، ومساعدة إيطاليا للتخلص من خطر جيرانها العثمانيين ، والأخبار التي بلغت فيليب الثاني وفحواها أن وضع دارغوث باشا سيء وسط عرب شمال أفريقيه الذين يحقدون على العثمانيين ، وأن تجريد هذه الحملة سيساعدهم في التخلص منه (٤) قبل أن يتمكن من تحصين المدينة والقلعة خاصة وأن معلومات الأسبان عن طرابلس أنها غير محصنة وبها حوالي خمسمائة جندي فقط ، غير أن الأسبان لم يدركوا أن لدراغوث باشا جهوداً في توعية الناس بالخطر المحيط بهم ، وتجنيد المواطنين ، وإيجاد أحزمة دفاعية برية وبحرية وتحصين قلعة طرابلس (٥) ، فجميع هذه التحصينات العثمانية تعتبر من مميزات التحركات العثمانية المدركة لجميع الأوضاع في البحر الأبيض المتوسط (٥).

وقد كانت خطة القوى الأسبانية المسيحية المتحالفة مؤلفة من شقين : الشق الأول يتمثل في الإستيلاء على طرابلس الغرب وترك أسطول أمامها تكون مهمته قطع الإمدادات البحرية بين القسطنطينية والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، والشق

---

١ - إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ .

٢ - إتوري روسي : المرجع السابق : ص ١٨٧ .

- والمجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر) العددان ٢٩ ، ٣٠ جمعت أبحاثهما في مجلد واحد جويليه ١٩٨٣ - تونس - السنة العاشرة ، عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن ١٦ م - ص ٨٢ .

٣ - أما في مجال العلاقات الأسبانية الفرنسية فقد انهت معاهدة كاتو كمبرسيس الصراع بين البلدين في عام ٩٦٧هـ/١٥٥٩م

٤ - المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٥ - المرجع السابق ، ص ص ٧٩ ٨٢ .

٦ - المرجع السابق ، ص ٨٠ .

الثاني عزل مدينة الجزائر عن بقية المدن ومراكز الدفاع العثمانية ليتحتم عليها مواجهة القوات المسيحية المتحالفة منفردة (١) .

وقد تكون التحالف الأوروبي من (أسبانيا وألمانيا ، وجنوة ، وموناكو ، وفلورنسا ، وصقلية) (٢) ، ثم سخر إمكانات حربية كبيرة للقيام بهذه الحملة في سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م ، وكانت الدولة العثمانية على علم بهذا التحالف وبتلك التجهيزات والتحركات الحربية والخطة المعدة للهجوم على الساحل الطرابلسي (٣)، إلا أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كان وضعها السياسي دقيقاً جداً وذلك بسبب تنافس وصراع أبناء السلطان سليمان القانوني على الحكم ، إضافة إلى ماليتها التي استنزفتها حروبها في كثير من الجهات ، وعلى الرغم من ذلك فقد اهتمت الدولة العثمانية بمواجهة أحداث غرب البحر المتوسط ، فكلفت بياله باشا بقيادة الأسطول الذي سيبحر إلى المياه الطرابلسية (٤) ، كما كلفته بالإشراف على بناء وتجهيز السفن الحربية والناقلة التي تحتاجها تلك الحملة ، فاهتم بياله باشا بما كلف به اهتماماً عظيماً ، وبلغ من اهتمامه أنه كان يراقب دور الصناعة باستنبول وغاليبولي بنفسه ، ولما أتم بناء السفن المطلوبة للحرب خرج بأسطول عظيم بعد أن انضم إليه عدد من القادة ومحافظي البلدان (٥) .

---

١ – مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والمحديث ، ص ٩٦ .

٢ – يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ص ١٣٥ .

مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ٢٦ .

٣ – المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ ، ص ٨٢ (البحث السابق ذكره) في ص ٧٢ .

٤ – إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٢ .

– المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ ، ص ٨٣ (البحث السابق ذكره) ..

٥ – اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٢ .

– المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ ، ص ٨٣ (البحث السابق ذكره) ..

والجدير بالذكر أن الأسطول العثماني بقيادة بياله باشا استطاع الوصول بسرعة مذهلة ، فقد حقق سرعة قياسية قدرت بعشرين يوماً للمسافة التي قطعها من القسطنطينية إلى جزيرة جربة (١) ، وهناك التقى بياله باشا سفينة إسلامية أرسلها دراغوث باشا حاملة أخباره مع العدو ، وبعد إطلاعه على ماتحمله من أخبار واصل تقدمه ، واستطاع أسر سفينة حربية من طليعة أساطيل العدو المتحالف ، وعرف من ربابنتها أخباراً مطابقة تماماً لما أخبره به دراغوث باشا من قبل ، ثم لم تلبث سفن الأعداء أن ظهرت على صفحة الماء فبدأت السفن العثمانية بإطلاق نيران مدافعها عليها في هجمة صادقة ، فدمرت أعداداً كبيرة منها ، وأعطبت أعداداً أخرى فأعاقتها عن الحركة فتوقفت عن إطلاق نيرانها ، وقد انتهز العثمانيون هذه الفرصة فاخترقوا بسفنهم صفوف سفن العدو الباقية والتي اختل نظامها فشطروها شطرين ، وهذا مادفع الشطر الأيمن إلى الالتجاء إلى ميناء جربه .

أما السفن المتحالفة التي كانت تحت قيادة اندريادوريا فقد أعطبتها السفن الإسلامية ، وهنا تحرك بيالة باشا - وكان قد ترك مجموعة من السفن الحربية في جربه - فخرج لتعقب سفن العدو فأسر منها عدداً كبيراً (٢) . وهكذا هزم الأسبان وحلفاؤهم شر هزيمة ، وفقدوا معظم أساطيلهم بين الغرق والأسر والضياع والتحطيم (٣) .

وتُعد معارك جربه من أكبر المعارك البحرية التي حدثت في البحار المفتوحة وفي

1- Fernand Braudel : The Medeterr anean p 979

٢ - اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٢ .

٣ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢ - ١٧٩٢م ، ص ٣٧٨ .

التاريخ الحديث (١) ، ومن نتائجها أن المسيحية الأوربية أحست بالخطر إزاء سيطرة العثمانيين على البحر ، كما أنها أيقنت بأن هذا الأمر بطبيعة الحال أصبح مصدر تهديد للسواحل الأوربية ، كما أن فيليب الثاني إمبراطور أسبانيا ركز اهتمامه على إدخال البندقية في الصراع بحكم تفوقها في البحرية وتاريخها البحري العريق .

ومما لاشك فيه أن هزيمة التحالف المسيحي عند جربه نبهت أسبانيا إلى أهمية دورها ومسئوليتها تجاه البحر المتوسط والدفاع عن العالم اللاتيني ، كما أن الإنتصار العثماني في جربة أكد تفوق العثمانيين البحري والعسكري بحيث أصبح البحر المتوسط عثمانياً ، وهذا بفضل تطويرهم وتجديدهم المستمر لأسلحتهم ووسائل حروبهم في البر والبحر ، كذلك أكد انتصار العثمانيين في جربة ارتباطهم بالولايات المغربية والجنوب والساحل التونسي تحت لواء دراغوث باشا ، وفي أعقاب انتصارات العثمانيين على التحالف المسيحي الأوربي في جربه أُطلقت شائعات تؤكد قرب خروج العثمانيين للاستيلاء على حلق الواد والتي تشكل مع وهران آخر معاقل الوجود الأسباني في منطقة الشمال الأفريقي (٢) ، وقد وجدت هذه الشائعات في ظل انتصارات العثمانيين آذاناً صاغية وأفئدة واعية ، فهذه الشائعات كانت صادرة عن توقعات صحيحة ، فقد أخذ العثمانيون بعد انتصارهم في جربه يقوون حصونها وحصون طرابلس وصفاقص ، وينشئون في كل منها حصوناً جديدة خوفاً من مباغتتها

١ – محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي .،.

مكتبة دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٩م ، ص ٤٦ .

- J. Helliott Jmperial spain 1469 1716 Edward Anmol, London 1981 . p 129

– إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ، ص ١٢٩ .

– مجلة رعميس رمزي تادرس وكيرس تادرس ، جـ ٤ ، يناير سنة ١٩١٤ ، السنة الثالثة .

أنباء الماضي والحاضر ، العمارات البحرية وتاريخها على ذكر زيارة الأساطيل الدولية لمصر ، ص ٣٣٨ .

٢ – المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ . جمعت أبحاثهما في مجلد واحد – يوليه ١٩٨٣ – تونس – السنة العاشرة .

– عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن ١٦م ص ٨٥ .

من قبل العدو (١) ، وكانت توقعات العثمانيين صحيحة فلقد حاول جان أندريادوريا (Gianandrea) بتشجيع من المرشد الأكبر لفرسان مالطة الهجوم على طرابلس بأسطول قوي في عام ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م إلا أنه وجد نفسه في تاجوراء بدلاً من طرابلس نتيجة لخطأ وقع فيه ربابنته ، وعندما تنبه لهذا الخطأ هبت عاصفة ، ألقت بأسطوله عند (لمبدوزا ثم بنتاليريا) (٢) ، وبعد مرور أقل من عام على معارك المهدية وجربه توجه إهتمام الدولة العثمانية إلى طرابلس لتحريرها من الاحتلال المالطي ولضمها بشكل رسمي ، لذلك بدأت الدولة العثمانية في فرض الحصار من جهة البر والبحر ، وقد استفادت القوات العثمانية من الاستعدادات الحربية التي قام بها مراد أغا ، ونتيجة لشدة الحصار استسلم فرسان مالطة ، وبذلك تحررت طرابلس بعد مابقيت قرابة عشرين عاماً تحت سيطرتهم (٣) .

وقد أصبحت مدينة طرابلس القاعدة البحرية الأولى للأسطول العثماني والذي كان من الضخامة والقوة بحيث أرهب جميع الدول التي لها مصالح في البحر المتوسط (٤) .

وفي عام ٩٧١هـ / ١٥٦٣م خرج حسن بن خير الدين بربروسا من مدينة الجزائر متوجهاً نحو الغرب على رأس جيش كبير مكون من رماة البنادق والفرسان والرجالة إضافة إلى كم هائل من المؤن والذخيرة حملت إلى مستغانم باعتبارها قاعدة

---

١ – اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٣ .

٢ – لمبدوزا Lampedusa بنتاليريا Pantelleia جزيرتين صغيرتين شرق جزيرة مالطة .

Philips Modern School Atlas . p 73 .

– إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩٩١م ص ٩٠ .

٣ – نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ ، ص ٩٢ .

٤ – حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٧٧ .

للعمليات الحربية .

ولما وصل حسن باشا بجيشه أمام وهران ومرساها الكبير خيم فيها ، وجعل مركز قيادته في « رأس العين » ، ثم شرع في الهجوم وذلك بنصب مدافعه تجاه حصن القديسين الأسباني (١) .

أما بالنسبة للأسبان في وهران والمرسى الكبير فقد كانوا على أتم الإستعداد لتلقي الهجوم العثماني وراء حصونهم وقلاعهم ، وكان قائدهم في وهران (دون الوترودي قرطبه) وقائدهم في المرسى الكبير شقيق قائد وهوان ، (المركيز دون مارتان) قد استنجدا بأسبانيا فأمدتهم بأسطول وجيش تحت قيادة (دون خوان دي ماندوزا) لكن عاصفة هوجاء هبت على البحر ، فنتج عنها إتلاف وإغراق ثلاثة أرباع هذا الأسطول الأسباني وكان القائد الأسباني ماندروزا من بين الغرقى ، فلم يصل إلى وهران إلا ربع هذا الأسطول (٢) .

وبعد تعرض الأسطول الأسباني لهذه العاصفة ، تعذر على الأسبان المحاصرين الخروج من قلاعهم ومهاجمة العثمانيين فاكتفوا بالدفاع عن الأسوار والتحصينات الموجودة لديهم(٣) ، فدارت رحى معركة عنيفة هي معركة (المرسى الكبير) التاريخية حيث بادر الجيش العثماني (الجزائري) بالهجوم على حصن القديسين ، وتم له الاستيلاء عليه ، ثم حول العثمانيون بعد ذلك مدافعهم بإتجاه قلاع المرسى الكبير ، وقد طلب حسن باشا من قائد الحصن القديس ميشال ، الاستسلام فرفض بإباء ونتج عن ذلك توجهه بنفسه إلى الحصن ، وقد تمكن مرتين من نصب

---

١ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وأسبانيا ، ص ١٧٩ .

– عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢١٣ .

٢ – أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ، ص ٣٧٦

٣ – عزيز سامح التر : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

السلالم على جدران الحصن إلا أنه فشل في إحتلاله نتيجة للدفاع الأسباني المستميت ، غير أن الحصار وقصف المدافع العثمانية المتواصل وتعرض الأسطول الأسباني للعاصفة التي حطمت معظمه وأعاقت وصول الإمدادات إلى حصن القديسين وأزريو - ومستغانم (١) - كل هذا حد من المقاومة المستميتة التي أبداها الأسبانيون .

أما حسن باشا فإنه واصل إطلاق مدافعه بإتجاه حصون الأسبان في المرسى الكبير ، فنجح في تحطيم حصون الناحية الغربية ، كما تمكن من احتلال حصن جنوه ، لكن قواته اضطرت إلى التراجع إلى مواقعها الأولى نتيجة لشدة الدفاع الأسباني ، وبعد ذلك استطاعت سفينة أسبانية إختراق سفن الأسطول العثماني والدخول إلى وهران حاملة البشرى إلى من فيها من الأسبان ، بوصول مدد أسباني بقيادة الأميرال دوريا ، وقد علم حسن باشا بهذا الخبر بواسطة جواسيسه ، فقرر دخول معركة حاسمة تمكن العثمانيين من اقتحام الحصن .

وفي هذا الوقت بدأت طلائع النجدات الأسبانية في الوصول وهي على أتم الإستعداد للقتال ، وكان الجيش العثماني الجزائري قد أنهك نتيجة للمعارك الطويلة والمستمرة ، وهنا قرر حسن باشا الإنسحاب إلى مدينة الجزائر للاستعداد من جديد (٢) .

ثم حدثت معركة غير متكافئة بين الجيش العثماني الجزائري والجيش الأسباني فشل

---

١ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ١٤٩٢ هـ / ١٧٩٢ م ، ص ص ٣٨٠ ، ٣٨١.

٢ - أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ص ٤٦ .

- شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، تونس - جـ ٢ ، ص ٣٤٥ .

فيها الجيش العثماني الجزائري في الإستيلاء على المرسى الكبير ، ونجح الأسبان في إبقاء المرسى الكبير تحت سيطرتهم ، كما استطاعوا الاستيلاء على حجر باديس والتي تقع على ساحل المغرب الشمالي بمساعدة حاكم فاس ، وقد كان هذا الحاكم يرفض الوجود العثماني ، فاضطر دراغوث باشا الى الإنسحاب بجيشه إلى الجزائر [١].

وفي عام ٩٧١هـ - ١٥٦٤م تجمعت لدى السلطان سليمان القانوني عدة أسباب لفتح جزيرة مالطة ، ومن ثم جعلها قاعدة ارتكاز بحرية ويعزز بها العثمانيون سيطرتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الأسباب : فشل حملة وهران الذي كان له أبلغ الأثر في نفس السلطان سليمان القانوني [٢]، إضافة إلى أن جزيرة مالطة تعد من أكبر المعاقل المسيحية في وسط البحر المتوسط والتي استقر بها فرسان القديس يوحنا من سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م [٣] بعد أن طردهم السلطان سليمان القانوني من جزيرة رودس .

ومن هذه الأسباب : أهمية مالطة في الصراع الحربي بين الدولة العثمانية

---

١ - محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ٤٦ .

- المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٧ ، ٨ في مجلد واحد ، ١٩٧٧ م ، د . خليل الساحلي : وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة ١٥٦٥ م ، ص ٤٠ .

- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٨٣ .

- رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، المغرب) ، ص ٧٨ .

- عزيز سامح التر ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢١٧

٢ - المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر) الأعداد ٢٩ ، ٣٠ / جمعت أبحاثهما (في مجلد واحد) ١٩٨٣م .

- عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات المغربية في القرن ١٦ م ، ص ٨٦ .

- مبارك بن محمد الهلالي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١٠٠ .

٣ - أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

وأسبانيا (١) ومنها قطع سفن مالطة الطرق البحرية في حوض البحر المتوسط أمام سفن الدولة العثمانية وسفن رعاياها ، ومنها مساعدة دول أوربا لمالطة ضد العثمانيين لتضييق نشاط الدولة العثمانية وتقدمها(٢) ، ومنها أنه كان لموقع جزيرة مالطة (٣) أهمية استراتيجية حيث أنها تقع بين حوض البحر المتوسط الشرقي وحوضه الغربي وتتحكم في مداخلهما .

لذلك كانت محط أنظار الطرفين (٤) : العثمانيين والأسبان ، يضاف إلى ذلك كله سبب آخر وهو هذا الاتفاق الخطير الذي عقد بين أسبانيا وجنوه وفرسان القديس يوحنا في مالطة والذي تضمن قيام هذه الدول الثلاث بمهاجمة شمال أفريقيا والاستيلاء عليه وطرد المسلمين منه وإزالة الإسلام منه(٥)، وتنفيذاً لهذا الاتفاق شن ملك أسبانيا هجوماً على الجزائر واستولى على بعض قلاعها ومراكبها (٦) .

أما الدولة العثمانية فإنها أرسلت في سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م أسطولاً ضخماً إلى جزيرة مالطه بقيادة مصطفى باشا وبيالة باشا ، وانضم إليهما حسن بن خير الدين بربروسا (٧)، فتمكن هذا الأسطول العثماني من محاصرة مالطة وشدد

---

١ – عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٩٢٢ .

٢ – إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٥٤ .

– إبراهيم حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٩٥ .

– الطاهر أحمد الزاوي : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، ص ١٥٧ .

٣ – تقع مالطة بين تونس وجنوب إيطاليا ، محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، ص ٢٤٩ .

٤ – صلاح العقاد : المغرب العربي ، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، ص ٢٣ .

٥ – أحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢١٢ .

– الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٩٩ .

– حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١١٧ .

٦ – أحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢١٢ .

٧ – تم إرسال الأسطول لمالطة أوائل سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٥ م .

حصاره عليها (١) كما شارك في حصار مالطه طرغود باشا ، باسطوله المكون من إثني عشرة سفينة ، وقد أبلى كلٌ من حسن بربروسا ، وطرغودباشا بلاءً حسناً ، (٢) فاشتدت المعارك بين الطرفين (٣) وأخذ العثمانيون في حفر الخنادق أمام قلاع وحصون مالطة وهي : سانت الموSant Elmo وسانت ميكيلي Sant Michele ، وسانت أنجلو Sant Angelo والبرقوBargo (٤) .

وقد أراد القائد العثماني مصطفى باشا مهاجمة وحصار قلعة سانت ألمو التي تقع في أقصى جزيرة شيب الرأس أو شائب الرأس Seeberras ، والتي تقوم عليها الآن مدينة فالتيا ، إلا أن طرغود باشا عارض هذه الخطة لأنه رآها غير مناسبة ، وكان رأيه أن يتم الهجوم على حصني أنجلو والبرمو ، وعلى الرغم من ذلك فإن طورغود قاد الهجمات المتكررة على حصن ألمو فإن المدافعين عن هذا الحصن صدوا هذه

---

١ – شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص ٣٤٥ .

– مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١٠٠ .

– أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٨٣ .

– المجلة التاريخية المغربية – العددان من ٢٩ – ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣م ،

د . عبد الجليل التميمي ، رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن ١٦ م ، ص ٨٧ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٣٩٠ .

– أتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ ، ص ١٩٣ .

٢ – أتوري روسي :المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

٣ – الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٩٩ .

– ابراهيم عبد القادر المازني : تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية ، خزانة المعارف بالسكة الجديدة ، ص ٤٣ .

– حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٧٧ .

– أحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢١٢ .

٤ – أتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ ، ص ١٩٣ .

الهجمات ، فشدد حصاره على هذا الحصن ، كما واصل هجماته عليه في شجاعة منقطعة النظير ، كما واصل أيضاً المدافعون عنه دفاعهم باستماته ، واستمر الدفاع إلى أن وصلت الإمدادات لفرسان مالطة تحت قيادة نائب ملك صقلية ، فكثرت القتلى وعظمت الخسائر في صفوف العثمانيين ، ونال طورغود باشا (١) الشهادة مع من استشهد من جنده ، لهذا فضل القادة العثمانيون الانسحاب بجيوشهم فانسحبت الجيوش والأساطيل إلى طرابلس في ٩٧٣هـ/ سبتمبر ١٥٦٥م ، ثم عادت الأساطيل العثمانية إلى إسطمبول بعد أن خسر العثمانيون كثيراً من الجنود (٢) .

---

١ – جون رايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، ص ٩٣ .

– عزيز سامح الترّ : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢١٨ .

– ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، ص ١٣٥ .

– أحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٢١٢ . .

– الطاهر أحمد الزاوي : ولاة طرابلس من بداية الفتح الغربي الى نهاية العهد التركي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ط١ ١٣٨٠هـ/١٩٧٠م ، ص ١٥٧ .

– صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٢٣ .

– شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ص ٥٢ .

٢ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٨٤ .

– اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٣٩٠ .

– محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٤٩ .

وهكذا أخفقت الحملة العثمانية على مالطة (١) .

وكان من أسباب فشل هذه الحملة عدم وجود خطة هجومية موحدة ، ويؤكد ذلك الخلاف الذي نشب بين آراء القادة حول ترتيب أهمية هذه الحصون .

ومن هذه الأسباب تلك المقاومة وهذا الدفاع المستميت الذي أبداه المقاتلون المسيحيون وهم متحدون لتحقيق هدف واحد .

ومنها طول الحصار الذي استمر لمدة أربعة أشهر والذي استنفذ خلالها الجيش العثماني جميع طاقاته ومعداته ومؤنه وأسلحته وخاصة البارود .

ومن هذه الأسباب تفشي الأمراض في صفوف المقاتلين العثمانيين ، ومنها طول المسافة بين مقر الخلافة إسلامبول وبين جزيرة مالطة مما حال دون وصول الإمدادات (٢) في الوقت المناسب .

وعلى الرغم من فشل العثمانيين في فتح جزيرة مالطة فإن هذا الفشل لم يفت في عضدهم ، ولم يثنهم عن محاولات طرد الغزاة المسيحيين وإستعادة المزيد من المدن الإسلامية في الشمال الأفريقي ، وقد أدى كل هذا إلى ظهور المجاعة ونقص الأسلحة

---

١ - مجلة رعميس : رمزي تادرس ، كيرس تادرس ، ج ٤ ، يناير سنة ١٩١٤م ، السنة الثالثة ، أنباء الماضي والحاضر ، العمارات البحرية وتاريخها على ذكر زيارة الأساطيل الدولية لمصر ، ص ٣٣٩ .

A . J . Grant : Ahistory of Europe From 1494 to 1610 . P. 219 .

- محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، ص ١٣٢ .

- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ٨٩ .

- الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢٩٩ .

- ابراهيم حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٩٥ .

٢ - المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٨٣ م - د . عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن ١٦ م ، ص ٨٨ .

- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٤٩ .

والذخيرة لدى العثمانيين ، كما تسبب في إخفاق العثمانيين في مواصلتهم حصار مالطة وفتحها .

جاء في مجموعة الوثائق [١] المؤرخة بالخامس عشر من ذي الحجة سنة ٩٧٢هـ (١٤ من يوليو ١٥٦٥م) والمرسلة إلى طرابلس الغرب أن الأسطول العثماني كان في حاجة شديدة إلى البارود الأسود الذي كان قد أودع من قبل لدى طرابلس ، وأن الطرابلسيين أنكروا وجود البارود الأسود لديهم إلا في مخزن واحد ، وربما يكونون أخفوه لحاجتهم العظيمة إليه ، وخوفهم من سطو سفن الكفار على طرابلس وليس بها بارود فلا يستطيعون صد هذه السفن .

وبعد إنسحاب الأسطول العثماني من جزيرة مالطة خاف هؤلاء الأهالي وأخذوا في بيع منازلهم وبساتينهم ، وهذا يشير إلى ما وقر في نفوسهم من عدم استعداد المدافعين عن طرابلس استعداداً يناسب قوة الأعداء المهاجمين .

وقد كان تعيين الدولة العثمانية علي باشا والياً على طرابلس الغرب بعد استشهاد طرغود وطلبها من الأهالي توقير علي باشا واحترامه دليلاً على تصميمها وعزمها على خوض الحرب ضد الأسبان وحلفائهم في الشمال الأفريقي دون هواده إلى أن يُقضى عليهم قضاءاً مُبرماً .

---

١ - أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول - الدفاتر المتفرقة - دفتر رقم ٧١ ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ وهو عبارة عن فرمان صادر من الباب العالي الى الكتخداعلي .

أنظر : المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٧ ، ٨ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / يناير ١٩٧٧م .

نقلاً عن : خليل الساحلي : وثائق عن المغرب أثناء حرب مالطة ١٥٦٥م ص ص ٤٢ ، ٤٣ .

مع كل انتصار حققه العثمانيون في البحر المتوسط وشمال إفريقية كان الضغط وإضطهاد المسلمين في الأندلس يزداد وحشية وعنفا ففي عام ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م أصدر فليب الثاني مرسوماً اختلف عن جميع المراسيم السابقة ، وقد تضمن هذا المرسوم منع إستخدام اللغة العربية في الأراضي الأسبانية وإمهال الأندلسيين ثلاث سنوات لإتقان اللغة القشتالية (الأسبانية) ، كما تضمن منع الأندلسيين من إستخدام الحمامات لأنها احدي مظاهر الحضارة الإسلامية كذلك فرض هذا المرسوم حضور قابله قشتالية مسيحية عند ولادة أي طفل من اطفال المسلمين [١] ، كما اجبر هذا المرسوم المسلمين علي فتح أبواب منازلهم ليتمكن (القشتاليون من مشاهدة ما يدور بداخل هذه المنازل ، وإضافة إلي ذلك كله ان هذا المرسوم منع المسلمين من إرتداء ملابسهم التقليدية والوقوف تجاه القبلة ، كما منعهم من الزواج باكثر من إمراة واحدة كما وحرم عليهم إستخدام الحناء ، كما اشتد عنف المحاولات الأسبانية لإرغام كثيرين من المسلمين على تبديل دياناتهم [٢] والتزاوج مع المسيحيين ، كذلك ظهرت محاولات اسبانية لتحريف المصاحف ، كما اكثر الأسبانيون من ايقاع عقوبة الحرق على كل من تثبت عليه من المسلمين ممارسة العبادات من صلاة أو صوم . . الخ [٣] .

---

١ – سبب حضور القابلة القشتالية المسيحية عند ولادة أطفال المسلمين ، لتشاهد المولود أذكر هو أم أنثى ، وترفع ذلك الى المسئولين ليتم تنصيره فيما بعد ، كما تضمن مرسوم فيليب الثاني أن تجرى جميع مراسم الزواج والولادة وفق الطرق القشتالية .

٢ – عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركه ، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، طبع بمطابع انترناشيونال برس في ٢٧ يناير ١٩٨٣م – ربيع الثاني ١٤٠٣هـ – القاهرة – ص ص ١٤٥، ١٤٧ .

– مؤلف مجهول الاسم : تاريخ الدولة السعدية ، الرباط – ١٩٣٤م ، ص ٣٩ .

٣ – مؤلف مجهول الإسم : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وفي هذا العـام (٩٧٤هـ / ١٥٦٧م) استطاع (جـوان غـاسكون) الفالانسي الأصل [١] أن يقنع الملك الأسباني فليب الثاني بحيلة أعدها لإنقاذ الأسرى المسيحيين المحبوسين في سجون الجزائر ، وتعهد أمام الملك الأسباني بأنه سيقوم بهذا الأمر على احسن وجه ، فوافق الملك على هذا المشروع وزوّد غاسكون بسفينتين حربيتين من طراز قاردغة لأن هذه المحاولة لم تكلفه كثيراً ، ولأنها لو نجحت لحققت ما لم يستطع شارلكان نفسه تحقيقه وإذا فشلت فلا يُعد فشلها أمراً خطيراً [٢] .

وكانت خطة غاسكون تقضي بالدخول ليلاً الى مرسى الجزائر وإشعال النار في إسطول الرؤساء المسلمين وإغتنام حالة الهيجان التي ستحدث بعد ذلك في العمل السريع علي إطلاق سراح الأسري المسيحيين وضمهم إلي الفرقة الأسبانية وتزويدهم بالأسلحة ، ومن ثم سيتمكن غاسكون من الاستيلاء على المدينة والتحصن بها إلى أن يأتيه المدد من أسبانيا ، وقد استغل جوان غاسكون الوقت الذي يقوم فيه البحارة المسلمون بسحب سفنهم إلى داخل الميناء ، فدخله ليلاً بعد ان قسّم جنوده إلي مجموعات إتجهت كل مجموعة الى المكان المخصص لها ، ثم ذهب بنفسه إلي باب البحر [٣] ، وبدأ يقتل الحراس المناوبين ، ثم أسرع إلى سفينة القيادة ، لكن جنوده خارت قواهم لأنهم لاحظوا عدم وجود أي طريق في الميناء ، وظنوا أن الجزائريين ألقوا القبض على زملائهم ، ولما حاولوا الفرار والعودة إلى سفنهم أكتشف الأهالي أمرهم فبدأو بمطاردتهم ، ثم تمكنوا من الاستيلاء علي القادرغتين وعلى جوان غاسكون نفسه حيث أبى

---

١ – نسبة إلى بلنسيه .

٢ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنه بين الجزائر وأسبانيا، ص ٣٨٩ .

– عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص٢٢٠ .

٣ – أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ، ص ٣٨٦

الأهالي إلا أن يقوموا بتقطيعه إربًا إربًا [١] .

وفي هذه الفترة قبل عام ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م وبعده إزدادت الاحوال الاقتصادية سوءًا في غرناطة نتيجة للإرهاب والاضطهادات التي اوقعها الأسبان بالمسلمين في الأندلس ، لذلك أصبح من أهداف الأسبان في كل مناسبة يحاولون الهجوم فيها على أي مدينة مغربية الاستفادة من خيراتها ، وذلك لعلاج الحالة الاقتصادية المتردية التي وصلت اليها غرناطة من القحط والجوع ، غير أنه كان يمنعهم في كل مرة من اقتحام بلدان المغرب رعبهم العظيم من التدخل العثماني [٢] في هذا العام ٩٧٥هـ / ١٥٦٨ م اتخذ العثمانيون من مدينة قسنطينه باشوية جديدة وولوا عليها قلج علي باشا ، وكان قلج علي باشا بمثابة اليد اليمنى لخير الدين بربروسا في الايام الأولى من بسط السيادة العثمانية على الساحل الافريقي الشمالي [٣] ، ولقد استهل قلج على ولايته بنشر الأمن والهدوء ، وترميم القلاع والحصون المتهدمة ، مستقلاً فترة إنشغال أسبانيا بشئونها الداخلية المتردية [٤] ثم قام بتنظيم حملة كبيرة لطرد القوات الأسبانية من ساحل الجزائر ، وبينما هو يعد العدة للتنفيذ وصلته أنباء من أسبانيا فحواها أن المسلمين الذين بقوا في الأندلس ولم يتمكنوا من الهجرة ، واجبروا على

---

١ – عزيز سامح التر : **الأتراك العثمانيون في أفريقيا** . ص ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

2- Fernand Braudel : The Mediterr anean

٣ – زاهر رياض : **شمال إفريقيا في العصر الحديث** ، ص ٧٨ .

٤ – عزيز سامح التر : **المرجع السابق** ، ص ٢٢٤ .

اعتناق المسيحية يعدون العدة للثورة [١] .

ولقد شرع قلج علي في تجهيز السفن المحملة بالأسلحة والذخيرة والرجال إلا أن الرياح جرت بما لاتشتهي السفن ، فبعد أن أقلعت السفن متجهة إلى الأندلس هبت عاصفة شديدة انتهت بتحطيم معظمها ، ومع ذلك توجه ماتبقى من تلك السفن إلى الأندلس [٢] .

لذلك نجد أنه في مطلع عام ٩٧٥هـ / ١٥٦٩م عقد قلج علي إتفاقاً سرياً مع الثوار المسلمين الذين كانوا يقيمون في جبال البشارات في الأندلس ، وفحوى هذا الإتفاق هو أن يبدأ المسلمون ثورتهم في الوقت الذي تصل فيه القوات الإسلامية بقيادة قلج علي إلى مراكز حيوية على الساحل الأسباني .

وفي يناير ٩٧٥هـ / ١٥٦٩م وصل قلج علي في هذا الوقت الذي قامت الثورة الإسلامية في البشارات [٣] حيث كانت الأوضاع في أسبانيا سيئة للغاية بسبب سوء إدارتها ، وبسبب أزمتها المالية التي قاربت بها على الإفلاس بسبب تلك الحروب التي خاضتها في الداخل والخارج [٤] ، وما ساد هذه الحروب من الظلم والإرهاب والفظائع إضافة إلى الثورة الهولندية التي كانت في أوج قوتها ، بخلاف العثمانيين الذي كانوا يحققون الانتصار تلو الإنتصار [٥] ، كما

---

١ – مبارك محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ص ١٠٤ .
المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٣ ، ٢٤ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / نوفمبر ١٩٨١م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : الدولة العثمانية وقضية الموريسكين ، ص ١٩٧ .

٢ – المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٣ المرجع السابق ،ص ١٩٨ .
– أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٢ .
– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص٣٩٨ .

٣ – عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ ٢ ، ص ٩٢٦ .
– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٣٩٨ .

٤ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٢ .

٥ – عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، ص ١٥٣ .

اندلعت في هذا العام ثورة أخرى في (قطالونيا) ، كذلك فقد فيليب الثاني زوجته وإبنه وريث عرشه ، فلما اندلعت الثورة الأندلسية قرر فيليب الثاني القضاء عليها قبل أن يستفحل خطرها (١) ، وفي الوقت نفسه قرر أن يلقي الذعر والرعب في قلوب الثائرين في هولندا وقطالونيا (٢) .

وقد كانت ثورة البشارات تحت زعامة محمد بن أميه الذي تميز بالشجاعة والقوة والإقدام والحماس (٣) ، وقد أخذت هذه الثورة تنتقل من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة مستفيدةً من الوقت الذي أتاحه لهم تردد فيليب الثاني وهو يقوم بتنظيم قواته وإعداد الجيوش فتمكنت من تحقيق إنتصارات أوليه على الأسبان (٤) غير أن فيليب الثاني مالبث أن أعد جيشه بقيادة أخيه دون جوان (وهو الابن غير الشرعي للإمبراطور شارلكان) فانطلق دون جوان بهذا الجيش ليباشر واجباته في القتال وذلك في عام ٩٧٧هـ - ٩٧٨هـ / ١٥٦٩م - ١٥٧٠م ولم يكتف الأسبان بذلك وإنما أعلنوا في أرجاء بلادهم النفير العام فقاموا بتجهيز جميع مالديهم من القوات التي تمكنوا من جمعها من سائر أنحاء شبه الجزيرة الإيبرية (ليتمكنوا من إبادة المورسكيين والقضاء عليهم (٥)) . كما شجعوا سائر الرجال للإنضمام إلى الجيوش المعدة لقتال مسلمي الأندلس فصدر مرسوم ملكي يقضي برفع أجر الجندي الأسباني ومنح كل من يأتي برأس مسلم عشرين دوقيه ، واعتبروا ذلك كله واجباً دينياً عظيماً (٦) ، وكانت أسبانيا تريد بهذا كله أن تقضي على المورسكيين (المسلمين) قضاءً مبرماً ولا تدع لأحدهم مجالاً للحياة بعد اليوم .

---

١ - عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .٢ - عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

٣ - محمد قشتليو : محنة الموريسكوس في أسبانيا ، تطوان المغرب مطبعة الشويخ « ديبرس » ص ص ٤١ ، ٤٤ .

- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٤ .

٤ - عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة . ص ص ١٥٠ ، ١٥٤ .

٥ - محمد عبده حتامله : التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني ١٥٢٧ - ١٥٩٨م ، عمان ، الأردن ، ط (١) ١٩٨٢ ، ص ٥٧ .

- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٠١ .

٦ - أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ط (١) ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ، القاهرة ، ص ٣٥٠.

أما قلج باشا فإنه أعد في هذا الوقت جيشاً كبيراً مؤلفاً من أربعة عشر ألف مقاتل من رماة البنادق وستين ألفاً من حملة السيوف وسائر الأسلحة من المجاهدين القادمين من مختلف أنحاء البلاد حيث أرسلهم إلى مستغانم ومازغران للهجوم على وهران ثم النزول بعد ذلك إلى بلاد الأندلس ، وكان في عُدة هذا الجيش الكبير عدد ليس بالقليل من المدافع يديرها عدد كبير من جنود المدفعية ، كما كان يرافق هذا الجيش ألف وأربعمائة بعير محملة بالبارود ، لكن هذا المخطط فشل بسبب سوء تصرف أحد رجال الثورة الأندلسية مما أدى إلى إنكشاف أمره فهاجمه الأسبان ، واكتشفوا وجود الأسلحة التي كان يخفيها لديه ، وبذلك ضاعت من المورسكيين فرصة المبادرة [1] .

أما دون جوان فإنه قسم قواته إلى أربعة جيوش ليتمكن من تمشيط جميع الجبال التي يعتصم بها الثوار الأندلسيون ، وهنا أدرك الثوار المسلمين أن هذه العمليات العسكرية الأسبانية لم يكن هدفها إلا إبادة المسلمين ، أما القضاء على الثورة فكان الخطوة الأولى نحو إبادة المسلمين ، يدل على ذلك تلك المجازر الرهيبة التي ارتكبها الأسبان ، والتي لم يكن لها مثيل في التاريخ مما دفع السكان المسلمين إلى الهرب نحو الجبال والمرتفعات خوفاً من القتل والإغتصاب والحرق والإجبار على ترك الإسلام خاصةً وأن القوات الأسبانية كانت تحرق كل ماتواجهه أمامها [2] مما هو إسلامي من البشر وغير البشر .

أما قلج علي باشا فإن إخفاق المسلمين في البُشارات لم يصرفه عن هدفه

١ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٢ .
- مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١٠٤ .
- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٣٩٢ .
٢ - أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ص ٣٥٠ .

الأعظم فواصل إرسال الامدادات والاسلحة الي مسلمي اسبانيا الاندلسيين ، وفي غضون هذه الثورة حيكت مؤامرة ضد محمد بن أمية أدت في النهاية الي قتله وتولية أحد المتآمرين مكانه وهو (مولاي عبدالله بن محمد بن عبو) وقد وافق قلج علي باشا على إنتخابه ، وأرسل له مساعدات حربية عظيمة فحقق انتصارات أولية علي الأسبان [١] ولئن كانت تلك المؤامرة الداخلية مظهراً من مظاهر الخيانة للدين والجماعة إلا أن قلج علي باشا لم يجد أفضل من مساعدة الزعيم الأندلسي الجديد ليواصل مسيرة الدولة العثمانية نحو تحقيق هدفها العظيم وهو استرداد المسلمين لامجادهم في الاندلس وقهر الاسبان وكف عدوانهم وبطشهم المستمر بالمجتمعات الاسلامية .

وفي قمة الثورة الأندلسية قرر فليب الثاني تهجير الأندلسيين من غرناطة الي الشمال الإفريقي [٢] لانهم كانوا في نظره بمثابة القنبلة الموقوتة التي يمكن أن تنفجر في أي لحظة [٣] فاصدر مرسومات بذلك وبإقتراب نهاية عام ٩٧٨هـ الموافق ل١٥٧٠م تمكنت القوات الاسبانية من إخماد الثورة الاندلسية بسبب سياسة العُنف التي اتبعت حيث كان شعار دون جوان « لا رحمة ، لا هوادة » فتحولت قرى البُشارات الى مجازر بشرية [٤] وقُدر عدد القتلي بحوالي عشرين

---

١ - أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ص ٤٠٠ .

٢ - هاجر معظم الأندلسيين من غرناطة إلى العدوة المغربية .

أنظر : عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، ص ١٦٧ وأحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٥ .

٣ - عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون الموراكة ، ص ١٦٧ .

٤ - عادل سعيد بشتاوي : المرجع السابق ، ص ١٦٥

أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٤ .١ - أحمد رائف

ألف شخص (٢٠,٠٠٠) يضاف الى ذلك أن كثيرين من الأندلسيين وقعوا في الأسر وقدموا الى محاكم التحقيق (التفتيش) وحكم عليهم بالحرق وبالذبح وتقطيع الأجساد ، وبالشنق ، وكانت أخّف عقوبة حكمت بها محاكم التفتيش على الاندلسيين هي التجديف في سفن الأسبان مدي الحياة [١] .

والجدير بالذكر أن تفاصيل هذه الفترة وبخاصة أخبار حرب الإبادة التي خاضها الأسبان ضد الأندلسيين قليلة جدا ويرجع سبب ذلك إلى أن مؤرخي الأسبان عمدوا إلى طمس الحقائق وإخفاء أخبار هذه المجازر الرهيبة التي أرتكبها الأسبان في الجنوب [٢] وهذا ما سوف أبينه بالتفصيل في الفصل الرابع بمشيئة الله تعالي .

وقد تلاحقت الأحداث سريعا بعد ثورة البشارات ، حيث استعاد قلج علي باشا تونس نتيجة لعدم التوازن الذي أحدثته الثورة الأندلسية [٣] . إذ كرّس الأسبان قواتهم في الأراضي الأندلسية وهذا ما أثر على قواتهم في شمال إفريقيه .

وقد كانت تونس ميداناً للصراع منذ عام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م بين التونسيين والأسبان ثم بين التونسيين والعثمانيين في جانب والأسبان في جانب آخر [٤] .

: وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ص ٣٥٠ .

– عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركه ، ص ١٦٥ .

٢ – عادل سعيد بشتاوي : المرجع السابق : ص ١٦٣ .

3- Fernand Brawdel : The Mediterr anean P.1068 .

٤ – شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ٨٧ .

ومن أعظم الأهداف التي دفعت بالدولة العثمانية الى فتح تونس تصفية القواعد الأسبانية فيها [١] ونتيجة لاشتداد الخلاف بين السلطان الحفصي (العباس الثاني) وبين وزيره « أبي الطيب الخضار » بادر هذا الوزير بالإتصال بقلج علي باشا وحرضه علي تحرير تونس ، ولما كان تحرير تونس من الإحتلال الاسباني هدفا عثمانيًا شريفًا فقد انتهز قلج علي باشا هذه الفرصه وجهز جيشا كبيراً ، وتوجه به الى تونس ، والتقى بالسلطان الحفصي وجيشه عند سهل باجه وهناك كان النصر حليف العثمانيين ونتيجة لهذا الإنتصار إنضم إلى جيش قلج علي باشا عدد كبير من جيش السلطان الحفصي المهزوم [٢] ولاشك في أن إنضمام فلول جيش السلطان الحفصي العباس الثاني إلى علي باشا قلج دليل قاطع على احساس التونسيين واهل الشمال الإفريقي بصدق السياسة العثمانية ومسايرتها للاسلام لهذا كان من الطبيعي ان يبادر اهالي بنزرت بمساعدة قلج علي باشا بجهود ومعونات عظيمة عندما غمرت السيول والفيضانات وادي مجردة وقد كان لهذه المساعدات أثرها الواضح في مواصلة قلج علي باشا حروبه في شمال افريقيه بنجاح ، فلقد وفروا له الألواح والقناطر وبنوا له جسراً ليعبر عليه جيشه مما ساعد في إنجاح حملة قلج علي باشا لضم تونس إلى الدولة العثمانية .

---

١ – جلال يحيى : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٣ ، ص ٢٨ .

٢ – أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٧ .

د. شوقي الجمل : المغرب العربي : ص ١٠٧ .

المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٨٣م .

د . عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر ص٩٤

3- Fernand Brawded : The Mediterr anean P.1067 .

عزيز سامح الترر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢٢٨ .

أما بالنسبة لمصير السلطان الحفصي فقد فر صوب مدينة تونس ليعتصم بها غير أن مدينة تونس أغلقت أبوابها في وجهه فتوجه الى الحامية الأسبانية في قلعة حلق الواد بعد ان نقل ما استطاع ان يحمله من امواله [١] ومما لا شك فيه ان قلعة حلق الواد الأسبانية كانت هي المكان الطبيعي لمثل هذا الأمير الذي اعمته مطامعه وصرفته عن المبادىء السامية والمثل العليا .

وقد دخل قلج علي تونس في سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م ثم ترك بها حامية للدفاع عنها بقيادة القائد رمضان ، ثم دخل نتيجة لذلك المدن الساحلية والداخلية ، كما إستطاع بمساعدة الأسطول العثماني الذي كان يقوده سنان باشا أن يستولي على قلعة حلق الوادي التي ظلت في يد الأسبان [٢] فترة طويلة من الزمن .

وقد كان لانتصار العثمانيين في تونس دوي هائل في أوربا مما دفع البابا إلي الدعوة لعقد حلف مسيحي ضد العثمانيين في محاولة لاستعادة المسيحيين لمراكزهم في السواحل الأفريقيه [٣] وهذا ما جعل قلج علي باشا يعود مسرعًا من تونس الي الجزائر لتنظيم قواته البحرية استعداداً لخوض معركة متوقعة ضد المسيحيين خاصة وأنهم كانوا قد بدأوا في الإعداد لها(٤) بحماس بالغ .

---

١ - أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر .

٢ - محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ ، ط (١) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م ، ص ٥٩ .

- مبارك الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ص ١٠٦ .

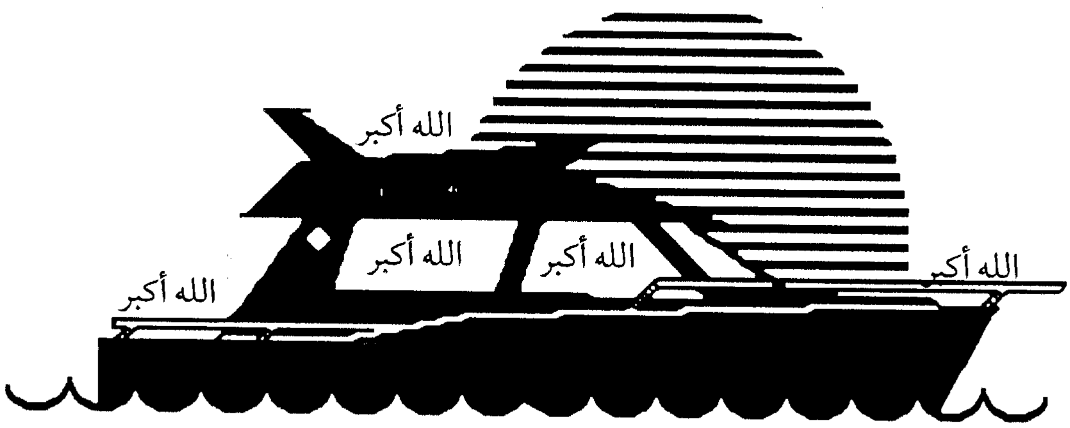
- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٧ .

٣ - شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ٨٧ .

٤- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا - ص ٣٩٧ .

- مبارك الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ص ١٠٦ .

يتضح من استعراض تلك الوقائع في هذا الفصل تأكد سيادة الدولة العثمانية على منطقة الشمال الأفريقي ، خاصة بعد إنضمام الجزائر إليها ، كما يظهر مما سبق عرضه تفوق البحرية الإسلامية التي استطاعت تهديد السواحل الأسبانية، والقضاء على الجيوب الصليبية في المغرب العربي ، لذلك عندما أدركت الدول الأوربية تعاظم قوة الدولة العثمانية في الشمال الأفريقي لجأت إلى عقد تحالف صليبي أوربي ضد الدولة العثمانية ، وهذا ما سوف نبينه في مواطن قادمة من هذا البحث بمشيئة الله تعالي.



الفصل الثاني
(مقدمات معركة ليبانتو)

(أ) الفتح العثماني لقبرص ٩٧٨هـ / ١٥٧٠ م

(ب) التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية ٩٧٨هـ / ١٥٧٠ م

أ - **الفتح العثماني لقبرص** ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠ م :

استطاعت الدولة العثمانية أن تفرض سيطرتها على الحوض الغربي للبحر المتوسط وذلك بعد فتحهم جزيرة جربه ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩ م وحصارهم لجزيرة مالطة [١] في سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م ، وسيطرتهم على تونس في سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م ، وبوجودهم في ميناء (تنس) [٢] ، ويرجع الفضل في ذلك لله تعالى إذ وفق قبودانات البحر خير الدين بربروسا ، وبيالي باشا ، ودرغوث ريس ، وصالح ريس ، وقلج علي فاستطاعوا أن يفرضوا سيادة الدولة على بحر إيجه والبحر الإدرياتيكي وبحر مرمرة والبحر الأسود .

كما ورث العثمانيون علوم البيزنطيين البحرية إثر فتحهم للقسطنطينية وورثوا أيضاً الموانى الهامة والترسانات العظيمة ، وبذلك توفر للدولة الرجال المهرة ، والعناصر ذات الخبرات البحرية ، وتبعاً لذلك امتلك العثمانيون كل مايلزم لبناء أساطيل عديدة بعد فتحهم لكثير من الأراضي التي تتوفر فيها الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وبذلك أصبح العثمانيون سادة البحر المتوسط والبحار المؤدية إليه ، كما استطاعت الدولة العثمانية أن تجرد أسبانيا والبندقية والبابوية من تفوقها البحري ، فأصبحت دول أوروبا في حالة دفاع

---

١ - مالطة : جزيرة صغيرة في البحر المتوسط بالقرب من ساحل ايطاليا وساحل أفريقيا .

أنظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٦ .

٢ - تنس : مدينة جزائرية تطل على البحر المتوسط . لها ميناء تقع غرب مدينة الجزائر وشرق المرسى الصغير بين خطي الطول ١ ، ٢ شرقاً ، وشمال خط العرض ٣٦ شمالاً .

أنظر : سعيد الصباغ ، الأطلس العربي العام طبع بيروت ١٤٠١هـ /١٩٨١م ص ٣٨ .

أكثر من أي وقت مضى وابتعدت البندقية عن الأضواء بعد أن سلمت نابولي – التابعة للبندقية – للدولة العثمانية بالأمر الواقع ودفعت الجزية مقابل جزيرة قبرص [١] . وأضحى العثمانيون يصارعون الأمم البحرية وينافسونها في السيطرة على البحر المتوسط والتحكم في طرقه ، وكانت الإستراتيجية الجديدة للدولة العثمانية تتجه إلى الإهتمام بالبحر الأحمر والمحيط الهندي عقب تزايد النشاط البحري البرتغالي على صفحات المياه الجنوبية ، خاصة وأن السلطان سليمان القانوني ترك لدولته قوة بحرية هائلة .

ومما لاشك فيه أن فتح جزيرة قبرص كان يشكل أهمية كبيرة للملاحة الإسلامية في شرق البحر المتوسط ؛ حيث كانت السيطرة العثمانية على تلك المناطق البحرية ضرورية لأية خطة تهدف إلى مواجهة التفوق البرتغالي في شرق آسيا والهند بالإضافة إلى ضرورة صد هجمات القراصنة الأوروبين المتمركزين في قبرص التي استهدفت الملاحة العثمانية في شرق البحر المتوسط فترة غير قصيرة من الزمن ، والذين أخذوا يهددون طريق الحج البحري ويهاجمون السفن التجارية العثمانية ويسلبونها كل ماتحمل [٢] .

وكانت جزيرة قبرص تمثل مركزاً هاماً للحروب الصليبية ضد الدول

---

١ – دفعت البندقية الجزية للدولة العثمانية نظير احتلالها جزيرتي قبرص وزانطة ، وبلغت عشرة آلاف دوكاً عن الأولى (قبرص) ، وخمسمائة عن الثانية (زانطة) .
أنظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠٢ .

٢ – محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٧٨ .
– أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٤٦ .
– نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٤٨ .

الاسلامية المطلة على البحر المتوسط ، فلقد كانت جزيرة قبرص طوال فترة الحروب الصليبية الأولى تدعم الجيوش الصليبية في الشام ، كما كانت تدعم الأساطيل الصليبية في البحر الأبيض المتوسط ، حتى بعد زوال وسقوط الإمارات الصليبية في الشرق ظلت قبرص تتعاطف مع الصليبين الفارين من الشرق [١] .

لذلك كان فتح قبرص ضرورياً ، فمنذ اعتلى السلطان سليم الثاني عرش الدولة العثمانية قرر إخضاعها خاصةً وأنها كانت خاضعة فيما مضى للدولة الإسلامية في الشام ومصر ، ومنذ أن تم فتحها على يد معاوية بن أبي سفيان عام ٢٨هـ/ ٦٤٨ م [٢] غير أن جمهورية البندقية لم تحفظ تعهداتها فاتخذت من قبرص ومحاربيها خنجراً تطعن به ظهر الدولة العثمانية كلما حلا لها ذلك أو استعذبته ، ومما يدل على اعتداءات البندقية المتكررة ونقضها للعهود هذه الرسالة التي وجهها السلطان سليم الثاني للمورسكيين [٣] في ٢٤ من شوال سنة ٩٧٧هـ / ٢٠ من مارس ١٥٦٩م والتي جاء فيها « ...... **ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة كانت على العهد والأمان منذ زمن أجدادي العظام ، أنار الله براهينهم ، إلا أنهم نقضوا تلك العهود ، وأخذوا بالتعدي على**

---

١ – محمد الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٧٨ .
– ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين والعاشر والحادي عشر الهجريين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، الجزء الأول ، ص ٩٨ .

٢ – إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ٢ ، ص ٥٥٧ .

٣ – الموريسكين : هم العرب الذين بقوا في مملكة غرناطة وقشتالة ، إثر صدور مرسوم التنصير سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م والأندلسيين البلنسين الذين نصرهم ملوك أسبانيا بالقوة سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م ، وكلمة موريسكيون (Moriscos) قشتالية تعني (النصارى الجدد) أو (النصارى الصغار) .
أنظر : عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ٦ .

التجار وأهل الإسلام ، والمسافرين بحراً للطواف ببيت الله الحرام ، وزيارة مقام حضرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النيه ، وصفاء الطوية ، وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان ، لذا فبعد التوكل والإعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والإسناد إلى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه ، وكذلك بالاستمداد بالأرواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين ، فقد استقرت نيتي الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المذكورة في الربيع الأخير القادم ، ونضرع إلى عتبة الحق جلّ وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة ، وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الإسلام كما كانت عليه ، وحتى تقام بها شعائر الشرع الشريف ، وحتى يأمن التجار ويسلموا في غدوهم ورواحهم ، وينصرفوا للدعاء بثبات ومجد ورفعة الدولة ... »[١]

أما بالنسبة لنظرة البندقية للدولة العثمانية في أول ظهورها على مسرح الأحداث فهي لم تعرها أي إهتمام أو انتباه ، وذلك لاعتقادها بأن الأتراك العثمانيين بربر لايستطيعون ترسيخ ملك أو إقامة حضارة وان نجحوا في مطلع حياتهم العسكرية ، ولكن مع تزايد نمو الدولة واتساع فتوحاتها أجبرت البندقية على أن تغير من نظرتها ، وباتت تحسب للعثمانيين ألف حساب ، وتخشى نجاحاتهم العسكرية ، وكان هلعها من العثمانيين مصدره الخوف على تجاراتها والتي كانت تعد أساس رخاء البندقية ومصدر قوتها[٢] فلذلك كانت تعامل

---

١ - دفتر الأمور المهمة ، رقم ٩ ، صفحة ٨٩ ، حكم رقم ٢٣١ في ٢٤ شوال ٩٧٧هـ ، أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول (Basrekalet) (١١٤) .

٢ - سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٢٧٦ .

سفن العثمانيين العابرة من وإلى قبرص معاملة خاصة ودية ، في حين أنها كانت لاتسمح لأكثر من عشر سفن من السفن العثمانية بالرسو على شواطئها إذا ما توقفت للتزود بالمؤن [١] .

وقد بدأت فكرة فتح قبرص تروج في الدولة العثمانية منذ عام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م وبدأت الاستعدادات الحربية لتحقيق هذا الهدف في عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م حيث عملت التجهيزات شطليه الميناء العثماني الذي يقع على الشاطيء الأسيوي بالقرب من جزيرة قبرص. ولكن قبل البدء بأي هجوم على قبرص آثر السلطان سليم الثاني إرسال سفراء أو رسل إلى البندقية للمطالبة بتسليم قبرص تسليماً كلياً غير مشروط معتمداً في طلبه على حالة السلام التي عاشتها البندقية طوال ثلاثين عاماً مما كان له أثر كبير على تكوينها السياسي وعلى إضعاف تحصيناتها التي أصبحت عتيقة ليست لها فاعلية [٢] كسابق أمرها بإستثناء قلعة فماغوستا [٣] ، والتي بحكم موقعها كانت معدة للصمود في وجه أي حصار شديد وطويل ، ويرجع الفضل في ذلك للأسوار العالية التي بناها المعماري الإيطالي جيوفاني جيرولاموسان ميشيلي Govanni cirolamo-san - Mechel الذي استطاع تحويل الموقع الى ثغر حربي من العسير الإستيلاء

١ - أحمد السيد دراج ، جم والدبلوماسية الدولية ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن سنة ١٩٥٩م ، ص ٢٣٠ .

2- Fernand Braudel : The Mediterr anean and the Mediterr anean I p 1073

.شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر ، ص ١٥٤ .

٣ - فماغوستا Famagusta : تقع على الساحل الشرقي المواجه لميناء اللاذقية الشامي : أنظر روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ترجمة عبد الرحمن حميده ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر طبعة ١٩٨٨م – ص ٥٣ . ومحمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٢٥٦ .

عليه [١] ، وقد زار فماغوستا أحد الأشراف الفرنسيين في عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ووصفها بأنها أمنع المدن كلها وسميت من قبل المعاصرين (بالبلد المنيع) [٢] .

كما أراد السلطان العثماني سليم الثاني بطلبه هذا توفير وقت القوات العثمانية وجهدها حتى لاتتحمل عناء الحصار الذي قد يطول أمده ، ولكن مطلب السلطان العثماني سليم الثاني رُفض من قبل البندقية بأغلبية ١٩٩ صوتاً من ٢٢٠ صوتاً ، بل إن البندقية رفضت تسلم الرسالة الدبلوماسية . [٣]

ولو بحثنا عن الأسباب التي دفعت البندقية إلى رفض مطالب الدولة العثمانية نجدها واضحة وجلية ومتمثلة في كون قبرص من أثمن وأجمل ممتلكات أمبراطورية البندقية الإستعمارية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري ، فجزيرة قبرص تتميز بخصوبة تربتها ووفرة منتجاتها الزراعية ، فقد كانت تنتج كل عام كميات كبيرة من الحاصلات الزراعية مثل القمح والقطن والزيت والسكر ، وكانت البندقية تستقبل كل عام من خيرات هذه الجزيرة ماقدر بـ ٠٠٠, ٣٦٠ دوكاً (دينار) بندقي [٤] .

أما السلطان سليم الثاني فإنه لم يلبث أن أعد الجيوش لقتال البنادقة وذلك بعد أن استفتى شيخ الاسلام أبا السعود أفندي والذي أفتاه بأن البنادقة غدروا ونقضوا عهودهم إذ قاموا باعتراض السفن الإسلامية ، والاستيلاء على

---

١ – روبير شوسوا : المعارك البحرية ، ص ٥٣ .

٢ – شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص ١٥٥

3- Fernand Braudel : The Mediterr anean . p 1079 .

روبير شوسوا : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

٤ – شاريل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، ص ٥٥ .

مافيها ، وقتل جميع من بها لإخفاء جرمهم ، لهذا فإنه يجوز قتالهم [١] ، وقبل الخوض بذكر تفاصيل الاستعدادات والقتال لابد لنا من التعرف على موقف الدول الأوروبية من هذا الصراع في القرن السادس عشر الميلادي بصفة عامة ومن الصراع العثماني البندقي بصفة خاصة .

فمنذ وفاة السلطان سليمان القانوني أخذ البابا بيوس الخامس الذي ضاق ذرعاً بسيادة الدولة العثمانية يدعو لتحالف الأساطيل الأوروبية في حلف مقدس للوقوف أمام تطلعات السلطان سليم الثاني فاستجاب لهذا النداء أسبانيا وبعض الجمهوريات الإيطالية مثل (جنوا ، ومملكة نابولي ، ودوقية السافوي ، وتوسكاني) في حين آثرت انجلترا وفرنسا عدم التورط في مثل تلك الحروب خاصة وأن هاتين الدولتين لم يكن أمامهما أي مردود أو فائدة تعود عليهما من تلك الحروب ، أما بالنسبة للبندقية فقد ظلت مترددة وحذرة إلى أن طلب منها السلطان العثماني تسليم قبرص [٢] .

وفي هذا الوقت كانت الدول الأوروبية مشغولة بمشاكلها الخاصة ، ولا ترغب الاصطدام بدولة قوية ذات أملاك واسعة مثل الدولة العثمانية ، والدولة التي كان من الممكن أن تمد يد العون وتساهم في نجدة قبرص هي أسبانيا [٣] ،

---

١ – إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٥٨ .

– أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري : نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان .

مخطوط محفوظ بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم D527 ويوجد نسخة في مكتبة مركز البحث العلمي من ١٣٥ . ورقة (١٣٥)

٢ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٢ .

٣ – محمد الدسوقي : الدولة العثمانية ، ص ٧٩ .

ولكن ماهي ظروفها وأحوالها في تلك الفترة ؟ .

لقد كانت أسبانيا باديء ذي بدء مشغولة ومعاقة بحرب غرناطة أو ثورة الموريسكين ، إضافةً إلى أنها كانت قلقة من تجمعات العثمانيين واستعداداتهم للقتال [١] لكن الملك الأسباني فيليب الثاني آثر في الوقت نفسه عدم تقديم أية مساعدات للبنادقة خوفاً من أن تلجأ البندقية إلى عقد صلح مع الأتراك فتصبح أسبانيا وحيدة أمام هجمات العثمانيين ، والبندقية نفسها كانت متخوفة ومتشككة في نوايا أسبانيا ، إذ أنها كانت تخشى من تدخل أسبانيا في شئون المدن الإيطالية والإستفادة من ذلك على حساب البندقية في ساحل الإدرياتيك ، لهذا فإن البابا بيوس الخامس سعى سعياً حثيثاً من أجل محاولة إقناع أسبانيا والبندقية للتعاون على صد هجمات العثمانيين على قبرص ، ولكن مساعيه باءت بالفشل [٢] .

لكن ! ماسبب تعاطف البابا مع البندقية دون الدول الأخرى الأوروبية ؟

وما هي المصلحة أو الفائدة التي تعود على البابا من هذه الحرب ؟ قد يكون هذا التعاطف لأسباب عديدة منها أن البندقية بمثابة خط دفاعي أول للبابوية إحدى الإمارات الإيطالية ، ويجوز أن البابوية كانت تستفيد من البندقية مادياً

1- Ferrand Braudel : The Mediterr anean . p 1080 .

– محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية ، ص ٧٩

٢ – محمد الدسوقي : المرجع السابق ، ص ٧٩

لأن لها مستعمرات في البحر المتوسط ، ويجوز أن البندقية وهي في أوج مجدها وثرائها كانت تدعم البابوية وتقويها لتكون خطاً دفاعياً مقدساً ضد الدولة العثمانية بحكم مكانتها الدينية .

وقد شملت الاستعدادات والتجهيزات العثمانية لفتح جزيرة قبرص بعض التشكيلات السرية ، وقد كلفت هذه التشكيلات السرية بالقيام بعملية تدمير شاملة في ميناء وترسانة لصناعة السفن البندقية (في سواحل البندقية) وقد قاد هذه التشكيلات داما دبياله باشا ونفذ مهمته على أحسن وجه فأدى هذا إلى وقوع حريق كبير دمر الكثير من السفن البندقية ، وأتى على منشآت هذا الميناء وتلك الترسانة وما فيها من مصانع ، ونتيجة لهذا الحدث تنبهت البندقية وعرفت أن الهدف الذي يقصده العثمانيون هو قبرص ، فتألف أسطول مسيحي من مائتي سفينة وأربع سفن واتجه إلى قبرص [١] لصد العثمانيين عنها .

أما الأسطول العثماني فكان مكوناً من ثلاثمائة وستين [٢] سفينة وقيل أربعمائه سفينة يقودها القبودان مؤذن زاده علي باشا وتحمل على ظهورها مائة ألف مقاتل ، منهم ستون ألفاً من المشاة ، والباقي من جنود البحرية ، كما انضم إلى هذه الحشود فرق من عسكر الأناضول والروميللي ومعظم البكوات الصناجق ، وما يقرب من خمسة الاف من الانكشارية [٣] بقيادة الوزير لالا مصطفي باشا [٤] والجدير بالذكر أنه اشترك في حملة تحرير قبرص عساكر من

---

١ - يلمازا أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٦٩ .

٢ - اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

٣ - يلمازا أوزتونا : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

٤ - اسماعيل سرهنك : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

- عمر الأسكندري ، سليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ، ص ٤٧ .

- محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٥

قلعة الشام ، فقد روى البوريني : (أن إبراهيم الطالوي رجع إلى دمشق أيام منازلة العثمانيين لجزيرة قبرص ، وجمع ذخائر للعساكر التي تحاصر الجزيرة من بلاد الشام ، وقد تم إرسال الذخائر في المراكب من ميناء طرابلس ، وورد مرسوم سلطاني إلى والي دمشق في هذه السنة ينص على أن تُرسل عائدات الزعامات في سنجقي جينين واللجون [1] الى جزيرة قبرص ، وقد قدرت هذه العائدات بعشرين ألف أقجه [2] ثم وضعت الخطة الحربية اللازمة وبمقتضاها أصدرت الدولة العثمانية أوامرها الى قلج علي بيلربك الجزائر للاستعداد لفتح جزيرة قبرص ، ونجد هذا واضحاً في الأمر السلطاني الصادر في ٣ من صفر سنة ٩٧٩هـ الموافق ٢٧من يونيو ١٥٧١م والذي جاء فيه مايلي :" ... حــال وصول (الحكم) عليك بالإهتمام بهذا الموضوع ، وفيما إذا اتحد الأسبانيون مع البنادقة ، وتعسر إنفصالك عن اسطولي الهمايوني ، فعليك بالتشاور بالأمر مع وزيري برتوباشا أدام الله تعالي إجلاله ، لبذل قدراتك في الخدمات اللازمة في كلا الحالتين ، وحسبما تقتضيه الظروف ، أما اذا لم يكن ثمة خطر من أسطول الكفار أصابهم الدمار ، وتوقعتم محاولات استيلاء الكفار ، والحاقهم الضرر بتلك الديار ، فعليك بالتشاور مع المشار اليه [3] بالتوجه الى هناك بما في حوزتك من سفن اللوند [4] وفيما اذا اقتضي الأمر يمكنك إصطحاب قبوداني دام إقباله

---

١ – وهي مدن في فلسطين .

٢ – نوفان رجا الحمود : العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

٣ – أي الوزير برتو باشا .

٤ – اللوند : رجال تخصصوا في الشؤون البحرية ، ودرجوا على ركوب البحار في المقام الأول ومنهم البحارة المقاتلون المتمرسون ، وقد أعفى اللوند من أعمال التجديف والقتال في سفن الأسطول منذ القرن السادس عشر : إذ كان عملهم شاقاً وخطيراً وكانوا يقبلون القيام به على مضض .
أنظر : عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، جـ ٢ ، ص ٨٧٥ .

أيضا . وعليك ببذل أنواع سعيك وإقدامك في سبيل دفع ورفع ضرر وفساد الأعداء عن المسلمين ، وعليهم (أي الجند والقادة) ايضا القيام بما تقتضيه المصلحة بتمام البصيرة والانتباه اخذ بمشورة الموصي اليه ، والمأمول منك هو بذل قدراتك وإظهار جلادتك وشهامتك المتأصلة في ذاتك سواء كنت تؤدي خدماتك في اسطولي الهاميوني (المحاصر لقبرص) أو في العمل على دفع الأذي عن المسلمين في تلك الديار (أي دفع أي عدوان اسباني عن الجزائر) ، ولا تتوان عن إعلامنا بأوضاع الجزائر ، وبما أقدمت عليه ، وعليك بتتبع أفكار وتحركات الكفار ، وابعث لنا بكل مايردك من الأخبار الموثوقة »[١] .

إمتثل قلج علي لأوامر السلطان العثماني سليم الثاني وانضم الي الاساطيل العثمانية بمائة وخمسين غرابًا[٢] فصادف في طريقه عمارةً مسيحية[٣] فوقع بينه وبينها مناوشات ثم قتال انتهي باغراقه لبعض سفنها واستيلائه على مدافعها وبعد ان انضم قلج علي باشا الى القوات البحرية التي تحاصر قبرص تشاور القادة فيما بينهم وقرروا الهجوم على قلعة لفقوسة (نيقوسيا) لانها عاصمتهم وقاعدة مملكتهم ومدينتهم الكبري وقد اتم العثمانيون بناء برج أمامها[٤] ساعدهم في احكام حصارها وقذفها بالمدفعية فتمكنوا من فتحها بعد مضي

---

١ – دفتر الأمور المهمة ، رقم ٢١٤صفحة ٢٠٠، حكم رقم ٢٨٤ ، في ٣ صفر ٩٧٩هـ بأرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول .

٢ – الغراب : جمعها أغربة وغربان وهو نوع من المراكب اخذه العرب عن القرطاجيين والرومان وغيرهم من أمم البحر المتوسط ، وبقيت إلى عهد الدولة العثمانية . وقد سُمي بهذا الإسم لأن مقدمه يشبه رأس الغراب او الطائر انظر سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية – دار المجمع العلمي بجده ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م الطبعة الثانية ، ص ٣٥٩ .

٣ – أي اسطولا مسيحيًا .

٤ – الذي أتم بناء البرج العثمانيين : وهي طريقة اتبعها العثمانيون في حصارهم للمدن والمناطق التي يطول حصارها فهم يبنون أو يشيدون الأبراج حول المدينة لتتم المراقبة ويسهل قصفها .

شهر من بداية حصارها [١] فسقط من العسكريين المسيحيين عدد كبير من القتلي بعث القادة المسلمون برءوس عظمائهم ورؤساءهم على اطباق من فضة الى أهل قلعة كرينة (سرينه) في قبرص ، فارتعبوا لذلك ، وطلبوا الامان ، وبعثوا بمفاتيح قلعتهم [٢] الى قائد القوات العثمانية ، ولم يلبث العثمانيون أن اصلحوا ماتخرب من قلعة لفقوسة (نيقوسيا) التي اصبحت قلعة عثمانية .

ثم اتجهت انظار العثمانيين بعد ذلك الى فماغوستا ، أو (فماغوسته) [٣]

١- أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية جـ٢ ، ص ١٨٣

-علاء الدين القرماني :- تاريخ سلاطين آل عثمان - دار البصائر - تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ص ٥٢.

- رزق الله منقريوس الصدفي :- تاريخ دول الاسلام - الناشر مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م.الجزء الثالث - ص ١٢٢.

- محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية - ٧٩

- المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩، ٣٠ - (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) -١٩٨٣م

د - عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر - ص ٩٧

- روبير شوسو - المعارك البحرية - ٥٤

٢- اسماعيل سرهنك - حقائق الاخبار - جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

- أحمد بن زيني دحلان - المرجع السابق - جـ٢ - ص ١٨٣.

٣ - اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار - جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

- أحمد دحلان - المرجع السابق - جـ٢ - ص ١٨٣.

- شارل ديل - البندقية - ص ١٥٥.

- محمد الدسوقي - الدولة العثمانية - ص ٧٩

- روبير شوشو - المعارك البحرية - ص ٥٤

- محمد فريد - تاريخ الدولة العلية - ص ٢٥٥

A. J . Grent : Ahistory of Europ . P 222

Paul Cales : The Ottoman Empact . P 1037 .

- ابراهيم بك حليم - التحفة الحلمية - ص ٩٩

التي كانت تّعدُ من اصعب الحصون وأمنع المعاقل في قبرص ، وتقع فماغوستا على ساحل البحر المتوسط فوق صخرة صماء ، وقد أقام فيها المسيحيون القبارصة العديد من التحصينات حتى يصعب الوصول اليها وإخضاعها ، كما حشدوا فيها عددًا عظيماً من الرجال المسلحين والمدافع ، ثم أحاطوها بخندق تميز بالإتساع والعمق ذي سور يبلغ عرضه مائة ذراع وعشرة أذرع ، ويبلغ عمقه تسعة وعشرين ذراعًا ، وقد قدرت عدد المدافع التي صُفت في هذه القلعة بسبعمائة وأربعة وستين مدفعًا كبيراً يضاف الى هذا عدد عظيم من البنادق التي تسلح بها المدافعون ، لكن العثمانيين لم يرهبهم كل هذا فحاصروها حصاراً شديدًا وإستخدموا في هذا الحصار كافة الأسلحة النارية كالمدفع والمكاحل والبنادق والمنجنيقات لدك حصونها وحفروا بطون الارض أنفاقاً في سبيل الوصول الى تلك القلعة غير أن فصل الشتاء فاجأهم ونتيجة للبرد القارس وعدم وجود مراسي لعمارة السلطان غادر كاشف البحر قلج علي باشا الى اطراف بلاد الروم ، ومعه بعض العسكر ، ولما انتهى فصل الشتاء عاد كاشف البحر قلج علي باشا لمساعدة المسلمين المحاصرين لقبرص ، ولما يئس المحاصرون من وصول أي إمدادات اليهم بعدما نفذت مؤنهم وإنتشرت المجاعة بينهم طلبوا الامان ، وبعثوا بمفاتيح القلعة ، وطالبوا بالسماح لهم بالانتقال الى جزيرة كريت ، ورحب العثمانيون بذلك بل عرضوا عليهم الانتقال بسفن عثمانية ، وتركوا الحرية للبقية الباقية من المقاتلين والمدنيين على السواء في الاقامة بقبرص أو مغادرتها وفي حالة إقامتهم تتكفل الدولة بحمايتهم وإتاحة كافة الحقوق المعلومة لهم ، وهنا ظهر روح التسامح الإسلامي الذي اتبعه

العثمانيون في معظم فتوحاتهم إقتداء بالسيرة النبوية [١] .

وهكذا تم فتح فماغوسته بعد أن صمدت وقاومت حصار القوات العثمانية لها أحد عشر شهراً من صفر ٩٧٨هـ -جمادي أول ٩٧٩ هـ (يوليو ١٥٧٠م - أول أغسطس ١٥٧١ م) ، وما تزال آثار هذه الحرب باقية في هذه القلعة الى يومنا هذا [٢] . ثم واصلت الاساطيل العثمانية فتوحاتها في البحر المتوسط بعد ان أتمت فتح جزيرة قبرص فانتقلت الى جهات كورفو وفتحت عدة قلاع تابعة للبندقية ولم يعترضها أي أسطول [٣] .

وبعد ما تم فتح جزيرة قبرص اتبع العثمانيون السياسة والمنهج اللذين

---

١ - علاء الدين القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ص٥٣ .
- احمد دحلان : الفتوحات الاسلامية - جـ٢ - ص ١٨٣.
-- محمد الدسوقي : الدولة العثمانية - ص ٧٩ . ص ٨٠ .
نبيل رضوان : جهود العثمانيين - ص ٤٥١ .
٢- شارل ديل : البندقية - ص ١٥٥ .
محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الاوائل والأواخر - المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٣هـ -ص ٨٤
- وقيل انه قُبض علي قائد القتال في قلعة فماغوسته
(مارك انطوان برجادينو Marc Antoine Bragedino
وسلخ جلده حيا ودبغ وأرسل الى السلطان في القسطنطينية وأن البندقية ابتاعته واستردته بعد سنوات .
٣ - سرهنك - حقائق الاخبار - جـ ١ - ص ٢١
- احمد دحلان - الفتوحات الاسلامية ٨٤
Fernand Braudel : The Mediterranean .. P 1100 ..

اتبعهما الفاتحون في عهود الراشدين ، فعملوا على تثبيت أقدام المسلمين في تلك البلاد المفتوحة ، حتى لا تشق عصا الطاعة على النظام الاسلامي ، وهذا ما حدث بالفعل في قبرص حيث نقلت الدولة العثمانية أعداداً كبيرةً من سكان الأناضول الى جزيرة قبرص ليستوطنوها ، ولايزال أحفادهم يقيمون في الجزيرة حتى اليوم .

أما أهل قبرص المدنيون فقد انقسموا ما بين مؤيد للحكم العثماني ومعارض له فلقد رحب القبارصة الأرثوذكس بالحكم العثماني لأنه خلصهم من نير الحكم الكاثوليكي ، وأما القبارصة الكاثوليك فانهم رفضوا الحكم العثماني لانه جردهم من سلطاتهم وسيطرتهم على الجزيرة (١).

وبعد فإن فتح العثمانيين لقبرص يعد من أعظم انتصارات الدولة العثمانية فبه اتمت سيادتها على الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط بعد ما تمت سيادتها على الحوض الغربي بهذا البحر (٢) .

١- أحمد عبد الرحيم مصطفي : في أصول التاريخ العثماني - ص ١٤٧ .
- نبيل رضوان : جهود العثمانيين - ص ٤٥١.

٢ - شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية - ص ١٥٦ .
حسن ابراهيم شحاتة : اطوار العلاقات المغربية العثمانية ، قراءة في التاريخ عبر خمسة قرون (١٥١٠-١٩٤٧م) . منشأة المعارف - الاسكندرية الطبعة الاولي ١٩٨٠م - ص ٢٣٢.
روبير شوسوا : تاريخ المعارك البحرية - ص ٥٤ .

ب : التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية ٩٧٨هـ /١٥٧٠م :

بلغت الدولة العثمانية درجة كبيرة من التفوق العالمي فقد ضمت اليها المشرق الاسلامي والجزء الشرقي من أوربا ، وكان من المتوقع أن تتصدي أوربا المسيحية للدولة العثمانية بمقاومة جماعية صليبية جديدة ، وهذا ما حدث فإن مشروعات الحملات الصليبية والتفكير فيها لم ينقطع ، وكانت هذه المشروعات وتلك الأفكار تحقق قبل أن ترى النور وذلك لاستيلاء الخوف على أصحابها من قوة الدولة العثمانية وشدة بأسها ، وهناك سبب آخر لايمكن تجاهله وهو أن أوروبا في هذا العصر الحديث اختلفت عن أوروبا في العصور الوسطي وذلك لظهور اتجاهات قوية نحو التحرر الفكري ، والتمايز القومي والتنافس الدولي ، والانقسام الديني ، والصراع الاقتصادي فجميع هذه العوامل كانت من العوائق التي وقفت في وجه أية حملة صليبية موحدة وحالت دون نجاحها ، وذلك لأن مصلحة الدولة في أوروبا أصبحت تفوق مصلحة المسيحية العالمية ، وإن كانت لاتبدي ذلك[١] غير أن إنتصارات الدولة العثمانية وما ترتب عليها من مكاسب إقليمية كان إيذانا بتكوين حلف دولي مقدس ضد الدولة العثمانية ، وهنا يبرز سؤال ليفرض نفسه ، هذا السؤال هو لماذا الحلف المقدس ؟وقد ظهرت تلك العوامل التي فاقت المسيحية العالمية وتتلخص الاجابة على هذا السؤال في أن هذا الحلف المقدس ماقصد به الا ضمان إنضمام اكبر عدد من الدول الأوروبية [٢] ولتجنب الهزيمة المحققة التي ستلحقها الدولة العثمانية بكل دولة أوربية تقابلها خارج هذا الحلف ومع هذا فإن وسائل الحرب الصليبية ومناهجها

١- ليلي صباغ : الجاليات الأوروبية - ص ٧٨ .

٢- عبد العزيز محمد الشناوي : أوربا في مطلع العصور الحديثة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - الجزء الأول - الطبعة الخامسة - ١٩٨٥م - ص ١٨٢.

ظلت كما هي لا يستطيع أحد إنكارها حتي وإن كانت هذه الحرب الصليبية في خدمة مصالح كل دولة من الدول الأوروبية حتي وإن تقدمت هذه المصالح على الأهداف الدينيةالمزعومة .

وقد ظهر في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي وماتلاه . مبدأ سياسي أصبح السمة البارزه في السياسة الدولية في أوروبا ، وهو المحافظة على توازن قوى الدول Equiliher de Pouvoivo ومفاده أنه إذا بلغت إحدى الدول الأوروبية درجة من النفوذ والقوة والتسلط وبلغت مستوى يتاتى منه تهديد أمن الدول الأخرى ومصالحها وتهديد السلام بصفة عامة فإنه يجب على الدول أن تتحالف فيما بينها ضد هذه الدولة [١] ، فهذه الاحلاف العسكرية وتلك التكتلات السياسية إنما كانت رد فعل مباشر لبلوغ دولة كبيرة مستوى من القوة صيرها صاحبة نفوذ وخطر على بقية الدول الأقل منها قوة ونفوذا ، مما اضطرها الى التجمع في حلف عسكري او تكتل سياسي لتحقيق توازن في القوى ، لدرء الخطر ولتحقيق مصالح وأغراض مشتركة في المجالات المختلفة السياسية منها والاقتصادية والعسكرية التي تضمنتها المواثيق والمعاهدات الدولية .

لذلك فإن التجمعات تتنوع من حيث الغاية والهدف والوظيفة والأقاليم الجغرافية التي تغطيها ، فقد تكون هناك تجمعات تخدم مصالح وسياسات لدول متطابقة في أهدافها ومتوازنة في ظروفها الجغرافية ، أو متشابهة في عقائدها الروحية ، وربما تكون هذه التجمعات دائمة أو مؤقتة على حسب فعاليتها في تحقيق مصالح الدول المرتبطة بهذه التجمعات [٢] .

١- عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق - ص ١٧١ .

٢- عبد الحميد غنيم : الجغرافية السياسية والعلاقات الدولية - مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولي - ١٤٠٧ هـ ١٩٧٨م - ٢٠٣ .

يلمازا أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية - ص ١٥٤ .

فالحلف هو : « علاقة بين دولتين أو أكثر يتعهد بموجبها الفرقاء المعنيون بالمساعدة المتبادلة في حالة الحرب ، وسياسة الأحلاف هي البديل لسياسة العزلة التي ترفض أية مسئولية عن الدول الأخرى ، وهي تتميز كذلك عن سياسة الأمن الجماعي التي تُعَمِّمُ من حيث المبدأ - مبدأ التحالف - حتى تجعله عالمياً ، بحيث تردع العدوان ، وتتصدى له عند الضرورة » [١] .

وتعتبر الأحلاف العسكرية جواباً مباشراً لتصرف مماثل يصدر من خصم كبير يهدد به مصالح الخصم الآخر في مركزه ونفوذه الدولي [٢] .

وقد نجح البابابيوس الخامس في عقد حلف مقدس بين (أسبانيا والبندقية وفرسان القديس يوحنا المالطيين والجمهوريات الإيطالية ؛ توسكانيا ، وجنوة ، وفلورانسا ، وسافوي ، ومانتو ، ويارما) وذلك في ٩٧٩هـ/ الخامس والعشرين من آيار (١٥٧١م) في كاتدرائية القدسي سان بيار القديس بطرس ، وقد سبق هذا الحلف اتصالات كثيرة قام بها بابا روما من خلال جهوده المتواصلة لعقد هذا الحلف ومنها كتابه الذي بعث به إلى فيليب الثاني [٣] في الثامن من شهر مارس سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م ، وقد جاء فيه : « لاتوجد في العالم المسيحي أي دولة مسيحية يمكنها أن تقف لوحدها تجاه الدولة العثمانية ، وبناء على ذلك

١- عبد الحميد غنيم : الجغرافية السياسية والعلاقات الدولية - ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

٢- عبد الحميد غنيم - المرجع السابق - ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

٣- فيليب الثاني - حكم اسبانيا من ٩٦٣ هـ - ١٠٠٦هـ / ١٥٥٦- ١٥٩٨ م بعد ان تنازل له والده شارل الخامس عن العرش ، انظر عادل بشتاوي : الاندلسيون المواركه - ص ص ٣١٤،٣٠٨ .

يجب على كافة الدول أن تتحد لتكسر الغرور التركي »[١] .

ولقد كان من الصعب اتحاد أسبانيا مع البندقية وقيام تحالف عسكري بينهما بسبب العداء المستحكم بينهما منذ آماد بعيدة ، فقد تبادل الطرفان الإتهامات ، وأثارت كل دولة الشك في نوايا الدولة الأخرى ، فاتهمت أسبانيا البنادقة بالسعي لعقد معاهدة سلام مع العثمانيين متى سمحت لهم بهذا مصالحهم ، كما اتهم البنادقة أسبانيا بأنها تهيىء لشن هجوم ضد الإمارات الإيطالية مبتدئة بجنوة ، ثم توسكانيا ، ومن ثم البندقية[٢] .

والجدير بالذكر أن المفاوضين في الحلف سعوا سعياً حثيثاً من أجل إتمامه وإختتامه ، وقد مثل أسبانيا في الحلف (الكاردينال باشيكو وقرانيفيل ، وجوان دي زينيجا ، كما مثل البندقية سفيرها في روما (ميشيل سوريانو) ثم حل محله في أكتوبر (جيوفاني سورانزو) وفوض البابا الكاردينال مورون ، وسيس ، وجراسيس ، والدوبارديني ، والساندرنيو ، ووستيكيوس .

١- يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ٣٧١ ،، رزق الصدفي : تاريخ دول الاسلام – ص ٢٢٢ .
إبراهيم المازني : تاريخ الدولة العلية – ص ٤٧ ، نبيل رضوان ، جهود العثمانيين – ص ٤٥١
شارل ديل : البندقية ص ١٥٦ .
ليلي الصباغ : الجاليات الأوروبية – ص ٩٩
أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة – ص ٨١ .
جلال يحي : تاريخ المغرب الكبير – ص ٢٨.
إبراهيم حليم – التحفة الحلمية – ص ١٠٠ .
أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري – ص ٤٥ .
J.H Elliott : Imperial Spain .. p 131
صلاح العقاد : المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر – تونس – المغرب الاقصي) مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الخامسة ١٩٨٥ م – ص ٢٤.
عبد العزيز سليمان نوار –تاريخ الشعوب الاسلامية – ص ١٠٩ .
2- Fernand Braudel : The Mediterranean ... P 1089 .

ولظهـور الكثـيـر من الخـلافـات أجلت المحـادثات ثلاث مـرات ، المرة الأولى بين أغـسطس وأكـتـوبر ربيع أول سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠ م ، والثـانيـة بين رمضان وشوال سنة ٩٧٨هـ/ يناير وفبراير سنة ١٥٧١م ، والثالثة عندما قارب كل شيء من الانتهاء فيما بين ذي القعدة ومحرم سنة ٩٧٩هـ/ مارس ومايو سـنة ١٥٧١م ، ولم تعط البندقية موافقتها النهائية إلا بعد أن انقطع آخر أمل لها في القسطنطينية ، وهذا مايؤكده عرضنا السابق الذي تبين منه أن البندقية كانت تفضل مصلحتها الإقتصادية والاستراتيجية والسياسية على كل شيء [1] ، وقد كان من الممكن أن يصل المفاوضون إلى اتفاق سريع إذا تركوا بمفردهم وخاصة في حضور البابا الذي عقد العزم على عقد هذا الحلف ، غير أن الخلافات أخذت مداها ونوقشت طويلاً ، لهذا استغرق التوصل إلى الموافقة على وضع مشروع حلف مقدس وقتاً غير قصير ، وقد تضمن مشروع هذا الحلف شروطاً عديدة ، منها أن يظل هذا الحلف مبرماً لمدة اثني عشر عاماً ، وأن يكون هذا الحلف هجومياً ودفاعياً في وقت واحد ، وأن يكون مُوَجَّهاً ضد العثمانيين ، وضد الولايات الإسلامية في شمال أفريقيا : طرابلس وتونس ، والجزائر ، وقد وُضع هذا الشرط الأخير استجابة لطلب أسبانيا التي أرادت أن تضمن حريتها المستقبلية في غزو الشمال الأفريقي لأنه مجال من مجال تحركاتها الخاصة حسب زعمها ، كما جاء في وثيقة هذا الحلف أن القيادة العليا للأسطول المتحالف ستكون لدون جوان النمساوي ، وأن تكاليف هذه التحركات الحربية المشتركة ستقسم الى ستة أجزاء ثلاثة أجزاء منها تكون من مسئولية أسبانيا ، وجزأين يكونان من مسئولية البندقية ، وجزء واحد من مسئولية بابا روما .

1- O P . Cit . P 1089.

كما جاء في وثيقة هذا الحلف أنه بالنسبة للإمدادات فأسبانيا ستفتح أسواقها الإيطالية للبندقية ، وتشجيعا منها للبندقيةللدخول في الحلف عرضت أن ترفع بشكل معقول الأسعار ، ووعدت بعدم مضاعفة الضرائب وأي رسوم أخرى علي الصادرات [١]

وقد جاءت موافقة أسبانيا علي التسهيلات التجارية بعد أن أصرت البندقية على أن يراعي الحلفاء أنها لاتستطيع ان تستغني عن الحبوب العثمانية إلا إذا توصلت إلى البديل والمتمثل في الإمدادات الأبلونية (الألبانية) Apulian أو الصقلية ، وأما الشرط الأخير الذي وُضع ضمن شروط مشروع هذا الحلف فهو منع جميع أطراف الحلف عن عقد أي معاهدة منفصلة مع العثمانيين دون أن تكون هناك موافقة مسبقة من الموقعين على هذا الحلف .

وقد أرسلت نسخ تلك الاتفاقية المقترحة إلى جميع حكومات الدول المعنية للمراجعة والتعديل ، فكان ردود أفعال الدول المعنية في هذا الحلف كالتالي :

أما أسبانيا فانها قررت بعد اطالة المراجعة أن تمنح ممثليها سلطة التوقيع على معاهدة هذا الحلف مع بعض التعديلات .

واما البندقية فقد كان رد فعلها عنيفًا حيث رجعت عن كل الذي وافقت عليه من قبل [٢] وأرسلت مبعوثا جديداً ، وأصرت على إعادة المباحثات في جميع النقاط ، وبقليل من الرضاء والحماس أثار البنادقة الجدل والخصام

1- Fernand Braudel : The Mediterranean ... P 1093 .

سعيد برجاوي – الأمبراطورية العثمانية – ص ١٣٥ .

2- 1- O P . Cit . P 1090 .

للحيلولة دون توقيع الإتفاقية وحجتهم أسعار المواد الغذائية ، ووضع القيود على إختصاصات القائد الأعلى للعملية الإستراتيجية ، وتوزيع الاعباء المالية بين الحلفاء .

ونتيجة لتأرجح موقف دون جوان النمساوي أمام دول التحالف أيكون هو القائد لسفن البابا فقط أو القائد الأعلى للحملة كلها ؟ انهارت جميع المحادثات في ديسمبر من العام نفسه مما سبب خيبة أمل كبيرة للبابا ، وقد ظلت هذه العقبة عدة أسابيع فبعد ما وافق ملك الكاثوليك (الملك الاسباني فيليب الثاني) على أنه يجب على البابا إختيار دون جوان من بين ثلاثة أسماء قدمت له من قبل أسبانيا بدأ المفاوضون المحادثات مرة أُخري في شهر فبراير سنة ١٥٧١م [١] ، وقُدمت وثيقة جديدة في بداية شهر مارس من هذا العام ، لكن البندقية أجلت توقيعها الي مايو إنتظاراً لعودة مبعوثها من تركيا وبعد خمسة أيام أي في العشرين من مايو سنة ١٥٧١م تبودلت التوقيعات ، وأعلن الحلف

1- Fernand : Braudel OP. Cit . P 1091 .

المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ - ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ، يوليو ١٩٨٣ م

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي - ص ٩٧ .

عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة - ص ١٦١ .

رسمياً من كاتدرائية القديس سنت بيتر أوسان بيار في روما [1] ، وقد اتفقت الدول الموقعة على هذا الحلف من الناحية المبدئية علي ابرام اتفاقية عسكرية تدوم لمدة ثلاث سنوات (٩٧٩هـ - ٩٨١هـ/ ١٥٧١م - ١٥٧٣ م) ويتعهد الحلفاء فيها بارسال أسطول مشترك مكون من مائتي سفينة شراعية ومائة سفينة استطلاعية وفي الوقت نفسه تحمل هذه السفن على متنها خمسين ألفًا من المشاة وأربعة آلاف ونصف ألف من الخيالة . ثم توجّه إلى المشرق والجزائر علي أن تتحمل أسبانيا والبندقية ثلاثة أخماس الأعباء المالية ، وأن تكون أسعار الإمدادات معقولة ، وألا تزيد ضرائب الصادرات أو أي رسوم على المستوي المعتاد .

وأقر الحلفاء بأن لا تعقد أية دولة منهم أية معاهدة منفصلة مع الدولة العثمانية للسلام ، والملاحظ أن هذا الحلف قد أحبط قبل تكوينه في عام ١٥٧١م بعقبات جسام ، ومشاكل كثيرة ، ومراقبة من بعد

1- Fernand Baraudel : The Mediterranean ... P 1089 .

شارل : البندقية - ص ١٥٦

أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية - ص ١٨٤ .

J . Helliott : Imperial Spain 1469 - 1716 - P 131 .

جلال يحي : تاريخ المغرب الكبير - الجزء الثالث - ص ٢٨

رمزي تادرس وكيرس تادرس : مجلة رعمسيس - الجزء الرابع - ص ٩٩

محمد الدسوقي : الدولة العثمانية - ص ٨١

ابراهيم المازني : تاريخ الدولة العلية - ص ٤٧ .

نبيل رضوان : جهود العثمانيين ص ٤٥١ .

أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة - ص ٣٩٦ .

أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري - ص ٤٥ .

إبراهيم بك حليم - التحفة الحلمية - ص ١٠٠ .

بكثير من الحذر والقلق [١] .

وفي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين تغيرت الأوضاع في أوروبا بظهور حركة دينية خطيرة أطلق عليها (حركة الإصلاح الديني) فتت العالم المسيحي ، وأدت إلى ظهور طوائف جديدة غايرت المذهب الكاثوليكي الذي كان يسود غرب أوروبا ووسطها مما أدى إلي خوف الكنيسة الكاثوليكية ، ودفعها إلى القيام بإصلاح شئونها ومناهضة المذاهب المخالفة ، فنشأت نتيجة لذلك حروب أهلية قوية في أكثر بلاد أوروبا ولم تكن هذه الحركة الدينية أو ما سميت بحركة الإصلاح الديني حركة مفاجئة وانما كان لها جذور قديمة ، ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية كانت قد تعرضت منذ قيامها لأخطار متعددة ، فمثلاً تعرضت للجدل الذي أثير حول طبيعة المسيح ، ثم تعرضت بعد ذلك لخطر انتشار الإسلام في أوروبا وفتح القسطنطينية على أيدي العثمانيين ، وتدريجياً فقدت بابوية روما مكانتها وصفة العالمية التي تميزت بها وصارت محصورة في إمارة إيطالية حتى أن البابوات إعتبروا انفسهم مجرد أمراء لروما، وما لبث أن ظهر تيار جديد وأخذ يهاجم ما تتمتع به البابويه من سلطان دنيوي ، ومن ثروات طائلة [٢]، فأدى هذا الى قلق روحي وفكري ،

1- Fernand Braudel : The Mediterranean ... P 1090 .
A . T . Grant : Ahistory of Europe P . 222 .

ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري – ص ١٤٣

عمر الاسكندري وحسن سليم : تاريخ مصر من الفتح العثماني – ص ٣٧

المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩– ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) – ١٩٨٣م –

د – عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر – ص ٩٨

2- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europe p 102 .

وأخذت العقول تبتعد عن الكنيسة وتبحث عن مكان آخر للنشاط الروحي والفكري للوصول الى الطمانينة النفسية والعقلية معًا ، ثم نشأت في أوروبا الدولة الوطنية الحديثة التي تكونت في فرنسا وأسبانيا ، وأخذت في التوسع لاجل أوروبا على حساب الامم الأخري وبخاصة الإمارات الإيطالية ، ثم اشتعلت (الحروب الإيطالية) بين اسبانيا وفرنسا وأمتدت طوال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي (١) .

ونتيجة لانهاك قوي الطرفين اسبانيا وفرنسا في الحروب الإيطالية ونفاد مواردهما (٢) وطاقاتهما ، ولتفوق الأساطيل العثمانية ، ولهزيمة الفرنسيين أمام جيش فلمنكي الأسباني الذي كانت تؤيده مدفعية الأسطول الإنجليزي في بحر الشمال تجاه جرافلين Gravelines قرر فيليب الثاني ملك أسبانيا تناسي جميع الخلافات التي نشبت بينه وبين الفرنسيين لمواجهة الخطر العثماني الذي بات يهدد النظام السياسي والاقتصادي والتجاري في جنوب قارة أوروبا (٣) لذلك تم توقيع أسبانيا وفرنسا وإنجلترا على معاهدة في الثالث من شعبان ٩٦٧هـ أبريل سنة ١٥٥٩م - في بلدة تقع بالقرب من الحدود البلجيكية

١- نبيل رضوان أوروبا في العصر الحديث ص ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩-

٢- عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة - ص ٢٨٢

٣- الشناوي : المرجع السابق -ص ٢٨١.

اندري كلو : سليمان القانوني - مثل من التمازج بين الهوية والحداثة - ص ٢٥٩

Fernand Braudel : The Mediterranean ... P 970 .

المجلة التاريخية المغربية - العددان ١٠-١١ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) - يناير ١٩٧٨م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الايالات المغربية في القرن السادس عشر - ص ٢٣.

تُسمي كاتو كمبرسيس[١] ومنها أخذت المعاهدة إسمها . وبهذه المعاهدة أسدل الستار علي الحروب الإيطالية .

وتعتبر معاهدة كاتو كمبرسيس أول تسوية عامة أوروبية في التاريخ الحديث [٢] وقد كان من نتائج هذه المعاهدة أن أخذت الدول الأوروبية في القضاء علي جميع الإنقسامات الدينية الداخلية حتى لاتؤدي الي انقسام سياسي ، كما انتقل فيليب الثاني ملك أسبانيا إلي أسبانيا وإتخذ مقره فيها بعد أن كان مقيماً في الأراضي المنخفضة ، ثم قام باضطهاد البقية الباقية من مسلمي أسبانيا ، كما أرسل حملتين للقضاء على ما تبقي لهم من جهد وقوة ، لكنهما لم تكللا بالنجاح ، وعندما حاصر العثمانيون مالطة في عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م رد فيليب باضطهاد مسلمي أسبانيا ، ولما نجح العثمانيون في فتح قبرص وضمها الى ممالكهم تحالف فيليب الثاني مع البابا والإمارات الأخرى [٣] .

١- معاهدة كاتو كمبرسيس : تنازلت فرنسا بموجبها عن كل ادعاءاتها في شبه الجزيرة الإيطالية ، وظلت اسبانيا محتفظة بميلان في شمال ايطاليا ونابولي في جنوبها ، كما وافقت فرنسا علي التنازل عن سافوي وبيدمنت الى القائد العسكري الإسباني عمانوئيل فيليبرن ، على ان يتزوج القائد المذكور أخت ملك فرنسا ، وبهذه المعاهدة انتهي الصراع من أوروبا ، وأخذت كل دولة اوروبية تحاول القضاء علي الانقسامات الدينية الداخلية ، خوفًا من أن يؤدي ذلك الى انقسام سياسي كما تحول نظر فيليب الى اسبانيا فاتخذ مقره فيها ثم وجه قوته الى اضطهاد البقية الباقية من عرب اسبانيا .

٢- عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة - ص ٢٨٢ .

٣- نبيل رضوان - أوروبا في العصر الحديث - ص ص ٣٩ -٤١

ولقد تباينت أهداف الدول المشاركة في الحلف ، فكل دولة كان لها أهداف وأغراض ومصالح معينة ، لكن الهدف الوحيد المتفق عليه والمشترك بينهم هو تحطيم القوة والغرور العثمانيين بتحطيم الأسطول العثماني .

وفيما يلي نبين موقف كل دولة من دول الحلف وبيان غرض وهدف كل حليف . كانت أسبانيا منذ أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في قلق مستمر بسبب توسع العثمانيين في شواطيء البحر الابيض المتوسط ، وعجزها عن صدهم على الرغم مما بذلته من المناورات والحيل ، ومما زاد من أزمتها التحرك الإسلامي بغرناطة في الفترة من ٩٧٦هـ -٩٧٨هـ ١٥٦٨-١٥٧٠م وإستعمالها كل وسائل العنف والقسوة للقضاء علي مسلمي غرناطة حتي لا تهدد المسيحية في عقر دارها حسب المقولة الأسبانية . وينبغي ألاّ ننسى جهود المورسكيين الذين لعبوا دوراً رئيسياً في الأحداث التي نشبت بين أسبانيا والعثمانيين وأهم تلك المجهودات تقديمهم المعلومات الصحيحة للعثمانيين حول المواقع والإتجاهات الحربية الأسبانية [٢] . لذلك قامت أسبانيا بشن حملات عسكرية علي الإيلات المغربية وكثّفت حملاتها البحرية الصليبية على الاسلام والمسلمين [٣] .

ولقد كان لدخول أسبانيا في هذا الحلف أسبابٌ عديدة منها تحرير تونس بيد القائد العثماني قلج علي باشا في عام ٩٧٧هـ ١٥٦٩م ، فأصبح من اليسير على العثمانيين التحكم في المضيق الصقلي ، وبالتالي تهديد ايطاليا وطرق

١- محمد قشتيلو : محنة الموريسكوس في اسبانيا - ص ٦٨ .

٢- المجلة التاريخية المغربية - عدد ١٠-١١ - (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد)، ١٩٧٨م . عبد الجليل التميمي : الخلفية الدينية للصراع العثماني على الايالات المغربية ص ١٤

٣- المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩، ٣٠ - ١٩٨٣(جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) م بحث للدكتور : عبد الجليل التميمي رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر - ص ٧٢

مواصلاتها مع أسبانيا كما كان لسقوط قبرص في أيدي العثمانيين أثر سيء لدي الأسبان إذ خشي الأسبان أن يستولي العثمانيون على إيطاليا كما استولوا علي اليونان من قبل [١] خاصة وأن إيطاليا أصبحت بمقتضي إتفاقية بولونيا ٩٣٧هـ ١٥٣٠م تابعةً لأسبانيا ماعدا البندقية التي احتفظت باستقلالها أما نابولي ، وصقلية ، وسردينية وميلان ، فقد أصبحت تابعة لأسبانيا ويحكمها ولاة أسبانيون ، وأما سافوي ومانتوا وفيرار وأربينو فقد سمح الأسبان لكل منها الاحتفاظ بدوقاتها المحليين بشرط أن تظل علاقتها مع امبراطور أسبانيا حسنة مرضية .

وأما جنوى وسينا فقد خضعتا للحماية الأسبانية [٢] .

ومما لاشك فيه أن التوسع العثماني شجع الأقلية الإسلامية الموجودة في الأندلس ، فتحولت بالتدريج من الاستياء إلى التمرد [٣] الذي تحول الى ثورة البشارات الأخيرة والتي اندلعت بدعم من الدولة العثمانية ، كل هذا قرب بين أسبانيا والبندقية على الرغم من العداء المستحكم بينهما ، وكانت أسبانيا تأمل أن

١- عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة - ص ٢١٣ .

٢ - ول ديورنت : قصة الحضارة -جـ ٢١-٢٢- ص ٢٩٠ .

3- Paul Coles : The Ottoman Empact On Europ . p 126 .

يوجه هذا التحالف ضد العثمانيين في منطقة الشمال الأفريقي[1] إلا أن البابوية والبندقية كانتا تأملان أن يوجه ضد العثمانيين في المناطق الشرقية من البحر المتوسط ، وكانت البابوية تريد من البندقية أن تظل حاجزاً يحمي الكنيسة في إيطاليا ويحمي أوروبا كلها من الخطر العثماني الجاثم في البلقان [2] . وبذلك استطاع البابابيوس الخامس أن يكسب أصعب المعارك السياسية في أوروبا - كما يرى المؤرخون الغربيون - وذلك بعد نجاحه في الجمع بين أسبانيا والبندقية في حلف واحد . وفي الوقت نفسه كان الحلفاء يخشون قوة فيليب الثاني ، ويخشون عواقب انتصاره لأنه سيزيد من سيطرته على إيطاليا وبالتالي سيحتكر الملاحة في البحر الإدرياني ، ومما يؤكد ذلك تخوف البندقية من تدخل أسبانيا في حرب قبرص ، فلذلك حرصت أسبانيا على الصلح الذي تمثل في معاهدة (كاتوكمبرسيس) ، كما حرصت على تقديم الكثير من الضمانات والشروط في هذا الحلف حتى يضمن كل طرف في الحلف الحصول على حقوقه [3] .

أما فرنسا فإنها كانت ترقب هذا الحلف بانتقاد شديد ، وذلك لأنها كانت تسعى لاتخاذ خط معاد لأسرة هابسبرج ، لذلك فإنه في أثناء المباحثات كتب فرانسيس دي إلافا [4] : « **تمنى الفرنسيون ألا يتحقق إتفاق ، وقيل إن البنادقة سيكونون أغبياء إذا وقعوا تلك المعاهدة ولم يستعيدوا حريتهم ليتعاملوا مع عدوهم الأكبر الأتراك - أما هنا في فرنسا فإن كل فرد يبذل كل جهده لمنع**

---

١ - صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٢٤ .

- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ٤٩ .

- المجلة التاريخية المغربية ، العددان ، ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣م

د . عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر ، ص ٩٨ .

٢ - محمد البحراوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ١٣٤ .

٣ - رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصر الحديث ، ص ٨٠ .

٤ - فرانسيس دي لاقا : أحد الأمراء الفرنسيين ، كان متعاطفاً مع العثمانيين

الحلف من أخذ وضعه ، ولتشجيع قيام حلف بين البندقية والسلطان ، وإذا استمر وا على هذا النهج فإنني لن أكون مندهشاً إذا أهدوا طولون إلى الأتراك في العام القادم » [١] -) قد كان فرنسيس يهدف من وراء ذلك إلى جر البندقية لعقد حلف مع العثمانيين ليفشل الحلف والذي تسعى لقيامه إسبانيا ، وبذلك تستمر صداقة فرانسا للدولة العثمانية .

ولقد شيع في هذا الوقت أن هناك حرباً وشيكة الوقوع بين فرنسا وأسبانيا ، والحقيقة أنه لاتوجد حرب وشيكة الوقوع ، لأن الحرب ستتطلب التحالف البر وتستانتي ، والدعم الأوروبي الضخم ، واحتمال وقوع مثل هذه الحرب سيكون وارداً في حالة ماإذا كانت ألمانيا جاهزة للنهوض [٢] .

وقد كان من الطبيعي أن تنظر فرنسا بحسد إلى الإمتيازات التي منحت لأسبانيا ، لذلك أدانت البابا باعتباره المهندس الأساسي لهذا الحلف . [٣]

وخلاصة القول هو أن فرنسا كانت في معظم الأحيان حليفة للسلطان العثماني ولكن تشارلز التاسع كان منشغلاً بالحروب الأهلية التي أنهكته بحيث لم يستطع تقديم أي مساعدة مباشرة أو غير مباشرة إلى العثمانيين [٤] .

أما الإمارات الإيطالية المشاركة في هذا الحلف فكانت تمتد في وسط شبه الجزيرة الإيطالية من جنوب مصب نهر التيبر إلى مصب نهر البو ، وكانت تشتمل على عدة مدن وحصون تحت سيطرة حكام يعترفون بسيادة البابا ويخضعون

1- Fernand Braudel : The Mediterranean . P 1091 .
2- OP.Cit . P 1093
3- Fernand Braudel : The Mediterranean . P 1093 .
4- A.Jgrant : Ahistory of Europe . P 222 .

لسلطانه ، ونتيجة - لأهمية مركز البابا أصبح له الصدارة في قيادة السياسة الإيطالية وذلك لأن مركزه لم يكن دينياً فقط وإنما كان سياسياً في المقام الأول بل نجد عدداً كبيراً من البابوات استغلوا مراكزهم وتدخلوا في الأمور السياسية تدخلاً واضحاً وقيادياً .

وكانت فكرة التابعين الذين يؤمنون بحكم البابا الدنيوي ناتجه من إعتقادهم بأن زعامة البابا الروحية للعالم المسيحي لاتكون فعالة إلا في حالة تأييدها من قبل ملك دنيوي ، ونتيجة لذلك كان تدخل البابوات في السياسة الإيطالية والأوربية بحيث أصبحوا عنصراً فعالاً في العلاقات الدولية سواء في إيطاليا أو الدول الأوروبية الأخرى [١] لذلك كانت هذه الولايات تلتزم بأوامر البابا بحكم سيطرته الدينية لأنه يمثل الجانب الروحي إضافة إلى تخوفهم من التقدم العثماني .

ونتيجة لترسيخ أقدام العثمانيين في أوروبا وتشديد قبضتهم على البلقان وتحالفهم مع الشمال الأفريقي ظهروا كقوة بحرية عظمى ، وأصبحت إيطاليا بالذات معرضة لتقدمهم المستمر .

وفي الوقت نفسه تم دمج الكثير من شبه جزيرة ايطاليا مثل نابولي وسيسيليا وجنوة وميلانو في نظام أسبانيا الإمبراطوري . كما أن الصراع المتواصل والمستمر بين العثمانيين والهابسبرج في البحر الأبيض المتوسط جعل ايطاليا في الخط الأمامي لعمليات العثمانيين الحربية ، وأضحت البندقية وانكونا

---

١ - عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : **التاريخ الأوروبي الحديث** ، ص ٢٢ .

ومسينا نابولي وجنوه المناطق الأكثر حساسية وتضرراً أثناء الاتصال الأوروبي بالعالم العثماني [١] .

وقد كانت البندقية إحدى وأهم الجمهوريات الإيطالية وفي أول أمرها كانت مؤسسة رأسمالية قامت على الجزر الممتدة في شمال بحر الإدرياتيك ، وكانت شوارعها قنوات ومواصلاتها قوارب تعرف بالجندول ، وقد حتم موقعها إشتغال أهلها بالملاحة التجارية ، حيث أصبحت سفنها تمخر عباب البحر المتوسط ، وتقيم علاقات تجارية بموانئ الشرق الغربي وبالذات الاسكندرية ، وكان ذلك منذ العصور الوسطى [٢] .

وبالتالي فقد كان مصدر ثروتها هو التجارة الخارجية [٣] سواء كانت تجارة عبور ، أو تجارة المنتوجات المحلية المصنوعة في أراضيها . ومن أمثلة المنتوجات العابرة التوابل والحرير والزيوت .

وكانت البندقية تعتمد اعتماداً كلياً على قمح مصر والبلقان وتساليا وصقلية وتركيا ، وإذا تعارضت مصالحها التجارية مع السياسات الأوروبية الصليبية رجحت مصالحها المالية [٤] لذلك لم يكن بإمكانها البقاء فترة طويلة في حالة الحرب لأن ذلك كان يستنزف جميع أموالها ومدخراتها [٥] .

1- Paul coles : The Ottoman Empact on Europ .. P 131 .

٢- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ص ٢٢ .

٣ - عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١٦٠ .

عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، جـ٢ ص ٨٦٩ .

أندري كلو : سليمان القانوني مثل من التمازج بين الهوية والحداثة ... ص ١٧٩ .

٤ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، جـ٢ ص ٨٦٩ .

وأوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١٥٩ .

٥ - أندري كلو : سليمان القانوني ، ص ١٧٩ .

إن جمهورية البندقية أو « إمبراطورية البندقية الاستعمارية » كما أطلق عليها شارل ديل Charles Diehl أستاذ التاريخ البيزنطي بجامعة باريس ، أو جمهورية القديس مرقص ذات النظام الجمهوري كما أطلق عليها رسمياً كانت قوة غريبة قدمت من وسط أوروبا وأخذت تستحوذ على مناطق عدة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، فأصبح لها أملاك واسعة في مناطق متفرقة ، كما صار لها محطات ومراكز بحرية على سواحل بلاد المورة ، وبحر الأرخبيل .

ومقدونيا ، والدردنيل ، وبحر مرمرة ، وهرقليه وسواحل دلماشيا في البحر الأدرياتي كما بسطت نفوذها على بعض الأقاليم في شبه الجزيرة الإيطالية وبعض الجزر مثل الجزر الأيونيه والجزر الواقعة في جنوب الأناضول وغربه وجزيرتي كريت وقبرص [١] .

ونتيجة لما سبق ذكره من تجارتها الواسعة وممتلكاتها الكثيرة ، تمتعت البندقية بحياة مترفة ثرية ناعمة رغدة لم تنعم بمثلها أية دولة في أوروبا بأسرها ، وأصبحت البندقية في مصاف الدول الكبرى ، فصارت أكثر تقدماً في مجال التجارة والحرب البحرية والدبلوماسية والجاسوسية [٢] لكن هذه المكانة التي تمتعت بها البندقية مالبثت أن اهتزت وهددت بعد إكتشاف رأس الرجاء الصالح وإصرار البرتغاليين على الوصول إلى الهند عن طريق الرأس الذي لايسيطر عليه

---

١ – عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، ص ٨٦٨ .

– عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ص ٢٣ .

٢ – عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١٦٠ .

1- Paul coles : The Ottoman Empact on Europ .. P 133.

البنادقة [١]، وهناك سبب آخر أدى إلى اهتزاز مكانة البندقية وهو ظهور العثمانيين في قلب الأحداث ومجاورة ممتلكاتهم لممتلكات البندقية وفتحهم القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م وسيطرتهم على شرقي البحر المتوسط .

كل هذا أدى إلى نشوب صراع بين البندقية والدولة العثمانية [٢] .

ترددت البندقية خلال حروبها مع العثمانيين برداء المكر والخديعة متشبثة بممتلكاتها ومصالحها فهي تهادن الدولة العثمانية تارةً ثم ماتلبث أن تحاربها وتنقض معاهداتها معها تارة أخرى وذلك وفقاً لمصلحتها [٣] وهذا ماسوف نلاحظه عند سردنا لصراعها الطويل مع الدولة العثمانية .

كما كان لجمهورية البندقية السبق على العثمانيين في الإعتماد على الأساطيل الحربية والأساطيل التجارية بحكم طبيعة موقعها ، فقد كانت تحول عند الحاجة الأساطيل التجارية إلى أساطيل حربية وبالتالي أصبح على الدولة العثمانية مجاراة العصر لتصبح في مقدمة الدول البحرية خاصة أنها تمتلك البيئة البحرية اللازمة لذلك [٤] .

---

١ – عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ص ٢٤ .
شارل ديل : البندقية ، ص ١٤٥
ليلي الصباغ : الجاليات الاوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ٩١

٢– شارل ديل : البندقية – ص ١٣٣
عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية – جـ٢ ص ٨٦٨ .
عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : المرجع السابق – ص ٢٤
متولي احمد فؤاد : البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري « السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية . مجلة كلية العلوم الاجتماعية – العدد (٤) ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م ص ٣٩٦

٣– عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة – ص ١٦٠

٤– اندري كلو : سليمان القانوني – ص ١٧٩
شارل ديل : البندقية ص ٢٨
الشناوي : المرجع السابق جـ٢ – ص ٨٦٩
أحمد فؤاد متولي : البحرية العثمانية والبرتغالية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية – ص ٣٩٦

فقد كان للبندقية دار للصناعة البحرية أسست منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وأخذت تنمو وتتطور مع مرور الوقت ، وبنت فيها مختلف أنواع السفن مثل الغلايين Gatees الحربية التي كانت تمتاز بطولها وسرعة سيرها ، وقد خصص لها صفان من المجدفين وبعضها يكون من ثلاث أو أربع طبقات مزودة بحصون عاليه ومدافع ودروع مكونة من تروس جلدية ، وهناك نوع من السفن الحربية يسمى بالقطط Catti وهي نوع من الطوافات أكبر من الغلايين مزودة بآلات حربية ويسيرها مئتا جَدَّاف [١] إضافة إلى سفن أخرى تسمى باسيز تيردا كامبري (Cambaria.tarida.bucuis) وهي أقل انسياباً في شكلها وأبطأ سيراً ، وأعلى جوانباً وأكبر حمولة ، وتسير بالشراع [٢] .

وقد بدأ النزاع بين البندقية والدولة العثمانية منذ وقت مبكر في القرن الخامس عشر الميلادي ، ففي عام٨١٩هـ/ ١٤١٦م ضمت الدولة العثمانية أيوبيا وجزائر السيكلاديس في بحر إيجه ، وردت البندقية على ذلك بأن أرسلت أسطولها إلى الدردنيل واستولت على سالونيك في اليونان [٣] .

ولكن العثمانيين استردوا سالونيك في عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م كما استطاعوا أن يهددوا القسطنطينية نفسها ، فقد شيد محمد الثاني في عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م قلعة روملي حصار على ضفاف البسفور ، وكانت مهمة هذه القلعة إيقاف جميع السفن التي تعبر مضيق البسفور ، وأخذ رسوم معينة للمرور ، وتغريق أية سفينة في حالة رفضها دفع الرسوم المقررة على عبورها [٤] ، ثم مالبثت البندقية أن عقدت اتفاقاً مع السلطان محمد الفاتح في

١- الغلايين هي أرقي ما وصلت اليه السفن الحربية في القرن السادس عشر ، إخترعها البرتغال وهي عبارة عن سفن ذات اربعة صوار وليس لها مجاديف وتحتوي على ساحتين للقتال في المقدمة والمؤخرة . انظر سعاد ماهر . البحرية في مصر الاسلامية – ص ٣٦١

٢ – شارل ديل : البندقية – ص ٢٨

٣ – شارل ديل : المرجع السابق – ص ١٣٦

٤ – شارل ديل : المرجع السابق – ص ١٣٦

عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤هـ وبذلك ضمنت أمن مصالحها ، ورفضت الاشتراك في حملة صليبية ضد العثمانيين .

وقد أدت توسعات الدولة العثمانية وفتوحاتها في أوروبا والبحر المتوسط إلى اقترابها من البندقية ، كما حتم وقوع الحرب بينهما ، وخاصة عندما استولت الدولة العثمانية على أرجوس [١] في عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م ، وقد استمر الصراع بين الدولتين ستة عشر عاماً ، واستطاعت البندقية أن تسترد أرجوس ، كما أخذت تبحث عن حلفاء لها ضد السلطان محمد الفاتح فلم تجد أفضل من (اسكندر بك Scandar Beg) الزعيم الألباني وأزون حسن Ouzaun Hassan الزعيم التركماني .

وفي عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م ضم العثمانيون نجريون ودلماشيا ، وهددوا ألبانيا [٢] ثم واصل العثمانيون انتصاراتهم فغزوا فريول Frioul [٣] وضمت كرويا [٤] عام ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م وحاصروا اشقودرة [٥] ، وهذه الانتصارات

---

١ - أرجوس Arguse : في بلاد الاغريق استولت عليها البندقية ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وفتحها العثمانيون ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣ م وتخلت عنها البندقية للسلطان العثماني عام ١٤٧٩ هـ انظر شارل ديل - البندقية ص ص ٥٧- ١٣٨ - ١٤٠ .

٢- شارل ديل : البندقية - ص ١٣٩

احمد السيد دراج : جم سلطان والدبلوماسية الدولية - المجلة التاريخية المصرية المجلد الثامن سنة ١٥٥٩م ص ٢١٢

ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزءآن ١٩ - ٢٠ - ص ٢٠٢

٣- فريول Frioul يقع الى الشمال من الخليج الواقع في رأس بحر الأدرياتيكي انظر محمد فريد - تاريخ الدولة العلية - ص ١٧٤

٤- كرويا Kruye : تقع الى الجنوب من مدينة اشقودرة وشمال مدينة تيرانا انظر محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية - ص ١٧٤

٥- اشقدره : مدينة قديمة مؤسسها اسكندر المقدوني ، تبعت ألبانيا ، ثم استقلت ، ثم امتلكها البنادقة مدة ، ثم العثمانيون ، انظر محمد فريد بك - تاريخ الدولة العلية - ص ١٧٥

مع العثمانيين تنازلت فيها عن مودون ، وكورون ، وجزيرة سانت مور (١) ، لكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً بين البندقية والعثمانيين ، فقد تجددت الحرب بين الدولتين في عهد السلطان سليمان القانوني في عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م ، فهجم العثمانيون على كورفو واستولوا على قلعة كليسا Klissa (٢) وسيرا Syra (٣)، وستامباليا (٤)، وباتموس Patmos (٥) وناكسوس (٦) ، وإيجين (٧) وأندروس (٨) ، وهددوا جزيرة كريت فاضطرت البندقية إلى عقد صلح جديد مع الدولة العثمانية في عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م تخلت فيه عن جميع المواقع التي كانت تملكها في بحر الأرخبيل (إيجه) كما تعهدت البندقية بدفع تعويض حربي قدره ثلاثمائة ألف بندقي ، وبذلك بدأت مكانتها في الأنهيار (٩) .

في نهاية هذا العرض نتبين الأسباب الوجيهة التي دفعت البندقية إلى الاشتراك والسعي لوجود حلف ضد العثمانيين ، ومن هذه الأسباب تغلب العثمانيين على البنادقة في قبرص حيث كان فتح العثمانيين لها بمثابة القشة التي

---

١ - سانت مور : جزيرة في البحر الأيوبي ، أخذتها البندقية في اكتوبر ١٢٠٤م من الأملاك البيزنطية . أنظر شارل ديل ، البندقية ، ص ٤٣ .

٢ - قلعة كليسا : تقع في دلماشيا التي سقطت في يد العثمانيين عام ١٥٢٧م ، المرجع السابق ، ص ١٤٣.

٣ - سيرا : مدينة تقع في احدى جزر بحر الأرخبيل (بحر ايجه) المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

٤ - ستامباليا : مدينة تقع في إحدى جزر بحر الأرخبيل (ايجه) فتحها خير الدين بربروسا سنة ١٥٢٧م المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

٥ - باتموس : جزيرة في بحر الأرخبيل (ايجه) أنظر : شارل ديل ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

٦ - ناكسوس : مدينة في إحدى جزر الأرخبيل فتحها خير الدين بربروسا عام ١٥٢٧م أنظر شارل ديل ، ص ١٤٤ .

٧ - إيجين : مدينة في إحدى جزر بحر الأرخبيل . أنظر شارل ديل : البندقية ، ص ٤٤ .

٨ - أندروس : جزيرة في بحر الأرخبيل . أنظر شارل ديل ، البندقية ، ص ٣٢

٩ - شارل ديل : البندقية ، ص ١٤٣ .
ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ص ٩٠ ، ٩٧ .

قصمت ظهر البعير ، وذلك لأن البندقية بفقدها لقبرص حرمت من مركز مهم لإنتاج الغلال ، وحرمت من ميناء تمر عليه السفن وهي في طريقها إلى الموانئ السورية والمصرية ، كما حرمت لفترة طويلة من موارد قبرص الطبيعية ، وأصابها الضرر نتيجة لانقطاع التجارة الغربية ، وترتب على ذلك كله إصابة تجارتها بشلل لإرتفاع تكاليف التأمين البحري [١] ولذلك كان إقتصادها دائماً حَسَّاساً جداً [٢] . ومما رسخ هذا الموقف الحرج الذي تردت فيه دولة البندقية أن شرقي البحر المتوسط أغلق بجدار من الدولة العثمانية بسبب سيطرتها على جميع نهايات الطرق البرية القادمة من شرق آسيا ووسطها إلى البحر المتوسط [٣] .

يضاف إلى ذلك هذا النمو المتزايد للقوة العثمانية والذي يعد بالنسبة للبنادقة مشكلة كبيرة وخطيرة [٤] ، لذلك وجد البنادقة في البابابيوس الخامس الشخصية القوية البارزة التي تستطيع القيام بدور الموحد والجامع الروحي لجميع المسيحيين [٥] حتى لاتمتد سيطرة العثمانيين علي بلاد ايطاليا [٦] كما أنها كانت تأمل استعادة قبرص من خلال الحلف الذي أزمع البابابيوس الخامس عقده [٧] وهذا ماسوف يتضح من خلال الصفحات التالية .

1- Paul cloes : The Ottoman Empact on Europ .. P 37
2- OP , Cit , PP 38 - 101.

٣ – ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ص ٩١ .
Stan Ford Show : History of the Ottoman Empire , P76 .
4 - Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ P 133 .

٥ – عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن ١٦ م العددان ٢٩ ، ٣٠(في مجلد واحد) يوليه ١٩٨٣ ، ص ٩٧ .

٦ – محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٥٦ .

٧ – عمر الأسكندري : حسن سليم ، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر ، ص ٣٧ .

ومن الدول التي شاركت في الحلف المقدس جمهورية جنوة الإيطالية والتي خاضت صراعاً وتنافساً طويلاً مع جمهورية البندقية في البحار الشرقية [١] وقد حاول الجنويون جهدهم أن يحولوا دون حلول البنادقة في كريت ، وظهر النزاع بين الجنويين والبنادقة على شواطيء سوريا ، واستطاعت البندقية في عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م الإستيلاء على عكا وطرد الجنويين منها ، ونتج عن ذلك استمرار الحرب بينهم أربعة عشر عاماً (٦٥٥هـ/ ٦٦٩هـ) (١٢٥٧م-١٢٧٠م) كما هدد البنادقة سلطة جنوة في صور ، ثم استطاعوا طردهم من سوريا كلها .

وكرد فعل لذلك قام الجنويون بالتحالف مع البيزنطيين ، وعقدوا معهم معاهدة نيمفاوم Nymphocum في عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م والتي ترتب عليها أن جنوة ضمنت مكانةً ممتازة وذلك على حساب البندقية ، كما استطاعت جنوة أن تتخذ لها مقراً في أزمير ، كما أصبح لها قواعد تجارية في كثير من جهات سواحل آسيا الصغرى ، وفي جزيرتي (خيوس ولزيوس) [٢] إضافة إلى حق احتكار التجارة في البحر الأسود ، وذلك بعد أن تمكنوا من طرد البنادقة من تلك الأصقاع .

كما أعفي الأمبراطور البيزنطي ميخائيل ياليولوجس في سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م أهل جنوة من الرسوم الجمركية ، وسمح لهم بهدم قلعة

---

١ - عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصر الحديث ، ص ١٧٠ .
شارل ديل : البندقية ، ص ٥٠ .
Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ P 131

٢ - خيوس ولزيوس : جزيرتان رئيسيتان في بحر مرمرة مقابل سواحل آسيا الصغرى ، أنظر الخريطة رقم ١٣١ في أطلس تاريخ الاسلام لحسين مؤنس ، ص ٢٦٥ .

البندقية في القسطنطينية وزيادة مساحة الحي الجنوي في القرن الذهبي وإضافة جزء من الحي البندقي إليه [١] .

كما استقرت جالية كبيرة من الجنويين في قبرص وخاصة في مدينة فماغوسة[٢] إذ كانت لهم أطماع في الاستيلاء علي قبرص كلها [٣] ، ثم أخذت جنوة بعد ذلك في الضعف وذلك في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي نتيجة للخلافات الداخلية والفتن المستمرة ، وهذا إضافة إلى صراعها المرير مع البندقية ، وتفوق البندقية عليها في آخر المطاف [٤] .

وفي أثناء الحروب الإيطالية سنة (٩٠٠-٩٦٧هـ/ ١٤٩٤/ ١٥٥٩م كانت جنوة تتأرجح تارةً تتجه إلى أسبانيا وتارة تتجه إلى فرنسا [٥] ، وكانت جنوة تعتبر مفتاحاً استراتيجياً لإيطاليا بالنسبة لفرنسا [٦] نظراً لموقعها الاستراتيجي الممتاز .

وعندما استولت فرنسا على ميلان [٧] وقعت جنوة تحت سيادتها بإعتبارها تابعة لميلان وذلك في عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م [٨] .

---

١ - شارل ديل : البندقية ، ص ٥٠ .

٢ - فماغوسة : مدينة رئيسية في جزيرة قبرص ، حاصرها العثمانيون في سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م ، وتم فتحها في سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م .

٣ - شارل ديل : البندقية ص ٥٥ .

٤ - شارل ديل ، المرجع السابق ص ١٥٧، ١٣٤ .

٥ - الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١٧٠ .

٦ - Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ P 131

٧ - ميلان : جمهورية ايطالية يحدها شمالاً سويسرا وجنوباً جنوه وشرقاً البندقية وغرباً مملكة سردينيا . أنظر حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام الخريطة رقم ١٦٨ ص ٣٥١ .

٨ - محمود فهمي : البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، المطبعة الأميرية ببولاق سنة١٣١٢هـ ، الطبعة الأولى ، الجزء الثالث ، ص ٧٦ .

شارل ديل : البندقية ، ص ٥٧ .

ثم مالبثت جنوة أن تخلصت من الحكم الفرنسي ونالت استقلالها عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م نتيجة لتدخلات القائد دوريا [١] .

ولتقدم العثمانيين وتفوقهم البحري تم إختيار جمهوريتين ايطاليتين (البندقية وجنوة) لتعطي فكرة واضحة عن الواقع العثماني مقارناً بنظام هاتين الجمهوريتين الإيطاليتين ، وذلك على اعتبار أنها أكثر المناطق الإيطالية تعرضاً للضغط العثماني [٢] .

ففي عام ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م استولت الدولة العثمانية على فوسه الجديدة إحدى مدن جمهورية البندقية ، وكان سقوطها إيذاناً بسقوط بقية مستعمراتها الواحدة تلو الأخرى ، وفي سبيل المحافظة على ماتبقى من مستعمراتها دفعت جمهورية البندقية جزيه للعثمانيين ، وقد أخذت هذه الجزية تتضاعف بالتدريج حتى وصلت في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (١٤٠٠٠) أربعة عشر ألف بندقي سنوياً [٣] .

وقد أخذت جنوة بعد ذلك ترسل المبعوث تلو المبعوث إلى الدولة العثمانية وتتوسل بذلك ليكون لها امتيازات تجارية شأنها في هذا شأن البندقية وفرنسا حتى بعد أن استولت الدولة العثمانية على جزيرة خيوس التابعة لها في عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م .

---

١ – أندري كلوة : سليمان القانوني مثل بين التمازج والهوية والحداثة ، ص ١٦٧ .

وأندري دوريا : قائد بحري من عائلة جنوية الأصل . كان ضد الفرنساويين في حروب ايطاليا ، ثم انحاز إلى فرنسا ، وحارب شارل الخامس ، وانتصر عليه ، وحصلت بينه وبين العثمانيين عدة مواقع ، ثم ترك فرنسا ، وإنحاز إلى أسبانيا مقابل ارجاعه مدينة جنوه الى استقلالها في سنة ١٥٢٨م ، وحارب مراكب فرنسا والدولة العثمانية ، واخيراً اشتغل بتنظيم جمهورية جنوة .

أنظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٨ .

2- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ P 131 .

٣ – ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ص ١١٨ .

وقد ترتب على ذلك سقوط آخر ورقة رابحة لها في منطقة الأرخبيل ، إلا أن فرنسا حاولت بشتى الطرق أن تحول دون حصول جنوة على هذه الإمتيازات ، وكان هدفها من وراء ذلك أن تحقق لنفسها السيادة التجارية في االليفانت [١] بتحالفها مع السلطان العثماني [٢] .

وخلاصة القول هو أن الأسباب التي دفعت جنوة إلى الإشتراك في هذا الحلف المقدس تنحصر في التفوق والتقدم العثماني الحربي ، والذي ترتب عليه تضررها الاقتصادي ، وفقدها لمستعمراتها الواحدة تلو الأخرى ، وآخرها جزيرة خيوس ، يضاف إلى ذلك المنافسة المستمرة بينها وبين البندقية والتي سعت ليكون لها امتيازات تجارية في الدولة العثمانية ولم تحصل عليها إلا في عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م ، وقد ناضلت البندقية في هذا المضمار حتى لاتفوت على نفسها الفرصة لإنقاذ مايمكن إنقاذه [٣] .

أما فلورنسة فقد كانت من أكثر المدن الإيطالية أزدهاراً ، كما كانت لاتقل عن البندقية في الناحية الاقتصادية ، بل تفوقت عليها في الثقافة والفنون ، وكانت فلورنسه تُعَدّ مركزاً صناعياً في المقام الأول مما أدى إلى اجتذاب أعداد كبيرة من السكان إليها وعلى وجه الخصوص العمال المشتغلين بصناعة الأقمشة

١- الليفانت : مصطلح جغرافي يطلق على السواحل الشرقية للبحر المتوسط بما فيها مسميات الدول الحديثة اليونان وتركيا وسوريا ولبنان ومصر وفلسطين . ويعرفها البعض بانها سواحل البحر المتوسط عامة ماعدا السواحل الأوروبية ، ويطلق الفرنسيون الليفانت على سواحل سوريا ولبنان فقط .
Academic American cyclopedia vol 12 , P 302

٢ – ليلي الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام . ص ١١٨ .

3- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europ . p 111 .
ليلي الصباغ : المرجع السابق – ص ١١٨ .

الصوفية [١] . ونتيجة لمركزها الإقتصادي كثرت بها المصارف المالية ، وانتعشت تجاراتها وخاصة صناعة المنسوجات ، وقد كونت فلورنسة علاقات تجارية وسياسية مع عواصم الدول الأوروبية كما أصبحت معترف الكرسي البابوي في أنحاء أوروبا [٢] ، كما اتخذت لنفسها إمتيازات لدى الدولة العثمانية في عهد محمد الفاتح وابنه بايزيد الثاني ، وجددت في عهدي السلطان سليم الأول وسليمان الأول الاتفاقات المعقودة بينها وبين الدولة العثمانية والتي منحت لها حقوقاً كحقوق البندقية ، وصار لها امتياز تجارة الحرير في بروسة ، على أن يرتبط تجارها في شؤونهم القضائية بقناصلهم ، وسمح لسفنهم بحرية الملاحة في البحر الأسود [٣] .

ونتيجة لتحول طرق التجارة واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أصبحت فلورنسه إحدى الإمارات الإيطالية الأكثر تضرراً من هذا الإكتشاف الجديد لذلك اشتركت في الحلف المقدس لتعويض خساراتها وإنقاذ مايمكن إنقاذه إضافةً إلى إظهار ارتباطها بالبابوية من الناحية الروحية [٤] .

أما دوقية سافوي (Savoie) الواقعة في شمال إيطاليا والتي كانت تسيطر سيطرة تامة ومباشرة على ممرين يُعدان من أهم الممرات الجبلية الواقعة بين فرنسا وإيطاليا وهي ممر سني Mont Cenis ، وممر سان برنار الصغيرة Pelit Saint Bernard .

وفي أثناء الصراع بين فرنسا وأسبانيا (الحرب الإيطالية) دخلت الجيوش

١ – عبد الحميد البطريق عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ص ٢٤

– عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١٦٥

٢ – المرجع والصفحة السابقان

٣ – ليلي الصباغ : الجاليات الإسلامية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ١٢٥

٤ – أحمد عبد الكريم عزت : دراسات في تاريخ العرب الحديث . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٠ م – بيروت – ص ٢١

الفرنسية ايطاليا عبر دوقية سافوي ، ولم تكن سافوي في هذا الوقت على درجة من القوة بحيث تستطيع بمفردها منع القوى الأجنبية الغازية من عبور أراضيها ، ومن ثم اقتفى أثر الفرنسيين الجنويون والأسبان والسويسريون وقوات الإمبراطورية الرومانية المقدسة [١] .

ولو أردنا أن نتعرف على سبب اشتراك سافوي في الحلف المقدس لوجدنا أنه ينحصر في كونها دوقية ضعيفة لاتستطيع أن تقف في وجه القوات الكبرى مثل قوات أسبانيا والبندقية والبابوية ، فلخوفها على مصالحها وموقعها الممتاز وسيطرتها على أهم الممرات الجبلية آثرت الدخول في الحلف خاصة وأنها لن تخسر شيئاً في التجهيزات للحرب ، وأن الانتصار سيضيف إليها مكاسب جديدة ، وسيفتح أمامها طرقاً عديدة ، وسيتيح للدول الكبرى توسعات تشغلها عن هذه الدوقية الصغيرة التي لم يكن أمامها سوى الإنضمام إلى العمالقة في هذا الحلف .

أما مانتوا ويارما الإيطالية الخاضعة لأسبانيا التي كانت تحتفظ بدوقاتها المحليين على شرط تحسين علاقاتهم مع الإمبراطور الإسباني فإنها بحكم تبعيتها لأسبانيا كان من الضروري أن تشارك في هذا الحلف [٢] .

وأما فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطة فقد كان لهم في فترة مبكرة نظام ودولة في جزيرة رودس الواقعة في شرق البحر المتوسط ، وكانوا كثيراً مايعتدون على سفن المسلمين المحملة بالبضائع مثل الذهب والحنطة وينهبونها ويقتلون أو يأسرون من فيها ، ولم تنج من عدوانهم وقرصناتهم سفن الحجيج المتوجهة إلى الأماكن المقدسة الإسلامية ، إلى أن استطاع

---

١ – عبد العزيز الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة – ص ١٦٨

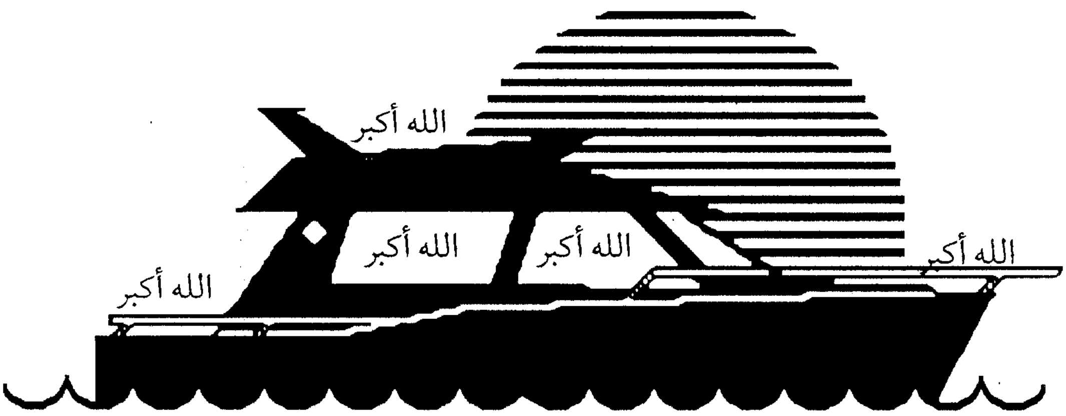
٢ – ول ديورانت : قصة الحضارة – جـ ٢١ – ٢٢ – ص ٢٩٠

السلطان سليمان القانوني في عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م فتحها وطردهم منها [١] فانتقلوا إلى جزيرة مالطة التي منحها لهم الملك شارل كويث Charles Quint في ربيع أول ٩٢٩هـ/ أكتوبر ١٥٢٢م فاستأنفوا نشاطهم القرصني ضد السفن الإسلامية التي كانت تجوب البحر الأبيض المتوسط [٢] ، كما هاجموا بعض الثغور والجزر الإسلامية في هذا البحر ، لذلك كان العثمانيون يقصفون مالطة بمدافع أساطيلهم البحرية كل عام تقريباً ، ومع ذلك لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، وكانت آخر محاولة للعثمانيين لفتحها في عام ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م حيث تمكن العثمانيون من فتح قلعة سانت ألمو Sant Elmo في ذو الحجة ٩٧٣هـ/ يونيو ١٥٦٥م إلا أن قلعة مالطة الكبرى قاومت واستمر حصارها فترة طويلة ، فاضطر العثمانيون إلى رفع حصارهم عنها بسبب قلة المؤن وكثرة الجرحى وطول فترة الحصار [٣] .

من خلال العرض السابق نستنتج أسباب اشتراك فرسان القديس يوحنا في الحلف المقدس ، وأول هذه الأسباب طردهم من جزيرة رودس والذي كان له وقع أليم ليس على سكانها فقط وإنما في أوروبا كلها ، فأدركوا أهمية الخطر الذي يتهددهم وأيقنوا أن اشتراكهم في هذا الحلف من متطلبات الدفاع عن كيانهم ، وثاني هذه الأسباب الهجمات العثمانية المستمرة على جزر مالطة ، وثالثها سقوط قبرص في قبضة العثمانيين وتجريد الأساقفة الكاثوليك فيها من صلاحيتهم وإعطائها للأساقفة الأرثوذكس [٤] ، وهذا السبب الأخير واحد من الأسباب التي دفعت جميع الدول المشتركة في هذا الحلف الى المبادرة بعقده .

---

١ – يلمازا أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ص ٢٦٢ – ٢٦٣ – ٢٦٤ .
أحمد عبد الرحيم مصطفي – في أصول التاريخ العثماني – ص ٨٩
سعيد برجاوي : الأمبراطورية العثمانية – ص ص ١٠٤ – ١٠٥
٢ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ٢٦٤ ، محمد فريد بك – تاريخ الدولة العلية – ص ٢٠٦ .
٣ – يلمازا : المرجع السابق – ص ص ٣١٩ – ٣٢٢
٤ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ٣٧١
أحمد عبد الرحيم مصطفي : المرجع السابق – ص ٨٦
سعيد برجاوي : الامبراطورية العثمانية – ص ١٠٥ .



الفصل الثالث

(معركة ليبانتو)

Lepanto

٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م

(أ) جغرافية موقع المعركة .

(ب) الإستعدادات البحرية العثمانية للمعركة .

(جـ) الإستعدادات الأوروبية للمعركة .

(د) سير المعركة .

أ - جغرافية موقع المعركة :

بعـد أن تم للعثمـانيين فـتح قـبرص في عـام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م واصل الأسطول العثماني إنتصاراته فتوجَّه في السادس عشر من أيلول من العام نفسه إلى جزيرة كورفواليونانية والتي تم فتحها من قبل على يد قلج علي باشا ثم أخذ هذا الأسطول العثماني يهدد جزيرة كريت محاولاً فتحها ومالبث أن دخل البحر الإدرياتيكي ، وتوغل حتى وصل ميناء كتارد أوكتارو CATTARO [١]البندفي وقد أثار هذا الرعب في دلماشيا ، فاستطاع العثمانيون أن يثبتوا وجودهم في مياه جزيرة زانط [٢] .

والجدير بالذكر أن شبه جزيرة اليونان [٣]أصبحت من ولايات الدولة العثمـانيـة منـذ عـهـد السلطـان مـحـمد الثاني (الفاتح) في عـام ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م [٤]وشبه جزيرة اليونان يقسمها خليج كورنث أو كورنثا إلى قسمين ، ويبلغ طول هذا الخليج مائة وعشرين ميلاً يربط بينهما برزخ ويقع هذا البرزخ في

---

١ - كتارو : ميناء تابع لجمهورية البندقية على الساحل الشرقي من بحر الإدرياتيك في منطقة دلماشيا .
أنظر : شارل ديل ، البندقية ، ص ٥٦ .،

Philips Atlas . P 39 .

٢ - زانط : أو زنطا أو أوزلطا : تقع قرب الساحل الغربي لشبه جزيرة المورة اليونانية .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٢ ، شارل ديل : البندقية ، ص ١٥٦ .
القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٥٣ ، عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ٥٦ .
عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣٠ . ، سعيد أحمد برجاوي : الأمبراطورية العثمانية ص١٣٦ .

Fernand Braudel : OP. Cit . P . 1100 .

٣ - اليونان : تقع في الجزء الجنوبي من البلقان جنوب شرق أوروبا ، وتتكون حسب التقسيم الحديث من شبه جزيرة اليونان ، وجزيرة المورا ، وكريت ورودس وارخبيل إيجا وجزر أيونيا في البحر الأيوني وجزيرة يوبيا وأرخبيل سكلاديس .
أنظر : معاوية هزاع عبد الله الشمراني : المعجم الجغرافي لدول العالم - دار أميه للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٠٢ .

٤ - محمودجلال الدين الجمل : أوروبا في مجرى التاريخ دراسة جغرافية ، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٩م ص ٤٣٧ .

الشرق ويبلغ عرضه أربعة أميال ، كما يوجد في شمال خليج كورنث إقليمان رئيسيان أحدهما توجد به الجبال في الغرب والوسط ، والسهول الساحلية التي تطل على بحر إيجه ، وثانيهما في الجنوب ؛ حيث جزيرة بلوبونيز (المورة) ، وتوجد العديد من الجزر المجتمعة على شكل أرخبيلات [١] في جنوب شرق الجزيرة المذكورة (المورة) .

وقد كانت مدينة كورنثه الواقعة على خليج كورنث موقع حسد من قبل سائر المدن اليونانية لحصانتها ، فهي بموقعها تستطيع غلق الطريق البري الذي يوصِّل إلى المورة ، كما تستطيع تسيير التجارة البرية في شمال وجنوب اليونان ، وبإمكانها فرض الجمارك التي تريدها ، كما تمتعت بوجود موانيء لها وسفن على خليجي ساروس وكورنث .

واستطاعت هذه المدينة إنشاء مزلق للسفن بين الخليجين ، والمزلق طريق خشبي تُجر عليه السفن ، مما زاد في مواردها ومكاسبها المالية [٢]، ثم قامت اليونان في هذا القرن بحفر قناة ربطت خليج كورنث ببحر إيجه ، وعندما علم قلج علي باشا الذي كان يقود الأسطول العثماني في مياه زانط بوجود الأسطول المسيحي جمع قواته المتفرقة وركزها في مضيق ليبانت [٣]وأخذ كل أسطول

---

١ - محمود جلال الدين الجمل : أوروبا في مجرى التاريخ دراسة جغرافية ، ص ٤٣٧

أحمد عبد اللطيف علي : التاريخ اليوناني في العصر الهلادي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧١م ، الجزء الأول والثاني ، ص ٢١ .

٢ - ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ ٥ ، ٦ - ص ١٦٨ .

٣ - روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٢ .

- شارل ديل : البندقية ، ص ١٥٦

يبحث عن الآخر ، فالتقيا بالصدفة في مدخل خليج ليبانتو [١] مما يؤكد أن الموقع جاء بالصدفة وليس باختيار أي من الطرفين ، فموقع المعركة هو في الأصل ميناء عثماني يقع في اليونان في خليج ليبانتو Lepanto على حافة المضيق الذي يصله بخليجي باتراس وكورنث والساحل المواجه له هو ساحل وميناء Lepataras الذي أطلق عليه العثمانيون باللي بادرا [٢].

فهذا الموقع لم تكن به قواعد كثيرة ملائمة للحلفاء ، فالمواني الهامة كلها كانت بعيدة عن الساحل الغربي لجزيرة المورة ، أضف إلى هذا أن مراكز الإمداد والموانيء الهامة كانت تابعة للعثمانيين مثل سانت مورا الواقعة شمال خليج كورنث ، وليبانتو المطلة على الخليج من ساحل المورة ونافارينو المطلة على البحر الأيوني ، ومودون المطلة على خليج قورون والتي تقع في جنوب المورة [٣]. ومن هنا ندرك أهمية القواعد البحرية في تموين السفن ، وذلك لأنه لايمكن للسفن أن تكفي نفسها بنفسها لمدة طويلة ، كما لايمكنها أيضاً البقاء فترة طويلة

1- Fernand Braudel : OP . Cit . P 1102 .

٢ – محمد أنيس : الدولة العثمانية ، ص ١٦٨ .

– روبير شوسوا : المعارك البحرية ، ص ٦٢ .

– الدسوقي : الدولة العثمانية ، ص ٨١ .

– محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ٥٠ .

– أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٨ .

– صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٥٤

– أحمد سعيد برجاوي : تاريخ الإمبراطورية العثمانية ، ص ١٣٦ ،

3 - Fernand Braudel : OP . Cit . P 1102 .

في عرض البحر [٤]، وهذا ما تلافته الدولة العثمانية ، فبعدما تم لها فتح قبرص واصلت فتوحها فكان من الطبيعي أن تزود أساطيلها بالعتاد والمؤن من أقرب القواعد التابعة لها ، ولاتعود إلى مقرها إلا بعد تحقيق أهدافها خاصة بعد أن جهز أساطيلهم لكسب الوقت الذي تستغرقه سفن الدولة العثمانية في العودة ، لذلك كان من الضروري أن تضمن الأساطيل العثمانية ثغوراً آمنة تلجأ إليها وقت الحاجة لكي تحصل على جميع ماتحتاج إليه من تموين ، وتصلح ما يحتاج إلى إصلاح من قطع الأسطول ، وفي الوقت نفسه تريح طاقمها ، وينبغي ألا ننسى أهمية هذه القواعد في العمليات الحربية [٢].

واسم الموقعة التي نتحدث عنها (**ليبانتو**) وهو مأخوذ من اسم الخليج الذي دارت فيه [٣] ومما لاشك فيه أن موقع المعركة كان له أهمية حربية إذ أنه يتيح للمتحاربين الإحتماء بالشاطيء عندما يحمى وطيس الحرب ، وهذا ماسنلاحظه عند عرض أحداث المعركة فيما يلي [٤] ومع ذلك فإن هذا الموقع كان لصالح دول الحلف ، وذلك لأن الموقع كما نعلم كان في اليونان ، واليونانيون ظلوا محافظين على هويتهم وولائهم لإخوانهم في الدين وعلى لغتهم لمدة أربعة

---

١ - ابراهيم حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ١٩٨٣م - الأسكندرية ص ٢٢٩ .

٢ - ابراهيم حسن سعيد : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

3 - A . J . Grant : Ahistory of Europe .. P 223

٤ - عمر الأسكندري ، سليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ، ص ٣٧ .

قـرون من الزمـان ، وظلوا طوال تلك الفـتـرة مـثابرين علـى فتـح المدارس لأطفالهم ، وغرسوا فيهم منذ الصغر مبدأ التخلص من ظلم الحكم العثماني في نظرهم ، وألقوا الكراهية والبغضاء في قلوب النشىء ، وترتب على هذه التربية أنّ شبابهم نشأ على كراهية العثمانيين كراهية شديدة ، ومن ثم أخذوا يتحينون الفرص للإنقضاض على العثمانيين [١]، وجاءتهم الفرصة على طبق من ذهب في معركة ليبانتو ، فقد كانوا في موقعة ليبانتو على أهبة الاستعداد للمشاركة في المعركة في محاولة منهم لإستعادة ملكهم السابق ، وبخاصة القسطنطينية عاصمتهم الدينية ومقر كنيستهم الشرقية والتي فتحها العثمانيون في عهد السلطان محمد الفاتح ، فكانوا مستعدين لتقديم المدد اللازم للحلفاء متى شاءوا ، ودليلنا على ذلك أنهم كانوا دائمي الثورة على الدولة العثمانية .

---

١ - حقي العظم : تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان ، مطبعة الترقي بمصر ، ١٣١٩هـ/١٩٠٢م . الطبعة الأولى ، ص ٩٠

ب - الإستعدادات البحرية العثمانية للمعركة :

كان للدولة العثمانية شبكة عظيمة من الجاسوسية الواعية في كل من البندقية وروما ، وهذا يؤكد على يقظة الدولة العثمانية وعلمها بما يدور حولها ، وأنها ليست غافلة ، لهذا كانت الدولة على علم بكل خطوة من خطوات التحالف من البداية إلى النهاية ، فقد كان الصدر الأعظم صوقللي باشا على علم بالمفاوضات الكائنة بين الأطراف الأوربية المتحالفة ، كما كان على علم بمختلف آرائهم ، والمسؤوليات العسكرية التي وزعت بينهم ، والتكاليف والمصاريف التي رصدوها لتحالفهم ، وأنواع السفن المشاركة في هذا التحالف ، وقد قيل إن الباب العالي سعى ولكن سعيه جاء متأخراً في إبرام صلح مع البندقية ، وأنه حاول استمالة فرنسا مستهدفاً بهذا خلخلة الحلف المقدس من الداخل وحله ، غير أنه لم يوفق في ذلك [1].

وفي ربيع عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وجه الديوان الهمايوني [2]فرَماناً إلى

---

١ - المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣م .
بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية المغربية في القرن السادس عشر ، ص ٩٨ ، يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ص ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

٢ - الديوان الهمايوني : بمثابة مجلس وزراء موسع : كان سلاطين الفترة الأولى يحضرون جلساته ويرأسون اجتماعاته ، واستمر هذا التقليد حتى عهد السلطان سليمان القانوني الذي تخلف عن حضور جلساته ، وتخلى عن رئاسة الديوان للصدر الأعظم . وكان يعقد الديوان في أوقات السلم أربعة أيام في الأسبوع من السبت إلى الثلاثاء ، وكان يرأس جلسات الديوان الصدر الأعظم ، ويحضره الوزراء الآخرون وقاضي عسكر الروملي (الأناضول واليونان) والدفتردارون الثلاثة وهؤلاء مهمتهم جباية أموال السلطان وكذلك دفع المرتبات الى الجنود والذين لهم أية مستحقات واجبة الآداء ، ورئيس الكتاب وهو بمثابة السكرتير الأول وتشانجي باشى الذي يختم المراسيم والمكاتيب المختلفة .
أنظر برنارد لويس : استنبول ، ص ص ١١٣ ، ١١٥ ، والشناوي : الدولة العثمانية ، ص ص ٣٧٢ ، ٣٨٧ .

أمير أمراء طرابلس الغرب جعفر باشا يأمره فيه بتعمير الحصون والقلاع ، وإكمال استعداداته وابلاغ الدولة بكل مايصل إليه من معلومات حول تحركات الأعداء بأسرع مايمكن .

ثم لحق بالقادة الموجودين في شرق البحر المتوسط القائدان برتوبا باشا وقلج علي باشا في ثلاثين سفينة وبينا لهم أن الأعداء يستعدون لمهاجمة الجزائر ، كما أكد لهم هذا الخبر أمير أمراء دوبرفينيك [1] حين أعلمهم بأن الأسبان يريدون الهجوم على كل من تونس والجزائر ، وهذا كله جعل الوزراء المعنيين بشؤون الحرب يتباحثون فيما بينهم بعد أن طرحوا سؤالا هو : **هل يكفي إرسال الأسطول الجزائري إلى ليبانتو أم لابد من ذهاب برتو باشا ؟** وبعد التشاور وجهوا الأمر إلى قائد الأسطول العثماني الرئيسي (مؤذن زاده علي باشا بالتهيؤ والإستعداد ، وأعلم أمير أمراء الجزائر بالأمر [2] . ليجعل أسطوله في وضع متأهب ، كما أمرت الدولة قائد الأسطول العثماني المتقدم برتوباشا أمراً بالبحث عن الأسطول الصليبي المتحالف ، والعثور عليه ، وإبادته ، وبعد أن تم للأسطول العثماني مشاهدة أسطول التحالف الصليبي ، وعرف مجالاته في

١ دوبر فنيك Dubrovak ميناء على الساحل الشرقي لبحر الإدرياتيك في منطقة دلماشيا .
أنظر : Philips Atlas .P 39 .

٢ - عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣٠ .
يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .

مياه الإدرياتيكي ألقى مراسيه في (اينه بُختي)(١)وذلك لقضاء فصل الشتاء ، وقد توقع القادة العثمانيون أن الأعداء لاينوون مهاجمتهم في هذا الفصل ، مما دفعهم إلى التفرق والإنفصال عن سفنهم وترتب على ذلك نتائج ضارة منها نقص في أعداد المجدفين ، ومنها تهيؤ عنصر المفاجأة لأسطول التحالف الصليبي ، بالإضافة إلى نتائج أخرى ستتضح لاحقاً(٢) .

وقد كانت أوضاع الدولة العثمانية المالية في تلك الفترة ليست على مايرام إذ أنه عندما اعتلى عرش الدولة العثمانية السلطان سليم الثاني لم تكن توجد أموال ذات شأن في خزينة الدولة فترتب على ذلك تأخر في مرتبات العسكر لفترة طويلة ، وذلك بسبب كثرة الفتوحات في عهد السلطان سليمان القانوني ، فقد كان الأسطول يقتطع الجزء الأكبر من دخل الدولة على الرغم من الغنائم الكثيرة التي كان يحصل عليها نتيجة للفتوحات ، إلا أن عظمة البلاط العثماني أيام السلطان سليمان القانوني كانت تمتص أجزاء كبيرة من إيرادات الدولة (٣)، كما شكل جيش اليكجرية عبئاً آخر على الدولة ، فالدولة العثمانية كانت تمر سنة الأزوق (٤)والذي لم يكن لها أدنى أثر واضح من قبل ، ولكن تأثيرها بدأ في الظهور في عهد سليم الثاني ومن بعده .

---

١ – اينه بُختي (ليبانت) ميناء على خليج باتراس Patari أنظر : Philips Aths .P 41 .
وحسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٥١ .

٢ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية : ص ٣٧٣، سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .
سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٤ .

٣ – سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ص ٥٥٦ ، ابراهيم حليم : التحفة الحلمية ، ص ٩٧ .
محمد أنيس : الدولة العثمانية ، ص ٩٤ .

٤ – الأزوق : يقصد بها السنة الهاربه أو المزدلفة (المنزلقة) . اذ كانت مداخيل الدولة تُجبي استنادا الى السنة الشمسية ، بينما كانت المصاريف في مقدمتها رواتب الدولة تدفع وفقا للسنة القمرية ، ونظراً لوجود ١١ يوماً كفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية نلاحظ انطباق كل ٣٢ سنة شمسية على ٣٣ سنة قمرية . وعلى هذا الاساس تجد الدولة نفسها مجبرة امام هذه السنة الهاربة ، والتي لم تحسب لها حساب على تسديد رواتب سنة ليس لها مداخيل من الضرائب انظر د – خليل الساحلي : سنوات الازدلاق ، أو ازمات الإمبراطورية العثمانية المالية . بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية العدد ١٢ لسنة ١٩٧٨م – ص ١٤٣ .

وقد أختير لهذه المعركة أربعة من خيرة القادة العثمانيين ممن لهم باع طويل فـي ركوب البحار ، وهم القائد العام للقوات البحرية مؤذن زادة علي باشا ، ووالي الجزائر أولوج علي باشا ، ووالي طرابلس الغرب جعفر باشا ، وبربروس زاده حسن باشا الذي عُين مستشاراً لبرتوباشا [١] وكان الأسطول العثماني مكوناً من خمسة عشر لواءً بحرياً ومائتي قبطان سفينة حربية .

الجدير بالذكر أن حسن باشا كان في تلك الفترة قد بلغ الحادية والسبعين من عمره ، وألوج علي باشا كان في الرابعة والستين من عمره ، وكان من بين الألوية البحريين صالح باشا ، وزاده محمد بك ، وبربروس زاده محمود بك ابن حسن باشا حفيد طرغد باشا [٢] .

وفي السابع من جمادي الأولى سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ظهرت أساطيل العدو أمام خليج إينه بختي [٣] فعقد القبودان مؤذن زاده قلج علي باشا مجلساً حربياً وبعد أن تم التشاور وضع الخطة المناسبة للحرب ، وكما نعلم أن الشورى مبدأ أساسي في الإسلام لقوله تعالى : ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ [٥] هذا وكان هذا المجلس الحربي مؤلفاً من

---

١ – برتو باشا : كان سرداراً ثانيًا في البحرية العثمانية . انظر يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ٣٧٠.

٢ – يلمازا : المرجع السابق . ص ٢٧٣ ، لطفي عبد الوهاب – اليونان . ص ٤٧
روبير شوبسو : المعارك البحرية – ص ٦٤ ، ابراهيم حليم – التحفة الحلمية – ص ١٠٠.
سعيد برجاوي الامبراطورية العثمانية – ص ١٣٦ ، روبير مانتران . تاريخ الدولة العثمانية – جـ ١ ص ٢٣٢

٣ – سليمان نطقي : محاربات بحرية عثمانية : مطبعة(بحريه) سنده طبع وتمثيل قلنمشدر – استانبول سنة ١٣٠٧م ص ٣٤

٤– الآية ١٥٩ سورة آل عمران

٥– الآية ٣٨ سورة الشورى . .

برتو باشا ، وألوج علي باشا ، وجعفر باشا ، وخير الدين باشا زاده حسن باشا ، وخمسة عشر من بكوات صنجقيات السواحل [١]، وقد نصح برتو باشا بعدم مقابلة أساطيل الأعداء ومقاتلتها قبل أخذ الأهبة الكاملة ، وخالفه في الرآي كاشف البحر مؤذن زاده علي باشا ، وكان رجلاً شجاعاً ومقداماً فقد قال :

« لا لابد من لقاء الكفار . فإن وهج العار أشد من وهج النار . وقد أيدنا الله بالإسلام . وزاد فينا قوة وبسطة . فلو سارت أغربتنا وهي خالية عن عسكر الإسلام لكفتّ قبائل الكفار . فكيف وأنا بينكم . وفينا من العسكر مايفي بالمقابلة ؟ » [٢].

وما زال يحاججهم حتى غلب على رأيهم ، فأعلن معظم القادة وجوب لقاء العدو ، كما أعلنوا وجوب المحاربة وهم داخل الخليج ليظفروا بحمايته ولتساعدهم القلاع بنيران مدافعها ، ومن ثم يمكن تعقب العدو .

غير أنه نتيجةً لقلة الأدوات البحرية اللازمة [٣] فإن القبودان مؤذن زاده علي باشا لم يوافق على رأي هؤلاء القادة ورفضه رفضاً كلياً ، وأشار ألوج علي باشا بحكم خبرته الحربية والبحرية بمقابلة العدو على بعد من البر لتتمكن السفن الإسلامية من الحركة والمناورة الحربية بسهولة .

ومن الواضح أن رأي ألوج باشا علي يعتبر رأياً صائباً خاصة وأن السفن

---

١ – اسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية . ص ١١٤ .
أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية – ص ١٨٤ .
القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان – ص ١٨٤ ، يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية – ص ٣٧٣ .

٢ – القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان –ص ٥٣ ، أحمد زيني دحلان :
الفتوحات الإسلامية جـ٢ – ص ١٨٤ .

٣– الأدوات البحرية اللازمة ، ذخيرةالمدافع ، والمجاديف ، والأشرعة .

الشراعية تحتاج إلى ميدان واسع للدوران فيه[١] ثم أكد علي باشا للقادة البحريين أنه لن يُظهر مايشبه القرار حتى لايقول الأعداء فرت الأساطيل العثمانية ، كما أنه سيسارع في الهجوم ولما عارضه هؤلاء القادة غضب ونادى بأعلى صوته قائلاً : « إن الهواء ضد مراكبنا ، وموافق لمراكب الأعداء ، فلم يصغ أحد لقوله » [٢].

كان إستعداد الدولة العثمانية لمعركة ليبانتو شاملاً لجميع النواحي عدا الادوات السالف ذكرها ، فقد كان الأسطول العثماني يتألف كما يذكر معظم المؤرخين المسلمين من ثلاثمائة سفينة [٣]بينما تذكر المصادر الغربية ان الأسطول العثماني كان مؤلفًا من مائتين وثلاثين سفينة فقط [٤] أما الجنود الذين كان يضمهم هذا الأسطول فقد بلغ عددهم (٣٤٠٠٠) مقاتل و (١٣٠٠٠) بحار، ٧٥٠) مدفعيًا [٥] إضافةً إلي (٤١٠٠٠) مجدف [٦]وأي أسطول حربي في هذا العصر كان يتألف في العادة من طرائد[٧] ومراكب لحمل الزاد وعلف الخيول وحمل

١- سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية – ص ١١٤

٢ – ابراهيم بك حليم : التحفة الحلمية – ص ١٠٠

٣ – ابو الفتوح رضوان ، محمد احمد غنام ،. أحمد عزت عبد الكريم ، عبد الحميد البطريق : تاريخ العرب الحديث – ص ٣٧

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية : ص ٢٥٧

A.J . Grant : Ahistory of Europe .. P 223 .

٤ – المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩– ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية – المغربية في القرن ١٦ م ص ١٥

٥ – أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري في البحر – ص ٤٥

٦ – هم الارقاء : المحكوم عليهم بالحبس ، وعند انطلاق الاسطول يلهب السوط اجسامهم عند أقل تمهل او تاخر في الحركة حسب زعم الغربيين . رولان موسينه : تاريخ الحضارات العام – الجزء الرابع – ص ١٨٥

٧ – طرائد جمع طراد ، وهي سفينة شراعية صغيرة سريعة السير والجري ، انظر سعاد ماهر – البحرية في مصر الاسلامية – ص ٣٥٣ .

الأثقال ، بالإضافة إلى مراكب خفيفة سريعة للحراسة والتجسس ، أما السفن التي تحمل المقاتلين فهي متوسطة في الطول ، وتتألف من طبقتين ، الطبقة العليا للمقاتلة ، والطبقة السفلي للقذافة والحكيم والجراح والرجال [١] المعنيين [٢] .

وقد كان الاسطول العثماني مؤلفًا من مجموعة من السفن المتبانية كالشواني ، والحراقات والطرادات ، والأغربة ، والبطس ، والمسطحات ، والغلايين فالشانية : سفينة حربية كبيرة تتألف من أبراج وقلاع تستعمل للدفاع والهجوم ، وفي ايام الحروب تجهز بالسلاح والمقاتلين الذي يقدر عددهم بمائة وخمسين ، وتجّدف بمائة مجداف [٣] .

والحراريق أو الحراقات سفن كبيرة أصغر حجمًا من الشواني وسميت بهذا الاسم لانه يوجد بها قاذفات للنيران مثل النار الإغريقية ، فقد كانت هذه القاذفات تلقي النيران على سفن العدو وأهدافه الأخري فتحرقها [٤] .

والغراب : سفينة حربية لها رأس يشبه رأس الغراب أو الطائر ولهذا سميت بالغراب ، ويحمل الغراب المقاتلين ، ويسير بعدد من المجاديف يبلغ مائةً وثمانين مجدافا والغراب مزود بجسر من الخشب يهبط عليه المقاتلون مقتحمين مراكب العدو وربما يقاتلون والعدو فوقه بالأساليب البرية .

---

١ - القذافة : رجال متخصصون في قذف الذخائر على العدو ويطلق عليهم الرماة والحكيم : الطبيب المرافق.

الجراح : الطبيب المختص في معالجة الجنود .

الرجال المعنيين :من هم على شاكلة هؤلاء كالإنكشارية والتيماريين وبعضٍ من طائفة اللوند ، انظر رولان موسينه - تاريخ الحضارات العام - جـ ٤ ص ١٨٥

٢ - حسن سعيد ابراهيم : البحرية في عصر سلاطين المماليك - ص ٢٣٦

٣ - محمد ياسين الحموي : تاريخ الاسطول العربي - ص ص ٣٢، ٥٦،

حسن سعيد ابراهيم : المرجع السابق - ص ص ٢٢٩، ٢٣٥

وعبد الرحمن الرافعي ، وسعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار النهضة العربية - القاهرة ، الطبعة ١٩٩٠م - ص ٥٦٦

٤ - الرافعي وعاشور : المرجع السابق - ص ٥٦٦

والبطس أو البطسة : سفينة كبيرة في الحجم لها أربعون شراعًا ، وهي تشبه الناقلات الضخمة وتتسع لعدد من الجند يصل إلى سبعمائة جندي ، بالإضافة إلى الأسلحة والذخائر والغلال والميرة ، وهي ذات أسطح عالية وطبقات متعددة [١] .

والمسطحة : سفينة كبيرة الحجم تشبه البطسه وفي أوقات الحرب تسير خلف السفن الأخرى وذلك مخافة أن تصادف هذه السفن منطقةً ضحلة فيكون دور المسطحات في هذه الحاله مداركة الأمر والنجدة [٢] .

والغليون : سفينة ذات أربعة صوار وأشرعة وليس لها مجاديف ، وتتألف من ساحتين للقتال في المقدمة والمؤخرة ، والغليون من السفن الشراعية الحربية ذات الأسلحة الثقيلة ، ولهذا الغرض عملت فتحات خاصة للغليون على جانبية المفضيين إلي ساحتي القتال . وقد تباينت تجهيزات السفن الحربية كالأسلحة والمعدات الحربية والمواد الطبية والمواد التموينية [٣] .

وهناك تجهيزات متعلقة بسلامة السفينة تشمل احتياطي العددوالآلات ، وإحتياطي المجاديف ، والحبال ، والبكرات ، والقلوع ، والقار [٤]، والصواري ، وقطع الغيار والعود والمبخور ، والقرابص [٥]والألواح الخشبية

---

١ – الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطي : ص ٥٦٦
الحموي : تاريخ الاسطول العربي – ص ٣٣
حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك – ٢٣٠
٢ – الرافعي وعاشور : مصر في العصور الوسطي – ص ٥٦٧
٣ – حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك – ص ٢٣٣ ، ٢٣٧ .
٤ – القار : مادة تستعمل لطلاء السفن وترميم السفن المعطبة .
٥ – قرابص أو قربوس : معناه ضو السرج أي جزؤه المقوس المرتفع من قدام المقعد او من مؤخره
انظر محمد الباشا الكافي : معجم عربي حديث :بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م – ص ٧٨٤ .

والمشاق [١] والزفت بنوعيه السائل واليابس . وهناك مختصون في كل سفينة متهيئون لإصلاح أي ثقب أو عطب يحدث للسفينة وهي في عرض البحر ، كما خصص لكل سفينة مائة من الغواصين الفنيين إضافةإلي بحاريها [٢] .

وقد شملت إستعدادات الأسطول العثماني وتعبئتة المعدات الطبية وذلك لأهميتها الكبري لانه قد يعتري الرجال وهم في عرض البحر بعض العلل ، أو قد يصاب أحدهم أثناء القتال مما يتطلب المداواه السريعة ، لذا اقتضت الحاجة أن يكون في كل سفينة طبيب وجرّاح بالإضافة إلى أربعة أشخاص مهيئين لخدمة المرضى حتي يتمكنوا من مواجهة الأعداء وهم في صحة وقوة [٣] .

كذلك شملت استعدادات الاسطول العثماني وتعبئتة المواد التموينية التي تعتبر عنصراً أساسيا في تعبئة الأسطول ، والمواد التموينية هي المياه العذبة ، والزاد الذي يشمل الخبز والفاكهة ، والخضر الطازجة والمطبوخة مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والكمثرى والحمص والبصل والثوم والتين والجبن [٤] .

أما المعدات الحربية اللازمة للأسطول فتشمل الأسلحة الشخصية اللازمة لكل جندي بالإضافة الي الإحتياطي من هذه الاسلحة ، وتشمل المعدات الحربية الرئيسية الخاصة بالأسطول ، ومنها التوابيت « وهي عبارة عن صناديق مفتوحة الرأس تكون في أعلى الصواري وتستخدم في الرمي على سفن العدو إذ يصعد الرجال إليها قبل دنو العدو حتى لا تصيبهم سهامه ، فإن داهمهم العدو صعدو اليها متترسين ، وبعد صعود الرجال إلى التوابيت يقفون على

١- المشاق : المغرة: وهي الطين الاحمر : انظر : ابراهيم انيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد المعجم الوسيط : طبع دار الفكر - الجزء الثاني - ص ٨٧٢

٢- حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك - ص ٢٣٧

٣ - حسن سعيد : المرجع السابق - ص ٢٣٨

٤ - حسن سعيد : المرجع السابق - ص ٢٣٨

أضـلاع مـعـارضــة في أسفل الصندوق ، ويتخـذون من هذه الصناديق سـواتر لهم ، ثم يدلون مخاليهم إلى سطح السفينة حيث تملأ بحجارة أدحية [١]، أو أعمـدة حادة الأطراف ، فيرفعونها ثم يرمون بها مـراكب العدو « لتقتل من تصيب أو تخسف أينما وقعت » ، وقد تستبدل الحجارة بقوارير النفط لإحراق سفن العدو ، وقد يرمى بحـجر النورة المدقوقة غير المطفأة (الجير الحي) فتعمي الرجال بغبارها ، وقد تلتهب اذا تبددت .

ومنها الكلاليب : وهي خطاطيف كبيرة الحجم من الحديد ، تربط في المراكب بسلاسل وتستخدم لايقاف مراكب العدو وجذبها ، فعند اقتراب سفن العدو يلقي جنود البحرية عليها الكلاليب فتمسك بها فتتوقف عن السير فيجذبونها ، ثم يلقون عليها ألواحًا مثل الجسور ليعبروا عليها ، فإذا عبروا تبعهم المقاتلة بالسيوف والخناجر فتشتد الحرب وكأنها حرب برية ومن الممكن إبطال عمل الكلاليب بقطع سلسلتها بفأس حادة من الفولاذ ، ولايحدث ذلك الا في حالة الضعف أو الهرب أو عند الترامي بالسهام والأحجار والنيران من بعـد [٢]ومنهـا اللجـام الفـأس - المتناطح وهي أداة من حـديد طويلة ، حـادة الرأس ، أسفلها مجوف كسنان الرمح ، تدخل في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب تستخدم لمهاجمة مراكب العدو عن طريق الطعن أو النطح ، وكانت السفن تأتي من بعد وتتحين الفرصة لتطعن بفئوسها مراكب العدو مستغلة قوة اندفاعها مما يؤدي إلى حدوث خروق في مراكب الأعداء وتسرب المياه إلى

١ - أدحية : خشبة مدحوا لها الصبي فتمر على الارض لا تأتي على شيء الا جحفته انظر ابراهيم انيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله احمد : المعجم الوسيط : طبع دار الفكر ، الجزء الاول ص ٢٧٤

٢ - حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك - ص ٢٣٩- ٢٤٠ .

جوفها وبالتالي غرقها .

ومنها الزرافة وهي أنبوبة من النحاس تستخدم في قذف مزيج من المواد المشتعلة على سفن الأعداء فتؤدي إلى إحراقها .

وكانت توضع في مقدم المركب وفي المؤخر وفي الجانبين وفوقها ساتر خشبي يقف فوقها الزرافون ، أما بالنسبة للمادة المقذوفة فقد كانت أنواعاً مختلفة باختلاف المواد التي ركبت منها ، فمنها نار لاتطفأ ولو استمرت شهر ، ومنها مايشتعل فوق الماء ولا يطفأ .

ومنها الباسلقيات : وهي رمانة حديد متصلة بعصاً من حديد تربط في المركب بسلاسل تستخدم في محاولة خرق مراكب العدو وذلك بقذفها عدة مرات حتى تتمكن من خرق مراكب العدو [١] .

ومنها السهام النارية : وهي سهام ملفوف على نصلها كبريت ورايتنج ، وقلفونية ونوره وشحم الكلى ، وتشعل بواسطة حجرة لطيفة [٢] . أو إحراق طرفها ، وتطلق هذه السهام على مراكب الأعداء فإذا واجهت الهواء أشعلت ناراً عظيمة تحرق جميع ماتقع عليه [٣] .

---

١ - حسن سعيد : المرجع السابق - البحرية في عصر سلاطين المماليك ص ٢٤٠.

٢ - حجره لطيفه : حجر صغير الحجم أبيض اللون والمقصود بها القداحة
انظر محمد الباشا - الكافي معجم عربي حديث - ص ٣٩٥

٣ - حسن سعيد : المرجع السابق - ص ٢٤١ .

من خلال العرض السابق يتبين لنا مدى الإهتمام الكبير من قبل السلطان العثماني في تجهيز الحملات الحربية وبالذات معركة ليبانتو ، وما يستغرق ذلك من تحضير المؤن سواء كانت عسكرية أو غذائية ، وقد يكون عدم توفرها في بعض الأحيان عقبة يحسب لها الحساب من السلطان والقائد فيهتمان بإعدادها إعداداً تاماً فتسير العمليات الحربية كما قدر لها ، ويصبح النصر على الأعداء أمراً غير بعيد المنال .

إستعدادات الدول الأوروبية للمعركة :-

كان التكتل الدولي ظاهرة من ظواهر السياسة الدولية في الأزمنة الحديثة ، ويعتبر تجمع الدول في منظمات أو أحلاف هو المظهر المألوف لهذا التكتل في عصور تاريخية كثيرة وفي هذا العصر رأينا تحالفات وإتحادات وإرتباطات وتكتلات كثيرة متعددة الأهداف لكن ظاهرة التكتل للاتجاه الى التعاون بين الدول وتوفير المناخ لمواجهة عدو مشترك هو الدولة العثمانية ظهرت بوضوح منذ أن وطأ العثمانيون بأقدامهم أرض أوروبا وقد أخذت هذه الظاهرة طابعاً عسكريًا وسياسيا واقتصاديًا ، وكان عامل التوتر الدولي فيما مضي جغرافيًا أو بشريًا ، أو اقتصاديًا أو سياسيًا أو بعض هذه العوامل مجتمعة ثم ظهرت مشكلة الأقليات ومشاكل الحدود كمبررات أخرى للتوترات والحروب ثم احتلت الموادُ الأولية والاستراتيجية والتجارة الدولية المقدمة لتصبح هي العوامل الرئيسية للتوترات والحروب ولتصبح العوامل سالفة الذكر مجرد دوافع تاريخية . وفي مطلع العصر الحديث ظهر تقدم البحرية وتطورها ، وأصبح التحكم في البحر هو أساس العالمية ، وناضلت الدول المسيحية لتأخذ بزمام الأمر ، ولتسيطر على العالم من خلال نهضتها البحرية ، وحين فتحت الدول

جوان النمساوي [1] الإبن غير الشرعي لشارلكان ، والذي تميز بالشجاعة والجرأة والإقدام باقتراح من أخيه فيليب الثاني لنجاحه في قمع ثورة الموريسكيين وقد عزز دون جوان نفسه بإسطول الأميرال الأسباني سانتاكروز ، وكان أسطول البندقية تحت قيادة بربريجو [2] .

أما السطول الجنوي فقد كان تحت قيادة الأميرال جيوفاني اندريادوريا ، وأما الأسطول المالطي فقد اسندت قيادته إلي جماعة الفرسان [3] (فرسان القديس يوحنا الأورشليمي) .

والجدير بالذكر أن هناك الكثير من القيود قد فرضت على سلطة دون جوان مما أشعره باليأس وضعف الثقة فيه .

واجهت دون جوان مشكلة وهي إعاقة تجميع الأسطول لأنه كان يجب عليه إنتظار السفن التي تحمل الجنود والمؤن والبسكويت في كلٍ من ملقا

1- A . J . Grent : Ahistory of Europe .. P 223

نبيل رضوان : جهود العثمانيين ، ص ٤٥٣ .

روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٥ .

عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣٠ .

أحمد مدني : حرب التلاثمائة سنة ، ص ٣٩٨ .

يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٢ .

عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، ص ٨٩٨ .

محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية ، ص ٨١ .

ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ١٤٤ .

شارل ديل : البندقية ، ص ١٥٦ .

Fernand Braudel : The Mediterranean and .. P 1097 .

2 - A . J . Grent : Ahistory of Europe. P 223 .

٣ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٥ .

المسيحية عينيها متطلعة إلى هذا المجد كانت الدولة العثمانية هي المسيطرة على البحر المتوسط وبيدها لواء العالمية ، لهذا شرعت الدول المسيحية في العمل على إبعاد الدولة العثمانية عن عالميتها البحرية وذلك من خلال إتجاهين : الاتجاه الأول هو ضرب أسطولها المتواجد في شرق البحر المتوسط والذي كان أسطورة العصر ، والأسطول الذي لا يقهر [١] .

والإتجاه الثاني : هو العمل الجاد على إحراز نهضة بحرية شاملة .

استعدت الدول الأوروبية لمعركة ليبانتو منذ وقت مبكر وذلك بدخولها في حلف مقدس لضمان الانقضاض على الدولة العثمانية ، وتسديد ضربة قاضية الي أساطيلها فقد كان الأسبانيون والاحزاب البابوية قد وعدوا البندقيين في اتفاق منفصل بينهم بضم قواتهم الى الحلف في أوترانتو قبل نهاية مايو في عام ٩٧٩ هـ/ ١٥٧١م ، وذلك لاثبات حسن النوايا بطريقة جدية .

وقد جرت الاستعدادات على قدم وساق في أنحاء أوروبا لخوض حرب قادمة ضد الدولة العثمانية ، ففي نابلي بإيطاليا كان البنادقة يبحثون عن إمدادات لهم ، وفي صقلية كان حاكمها بيسكارا Pescara متلهفاً للقيام بهجوم على تونس ، وبنزرت [٢] ومعطيًا كل التأكيدات بأن عشرين ألف قنطار من البسكويت ستكون جاهزةً في مايو من هذا العام ، وبالفعل حدث ذلك فأعّد ما

---

١ – يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٤ .

٢ – بنزرت : تقع على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو خمسة وثلاثين ميلاً من تونس شرقاً . وهي الآن من ثغور ليبيا .

أنظر : الحسن بن محمد الوزان : وصف أفريقيا ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

يُقدر بسبعة آلاف قنطار من البسكويت في الشهر ، وهذا بالإضافة الى الأجبان والشعير الذي تكفلت به ايطاليا ، فلقد أصبح منوطًا بقادة التحالف تغذية مايعادل مدينة كامة من الجنود والبحارة [١] .

وقد واجهت أسبانيا صعوبات [٢]اثناء اعداد الأسطول منها الحاجة الى زيادة أعداد الجنود المتمرسين في القتال البحري بالإضافة الي قرار الملك الأسباني فيليب الثاني بارسال الأرشيدوقات النمسوين برفقة دون جوان الى فينا وهؤلاء الأرشيدوقات كانوا يقيمون في أسبانيا منذ عام ١٥٦٤ م وذلك لتأمين سلامتهم ومعنى ذلك أن القائد الأسباني البحري سيكون مكلفًا بمهمة أخرى .

وقد تبنت سفن صقلية مهمة تحميل الجنود المنتظرين على ساحل جنوة والبالغ عددهم ألف إيطالي ،وثمانية آلاف الماني [٣] .

وقد اسندت القيادة العليا لأساطيل الدول المتحالفة [٤]إلي الأمير دون

1- Ferand Braudel : The Mediteranean .. P1096 , 1097 .

٢ – الدول الأوربية التي شاركت في الحلف هي (البندقية ، أسبانيا ، مالطة ، جنوة ، ساقوي ، صقلية ، نابولي ، بارما) .

3- Fermand Braudel : OP.Cit .. P 1097 .

٤ – الأساطيل المتحالفة التي قادها دون جوان هي (الأسطول البندقي ، الأسطول البابوي ، الأسطول الأسباني ، أسطول صقلية ، أسطول نابلي ، الأسطول المالطي ، الأسطول الجنوي)

وميورقه [١]، كما انه لم يصل الاسقفان (رودلف وإيزنست) حتى ٢٩ يونيو من هذا العام .

أما الأسطول المتواجد في البحر فعلى الرغم من رداءة الطقس فإنه وصل الي جنوه بين الفترة من ١٨ إلى ٢٦ يوليو ، كما استقر دون جوان في جنوه حتى الخامس من أغسطس . ويعتبر هذا الوقت فترة كافية لتحميل المؤن .

يتأكد لنا أن معركة ليبانتو التي خاضتها الدول المسيحية ضد الدولة العثمانية في البحر ماهي الا حرب صليبية وحلقة من سلسلة من الهجمات التي تظهر بجلاء ضغائن أوروبا المسيحية نحو الإسلام والمسلمين والتي استغرقت قروناً متلاحقة بدأت من نهايات العصر الوسيط حتى مطلع العصر الحديث [٢] .

وقد رُفِع على سفينة دون جوان (الرياله) [٣] علمٌ بلون أحمر وذهبيٍ تظهر عليه صورة المسيح المزعوم مصلوباً بين القديس بولس والقديس بطرس ، وقد إشتغل في تزيين (الرياله) أمهر فناني برشلونه ، وطليت بطلاء براق وزينت بأفاريز خشبية ، وقد وضع في مقدمتها مهماز حاد على شكل غول .

---

١ – ملقا : ميناء يقع في جنوب أسبانيا ، وهي ثغر حصين على البحر المتوسط جنوب مدريد .
أنظر اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٢٦١ .
ميورقة : احدى الجزر التي تؤلف جزر البليار الواقعة الى الشرق من أسبانيا .
أنظر أحمد توفيق مدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢٤١ .

٢ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ص ٦٤ ، ٦٥ .
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ٥٨ .

٣ – الريالة : كلمة تركية ترجمتها اللواء البحري ، واللقب هنا للسفينة أي سفينة القيادة البحرية .

وفي المقابل رفع علي باشا القائد العام للأسطول العثماني على سفينته علمًا أبيض اللون طرز عليه بحروف ذهبية بعض الآيات القرآنية ثم قام دون جوان بتقسيم أسطوله إلي خمس عمارات بحرية [١] وهذا التقسيم هو التقسيم السائد في الأسطول العثماني .

وكان القائد العام للأساطيل المسيحية (دون جوان Don juan) أخاً لفيليب الثاني وابناً غير شرعي لشارل الخامس .

وكان قائد الأسطول البندقي الأميرال فنسيرو Vencero والأسطول البابوي الأمير ماركو أنتنيو Marco. Antonio Colonna . وكان يقود الأسطول الأسباني جيوراني انديادوريا Gioranni Andrea Doria، وكان الأميرال الكبير الصقلي كوردونا Cordona يقود ثمان قطع من أسطول المقدمة . وكان الأميرال النابولي ماركي باوانو Marki Bazzano يقود أسطول الإحتياط المكون من ثلاثين سفينة ،

وكانت هذه الأساطيل المسيحية تضم أمراء مشهورين منهم دوق يارما Parma ، وأميرال كبير جنوه دوق أربان Urbano ، أميرال قشتالة الكبير وصهر ملك البرتغال وولي عهد بارما فارنسيس Farnes Alessan dro، وأميرال مالطة الكبير جويستنياني Guistiniani [٢] .

وقد قام دون جوان القائد العام بتشكيل خط المقدمة وقسمه إلى ثلاثة أقسام ، وأمر بأن يرفع كل قسم منها علماً له لون خاص ، وكان كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة سبع سفن ترفع راية المثلث الأخضر . أي أن مجموع سفن

---

١ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٦ .

٢ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

سليمان نطقي : محاريات بحرية عثمانية ، ص ٣٤ .

المقدمة كان احدى وعشرين سفينة حربية .

أما الوسط (القلب) فإنه كان يرفع علماً لونه أزرق ويتألف من إحدى وستين شانيه منها سفن القائد العام وسفينة البابا وعلمه ، وكانت سفن سافوي ترفع علمها . كما كانت سفن البندقية ترفع علمها ، كذلك سفن أسبانيا كانت ترفع علمها ، وأيضاً سفن جنوه ترفع علمها .

وأما الجانب الأيمن أو (الميمنة) من أساطيل التحالف فكانت ترفع علماً لونه أخضر ، وكان عدد سفنها ثلاثاً وخمسين سفينة بقيادة جينا أندريادوريا . أما الميسرة فكانت ترفع علماً لونه أصفر وكان عدد سفنها خمساً وخمسين سفينة ومعظمها من البندقية وكان يقودها أجوستينوباربريجو [١] . Agustino Barbarigu

وقد أصدر القائد العام دون جوان أمراً إلى جميع السفن بأن تكون متقاربة بحيث تكون المسافة بين كل سفينة وأخرى قدر مايكفي للتجديف وأن تكون المسافة بين كل تشكيل بحري وأخر مالا يزيد عن خمسة وسبعين متراً . وكان لدى التجمع الصليبي ستة غليسات [٢] galleasses قسمها القائد دون جوان الى ثلاثة أقسام ، كل منها يتكون من سفينتين وجميع الغلياسات كانت تحت قيادة فرنسيسكو ديودر الذي أمرها بأن تكون مايشبه المروحة على رأس كل مجموعة .

---

١ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٥ .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٦ .
نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٥٣ .

٢ - الغلياسات Galleasses هي سفن حربية كبيرة تسير بالشراع والمجداف معاً ، وهي أثقل وأقوى السفن الشيني ، والتي هي من فصيلتها .
أنظر سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٣٢٨ .

كما وضعت عشر سفن من طراز شيني في مؤخرة سفن الإعلام الخمسة وذلك لمساندتها وعلى مسافة ميل من السفن المذكورة اصطفت سفن المؤخرة والتي كانت ترفع الأعلام البيضاء ، وكان عددها ثلاثون سفينة [١] .

وقد شاركت أسبانيا في هذا التحالف بتسعين سفينة ، كما شاركت البندقية بمائة وأربعين سفينة ، وشاركت البابوية باثنتي عشرة سفينة ، وشاركت مالطة بست سفن ، كذلك شاركت جنوة بثلاث سفن ، وشاركت سافوي بثلاث سفن ، أي أن مجموع أساطيل التحالف بلغت مائتين وأربع وخمسين سفينة حربية وناقلة [٢]، ومعظم أسطول التحالف كان مؤلفاً من السفن المسطحة المعروفة وخمسين سفينة حربية وناقلة من الشواني ، ومن سفن الغليون والشلندي [٣] .

---

١ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٥ .

٢ - يذكر براودل أن عدد سفن أسطول التحالف الأوروبي (٢٠٨) سفينة .

ويذكر سرهنك وعزيز سامح بأن عددها (٢٣٠) سفينة .

ويذكر يلمازا أن عددها (٢٩٥) سفينة ، ويذكر يوسف آصف أن عددها (٢٠٠ قطعة حربية) ، ويذكر روبير شوسوا أن عددها (٢٥٠) سفينة ، ويذكر عمر الأسكندري وسليم حسن أن عددها (٢٦٤) سفينة . أنظر اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٥٨ ، والمجلة التاريخية المغربية العددين ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٨٣م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ٩٩ .

وأحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٥ .

And Fermand Braudel : The Mediteranean .. P 1100 .

ويلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٢ .

ويوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٨٢ .

ومحمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية العلية ، ص ٢٥٧ .

ورزق الله منقريوس الصدفي : تاريخ دول الإسلام ، ص ٢٢٢ .

وروبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ص ٥٩ ، ٦٤ .

وأحمد الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس ، ص ٣٧ .

٣ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٥ .

وكانت معظم السفن مسلحة أفضل تسليح بالمدافع والأسلحة النارية الأخرى ، وروي أن دون جوان القائد العام رأى أن سفن جمهورية البندقية ينقصها البحارة المدربين فأمر بأن يوضع في كل سفينة خمسمائة بحار أسباني ، وأصبحت بذلك كل سفينة من سفن أسطول التحالف المسيحي الأوروبي أشبه ماتكون بقلعة طافية على سطح الماء [(١)]، أما عدد القوات التي حُملت على تلك السفن فقد بلغ (٤٣٧٣٥) ثلاثة وأربعين ألفاً وسبعمائة وخمسة وثلاثين جندياً وقائداً ، وكان توزيعهم الميداني كما يلي : (٢٨٠٠٠) ثمانية وعشرون ألف مقاتل (١٢٩٠٠) واثنا عشر وتسعمائة وعشرون بحاراً ، (١٨١٥) وألف وثمانمائة وخمسة عشر مدفعياً [(٢)]، وهذا عدا المجدفين الذين بلغ عددهم (٤٣٥٠٠) ثلاثة وأربعين ألفاً وخمسمائة مجدف.، أي أن جميع الرجال الذين حملتهم سفن هذا الأسطول بلغت (٨٧٢٣٥) سبعة وثمانين ألفاً ومائتين وخمسة وثلاثين رجلاً .

والجدير بالذكر هو أن ست سفن بندقية من نوع الغليون كانت مسلحة بالمدافع الكبيرة على الرغم من صغر حجمها ، أما أسبانيا فكانت سفنها كبيرة متينة وجيدة التسليح والآلآت إلا أنها لم يكن لها ماعونات [(٣)] مثل البنادقة ، وهكذا اتضح لنا مدى الاستعدادات الحربية الكبيرة والجيدة التي استعدت بها دول الحلف لمعركة ليبانتو .

---

١ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، ج٢ ، ص ٨٩٨ .
Fermand Braudel : The Mediteranean .. P 1100 .

٢ - أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٥ .

٣ - والماعونة هي سفينة معروفة (بالشلندي) وهي سفينة كبيرة مسطحة تحمل المقاتلة والسلاح ، وهي تعادل في قوتها وأهميتها الحربية الشونه والحراقة ، ولها ساريتان أو ثلاثة سوار ، وطولها مائة وخمسة وتسعون قدماً وعرضها ثلاثة وثلاثون قدماً ، مجهزة بأربعة وعشرين مدفعاً ، وتحمل ستمائة رجل .

اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .
- محمد الحموي : تاريخ الأسطول العربي ، ص ٣٦ .
حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك ، ص ٢٢٨ .
سعاد ماهر : البحر في مصر الإسلامية ، ص ٣٦٧ .

د – **سير المعركة** :–

تعد معركة ليبانتو من أهم وأعظم الأحداث العسكرية في منطقة البحر المتوسط خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي على الإطلاق ، وذلك لأنها لعبت دوراً كبيراً في الصراع القائم بين العثمانيين والأسبانيين وحلفائهم ، كما فتحت الأبواب نحو اهتمامات جديدة (مثل اهتمام الدولة العثمانية بالبحرية وتنميتها بعد المعركة ، فضلاً عن اهتمام المسيحية بضرب القوة البحرية الإسلامية في البحار الأخرى ، واستعادة الأماكن المقدسة بعد أن تولدت لدى الأوربيين قوة دفع جديدة نتيجة لإنتصارهم ، وصار البابا يمثل وحدة المسيحيين .

كما فرضت على المتخاصمين تحديات عسكرية أخرى في العديد من مناطق البحر المتوسط شرقه وغربه [١] .

ومن خلال السطور الآتية أفصل كل مايتعلق بهذه المعركة المهمة ، ومدى تأثيرها على الجانبين .

إعتادت الدولة العثمانية أن يكون موسم حملاتها العسكرية على أوروبا في فصل الصيف ، وذلك بسبب رداءة الطقس في فصل الشتاء مما يعوق من تقدمها واستخدام اسلحتها الثقيلة مثل المدفعية [٢]، فعلى سبيل المثال شنت الدولة العثمانية بعض الغارات على جزيرة قبرص وحاصرتها ،

1- Fernand Braudel : The Mediterrane .. P 1088 .

المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ (في مجلد واحد) /١٩٨٣م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ٩٦ .

٢ – نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ١٢٢ .

في ٩ من سبتمبر سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م ، اضطرت عند اقتراب فصل الشتاء الى تأجيل فتحا الى أوائل الربيع المقبل ، ولم تشرع في حصارها مرة ثانية إلا في ابريل سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م ، فتمكنت من فتحها في ٢ أغسطس ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م [١]، فكان من الطبيعي عند ماحل فصل الشتاء قبل معركة ليبانتو أن تتفرق سفن الأسطول العثماني لأن أمراء البحار العثمانيين لم يتوقعوا مهاجمة دول الحلف لأساطيلهم البحرية في فصل الشتاء ، ومن هنا حدثت مباغتة أوروبا للدولة العثمانية أثناء فترة راحتها الشتائية ، وعندما أرسل المعسكر العثماني مبعوث مخابرات لإحصاء عدد سفن الأسطول المتحالف ، خدعه الظلام الدامس ، مما جعله يقدم تقريراً مفرطاً في التفاؤل ، لايطابق الواقع [٢]، لذلك قرر علي باشا القائد العام للأسطول العثماني الخروج للمعركة معتمداً على التفوق العددي لسفنه حسب تقرير مخابراته الخاطئة . كما قرر علي باشا الانتقال من الدفاع إلى الهجوم [٣]، ومثل هذا التصرف له عواقب وخيمة لأن للدفاع مكاسب في مواطن معينة وللهجوم مكاسب في مواطن معينة ، وفي هذا الموطن بالذات كانت مكاسب الدفاع تفوق مكاسب الهجوم إذ أن المهاجم يلقي بجميع ثقله ، أما المدافع فإنه سيظل في وضع أفضل وسيحتفظ بقوته لفترة أطول بالإضافة إلى الإحتياطي اللازم الذي لاتستنزف قوته في الحرب الدفاعية .

---

١ - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٦ .

٢ - روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٤

Fernand Braudel : The Mediterr anean the .. P 1100

٣ - نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٥٣ .

روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٤ .

كانت تعبئة الأساطيل العثمانية مطابقة للتشكيل الخماسي المتبع في الجيوش البرية وهو القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساقه أو الإحتياطي [1]،

كما رتبت سفن الأسطول العثماني على نسق من الشمال إلى الجنوب بحيث استندت ميمنتها إلى مرفأ ليبانتو ، وميسرتها في عرض البحر ، وقائد الأسطول بالنيابة علي باشا كما سبق أن ذكرت ، وتمركز في الوسط (القلب) وتحت امرته أربع وتسعون سفنية ، وكان يقود الجناح الأيمن (الميمنة) أمير البحر محمد سيروكو حاكم الإسكندرية وتحت امرته ستون سفنية ، ويقود الجناح الأيسر (الميسرة) أمير البحر قلج علي بيلر بك الجزائر وتحت امرته ستون سفينة ، أما سفن الساقه (الاحتياطي) فقد بلغ عددها ستين سفينة تحت قيادة عماره دراغوث (وهو ابن ابنة دراغوث واسمه زاده محمود بك ابن حسن باشا ، وكانت هذه السفن تصطف خلف سفن علي باشا [2] .

وفي الجانب الآخر كانت أساطيل دول التحالف الأوروبية تصطف في مواجهة الأساطيل العثمانية تحت قيادة الأميرال دون جوان ، وقد بعث هذا القائد القبطان الإيطالي جيل آندرادا ليستطلع أحوال الأسطول العثماني وتعداده

---

١ - أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٦ .

ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ، طبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة ص ١٦٨ .

نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٥٣ .

سليمان نطقي : محاربات بحرية عثمانية ، ص ٣٤ .

٢ - عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ص ٥٦ ، ٥٧ .

روبير شوسوا : المعارك البحرية ، ص ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

Fernand Braudel : The Mediterranean .. P 1100

طبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص ١٦٨ .

من البر ، وبعد أن ارتقى آندرادا قمة جبل يشرف على البحر وتمكن من رؤية الأسطول العثماني عاد بعد أربعة أيام يحمل معلومات ثمينة وخطيرة مفادها أن الأسطول العثماني يضم حوالي مائتي سفينه وقواته تبدو منهكة بسبب الطاعون الذي أصاب الكثير من الجنود ، وهنا أدرك دون جوان أنه يتوجب عليه استغلال هذه الفرصة والمبادرة بالهجوم المباغت ، خاصة وأن معركة كبيرة تنتظره فيما لو أجل ذلك [١].

احتشدت سفن الحلف الأوروبي حول سفينة القائد التي تحمل اسم (الريال) [٢]والتي تم بناؤها قبل ثلاثة أعوام لحساب نائب الملك في قطالونيا بأسبانيا ، واتخذها دون جوان مقر أركان حربه .

ومنذ بداية صيف ١٥٧١م أخذت السفن العثمانية تمخر عباب البحر المتوسط متجهة صوب الغرب ، وقد وصلت أنباء هذه التحركات إلى القادة الأوروبيين وتضمنتها التقارير التي أرسلت إلى إيطاليا في شهر فبراير من هذا العام ، وقد جاء في هذه التقارير أن مائتي سفينة ومائة قارب كانت محتجزة في مرافيء اسطنبول ، وإن فماغوستا والتي كانت ماتزال تحت الحصار قد وصلتها في شهر مارس تعزيزات من البندقية ، كما أن العثمانيين يقومون بإستعدادات على البر ، وذلك من أجل الزحف على ألبانيا ودلماشيا [٣]، وأن الأسطول قد أبحر بالفعل تحت قيادة قابودان باشا .

---

١ – ريالة في اللغة التركية : أمير اللواء في البحر أو سفينة القيادة الأميرية وريال في اللغة الأسبانية : الملكية .

٢ – دلماشيا : هي الجزء الغربي من يوغسلافيا أوكرواسيا الواقعة على الشاطيء الإدرياتيكي .

أنظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٧٤ .

وقد نقل الأسرى الفارين من اسطنبول نبأ المائتي سفينة والتي سيوجهها العثمانيون (١). إلى كورفو (٢).

وبناء على هذه التقارير وتلك الأخبار تلقت الأساطيل الأوروبية المتحالفة الأوامر بتجميع وحشد القوات في ميناء مسينا الصقلي المطل على مضيق صقلية في ١٥ من شهر سبتمبر ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، وتعتبر مسينا نقطة ارتكاز هامة واختيرت من قبل القائد العام دون جوان ، وبعد أن تم التجمع أصبحت مسينا تضم خيرة القواد البحريين في الدول المتحالفة كما ذكر سابقاً .

وقد أرسلت الأسرات الحاكمة في أوروبا والإمارات الإيطالية بأعداد كبيرة من أمرائها رغبة منها في إظهار تعاطفها مع الحملة الصليبية ورمزاً لتوحدها وتضامنها مع سائر الدول والإمارات الأوروبية التي نهضت لقتال العثمانيين (٣).

والجدير بالذكر أن إيطاليا تعد أعظم دولة ساهمت بوحدات بحرية في الأساطيل المتحالفة (٤)، وقد غادر الأسطول الأوروبي المتحالف ميناء مسينا في ١٦ من سبتمبر هذا العام بعد أن استعرضه وباركه مندوب خاص من طرف البابا بيوس الخامس ، وكان هدفه الأساسي هو كورفو والتجسس على الأسطول

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1099 .

٢ - جزيرة كورفو : تقع على مستوى جنوب البانيا وشمال اليونان في البحر الإدرياتيكي .
أنظر : محمد فريد بك ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، د . سعيد الصباغ : الأطلس العربي العام . ص ٥٢

٣ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية - جـ ٢ ، ص ٨٩٨ .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٥ .

4- J . H . Elliott : imperial Spain .. P 163

العثماني في هذه المناطق من البحار أملاً في تلقي معلومات جديدة عن أوضاع الأساطيل العثمانية ، فنما إلى علم قادة هذا الأسطول عن طريق سفنه الاستطلاعية أن العثمانيين متواجدون في خليج ليبانتو الضيق (١)وكان الأسطول الأوروبي مؤلفاً من أكثر من مائتي سفينة حربية (٢).

وقد عبر الأسطول الأوروبي الممر البحري الذي يفصل بين جزيرة أوكسيا الصغيرة وبين رأس سكروفا (في شمال المورة) ، ثم انتشر على هيئة خط للقتال ، وكانت الشون في المقدمة أما الإحتياطي فقد كان على مسافة في الخلف تحت قيادة الأميرال سانتاكروز (٣).

والجدير بالذكر هو أن الريح كانت مساعدة لأسطول الحلفاء مما جعلهم يرتبون سفنهم ترتيباً جيداً إستعداداً للمقاومة والدفاع (٤).

في صباح يوم الأحد السابع عشر من جمادي الأولى سنة ٩٧٩هـ الموافق للسابع من أكتوبر سنة ١٥٧١م أعطى قبودان باشا العثماني أوامره لجميع

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1100 .

– المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣م :
بحث للدكتور عبد الجليل التميمي ، رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ٩٩ .

– روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٥٩ .
سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٥٨ .

٢ – روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣٢ .
رزق الله الصدفي ، تاريخ دول الإسلام ، ص ٢٣٢ .
ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزآن الخامس والسادس ، ص ٢٢٤ .

٣ – روبير شوسوا : المعارك البحرية ، ص ٦٤

٤ – ابراهيم حليم ، التحفة الحليمية ، ص ١٠٠ .

الأساطيل العثمانية بالخروج من داخل الخليج قبل الزوال [١]. ، وفي الوقت نفسه كانت أساطيل الدول المتحالفة راسيةً بالقرب من جزيرة كارزولاري الواقعة في مدخل جون باتراس شمال شبه جزيرة المورة عند مدخل خليج إينه بختي .

وبعد أن جهز العثمانيون أساطيلهم على الشكل الحربي وتأهبوا للقتال واصطفت سفن دول الحلف ، وتأهبت للقتال أيضاً أخذ كل فريق يشجع جنوده وقواده [٢]، ومنح وكلاء البابا البركة المزعومة للرايات الصليبية ، وعلت أصوات الجند والقادة الأوربيون إلى الجو بترانيمهم ، وأصدر دون جوان الصيحة الصليبية قائلا : «المسيح قائدكم ، إنكم تخوضون معركة الصليب » [٣]. وأصبح كلا الفريقين في مواجهة الآخر ، وقد انتشر الأسطول العثماني في الجهة الشرقية ، بينما انتشر الأسطول الأوروبي المتحالف في الجهة الجنوبية الغربية من ساحة المعركة ، وذلك لكي يجعل جناحه الأيمن نحو الشاطيء حتى يصعب على العثمانيين تطويقه [٤]، وهنا أمر قبطان باشا بإطلاق مدفع إشارة إلى بدء أكبر معركة بحرية ، فرد عليه الأسطول المتحالف بطلقة مدفع

١ – القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٥ .
أدوار بروي : تاريخ الحضارات العام ، ص ١٨٧ .
عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣١ .
أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٨ .
أحمد زيني : الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٥ .
نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٥٤ ،
روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية -جـ١ – ص ٢٣٢ .
نيقولاي ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٤ .
سليمان نطقي : محاربات بحرية عثمانية ، ص ٣٤ .
٢ – سرهنك : حقائق الأخبار جـ ١ ص ٥٥٩ .
٣ – ول ديورانت : قصة الحضارة : الجزآن ٢٩ ، ٣٠ ص ٩٦ .
٤ – أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٦.
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٦ .
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ص ٥٨ ، ٦٦ .

أيضـاً [١]. إشارة إلى أنه قبل خوض المعركة .

تقدمت الأساطيل إلى الأساطيل وتقاربتا ، فخرج من وسط الأساطيل الأوروبية المتحالفة قائد البحرية الأوروبية (ونبير وكولونه) واستعرضا قوتهما أمام أمراء الأسطول العثماني فرد عليهما من الأسطول العثماني برتوباشا والقبودان علي باشا فخرجا واستعرضا قوتهما أيضاً وهنا ظهر للعدو أماكن القادة ، فقد كانت حركة القائدين العثمانيين غير صائبة لأن دون جوان تنبه إلى مصادر القوة العثمانية مما جعله يعد لذلك مناورة خطيرة [٢].

فانتهز العثمانيون فرصة هبوب الرياح الجنوبية الشرقية لصالحهم ، فقرر علي باشا الهجوم على صدر الأسطول المسيحي فانطلقت مجموعة من سفن العثمانيين الحربية ونفذت هذا الهجوم ، وقد أدى هذا الهجوم إلى ضعضعة قلب الأساطيل المسيحية وأصيب القائد العام دون جوان نفسه بجراح ، وتمكن العثمانيون من الاستيلاء على عدد من السفن من بينها السفينة التي ترفع علم البابا ، وأصبح أسطول دون جوان (القلب) في مأزق حرج ، وبلغت القلوب الحناجر لكن سرعان ماتوقف هبوب الرياح الجنوبية الشرقية ، مما أدى إلى توقف السفن العثمانية ، وبدأت تفقد طريقها ، وهذا دفع البحارة العثمانيين إلى اللجوء لطي القلوع عديمة الفائدة ، بينما اشتد ضغطهم على المجدفين لكي يبذلوا قصارى جهدهم لدفع السفن إلى الأمام ، وهذا الموقف في عمومه أعاق تقدم الأسطول العثماني ، وأتاح وقتاً كافياً للأسطول المتحالف لاستكمال استعداداته فلاح في الأفق تغير الموقف الحربي الذي كان حتى آخر لحظة لصالح العثمانيين .

---

١ - ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القارئ ، ص ١٤٤ .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٦ .
سعيد برجاوي : الأمبراطورية العثمانية ، ص ١٣٧ .
٢ - سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ .

ولم يلبث العثمانيون أن أصبحوا على مرمى البصر من خصومهم ، وأصابتهم الدهشة للهدوء الذي كان سائداً في صفوف الأعداء [1]فخرج على الفور من الأسطول المتحالف ونبير وكولونه رئيسا البحرية الأوروبية المتحالفة ، واستعرضا قواتهما للمرة الثانية أمام أمراء الأسطول العثماني ، وفي المقابل خرج من الأسطول العثماني برتو باشا والقبودان علي باشا وهذا تقليد حربي جرت العادة به بحيث لاتبدأ معركة إلا بلقاء واستعراض الفرسان والأبطال .
ولكن هذا التصرف من قبل القبودانات العثمانيين لم يكن صائباً لأنه كشف لدون جوان مكانهما وقوتهما للمرة الثانية مما جعله يعد لذلك مناورة خطيرة تنبه لها ألوج علي باشا وحذر قبودان باشا منها ، لكن قبودان باشا رفض وقف الهجوم ولو كان لاستئناف هجوم آخر لأنه لايريد أن يقال : إن الأسطول العثماني فر من أمام سفن الأساطيل الأوروبية المتحالفة أما المناورة التي نفذها دون جوان فهي أنه أمر ست ماعونات بأن تتقدم أمام أسطوله (القلب) ، فكانت مثابة متاريس تحمي القلب من هجمات العثمانيين ، فركز قبودان باشا قائد البحرية العثمانية الهجوم عليها ، ولم يحاول الهجوم على الجناحين كما أشار عليه ألوج علي باشا ، مما أدى إلى ضياع الكثير من السفن العثمانية ، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض السفن الحربية العثمانية هاجمت جناحي الأساطيل الأوروبية وحملت عليها وتغلبت إلى أن وصلت وسط سفن دون جوان (القلب) حتى أن سفينة قبودان باشا استطاعت الهجوم على سفينة دون جوان نفسها [2] .

---

١ – أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٦ .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٦ .
عبد الرحمن حميده ، مجلة الجندي المسلم ، ص ص ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ .
أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة ص ٣٩٨ .
٢ – سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ – ٥٦٠ .

وعند الظهيرة كانت الريح موافقة لصالح الأساطيل المسيحية ، فعندما رأى دون جوان ذلك شجع قواده وطلب منهم الاستعداد . ثم اطلقت شواني البنادقة الأربعة المرابطة في الجناح الأيسر والقلب بشكل مفاجيء نيراناً قوية على السفن العثمانية فأدى هذا إلى فشل الهجوم العثماني وبدأ مصير المعركة يتقرر حيث تبعثرت سفن العثمانيين ، وتقاربت السفن المسيحية وتكاثفت مع استمرارها في إطلاق قنابل مدافعها ، ثم أخذت تقتحم مواقع السفن العثمانية [1] غير أن القادة والجنود العثمانيين دافعوا دفاعاً بطولياً ففي اليسار سقطت سفينة بربريغو Barbrarigo أميرال البندقية تحت كلاليب سفينة الإسكندرية التي كان يقودها أمير البحر محمد سيركوه في حماية زوارق حربية أخرى مليئة بالإنكشارية ، وكاد سيركوه والانكشارية أن يقضوا على باربريغو وجنده ، لولا هجوم سفن البندقية بسرعة هائلة في اتجاه معاكس على العثمانيين ، فتضعضعت قوات سيركوه وسقط هو شهيداً ، ولقد أذهل هذا التغير في الموقف العثمانيين ، فآثر بعضهم الانسحاب وآثر البعض الآخر ترك سفنه تجنح نحو البر ، ومنهم من واصل القتال حتى الموت فاستشهدوا في المعركة [2] .

ونتيجة لهذا الانتصار الأولي الذي حققته الأساطيل المسيحية انطلقت جنودها مسعورين في هجوم كاسح على الأسطول العثماني تحميهم « مظلة نارية» من طلقات البنادق .

وكان الأوروبيون كلما استولوا على سفينة من سفن العثمانيين أطلقوا سراح من بها من الأسرى المسيحين المقيدين على المجاديف ، ووضعوا مكانهم الأسرى العثمانيين وقد جاء في المصادر الأوروبية أن الحلف حرر في معركة

---

١ - روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٧ .
وعبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ .
٢ - روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٧ .
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ .
أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٧ .

ليبانتو (١٢٠٠٠) اثنى عشر ألف أسير مسيحي [١]، (ويذكر اسماعيل سرهنك أن العثمانيين فقدو في هذه الموقعة مائتي سفينة حربية غرق منها ٩٢ اثنتان وتسعون والباقي غنمه الأوربيون وتقاسمته دولهم ، وقتل في هذه الموقعة من الجنود العثمانيون نحو عشرين ألف بين جنود وقاده ، أما خسائر أوروبا فقد كانت خمس عشر غالي ، ثمان آلاف جندي بينهم كثيرون من الأمراء البرتستانت) [٢] وحتى هذه اللحظة لم تكن وحدات الأسطول العثماني جميعها قد دخلت المعركة ، ورنا القادة العثمانيون بأبصارهم إلى جولة فاصلة يخوضونها ضد أساطيل التحالف تقلب ميزان الحرب ويحرزون بها النصر فتقدم علي باشا يدعمه من اليمين واليسار مشاهير قبودانات البحرية العثمانية من الأتراك والمصريين والجزائريين ، واقترب من سفينة دون جوان ، فتبادل الطرفان إطلاق النيران ، وتمكن علي باشا من فتح ثغرة دموية في صفوف المجدفين بهذه السفينة ، فلم يستطع قبطان تلك السفينة (الريالة) الهرب لتشابك السفن وتقاربها ، مما أدى إلى تحطم أجزائها [٣] ، وتحولت المعركة في نهاية الأمر إلى إشتباك وتلاحم بالسلاح الأبيض ، وقد استخدمت في هذه المعركة الفؤوس والخناجر والسهام والسيوف لتكمل مابدأته الأسلحة النارية الأخرى كالمدفعية والبنادق ، وبذلك يكون قد استعمل في معركة ليبانتو كافة أنواع الأسلحة البحرية والبرية .

---

١ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٨.
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ٦٠ ، ٦١ .
٢ – اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ص ٥٦٠ .
٣ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٨.
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ٦٠ ، ٦١ .

وقد أدى اشتباك وتلاحم السفن إلى تحرر الأسرى وبالتالي اشتراكهم في القتال [١] ضد المسلمين ونتيجة لهذا الموقف تعرضت سفينة علي باشا لهجومين ، لكنه استطاع بمهارته التخلص منهما ، كما تعرضت سفينة دون جوان (رياله) لهجوم مماثل فقضى جوان فترة حرجة إلى أن تمت نجدته بواسطة كولونا الذي اقتحم سفينة علي باشا من الخلف ، مما جعل القائد علي باشا يحارب في جبهتين عندما أصبحت سفينتة في فكي سفينتين ، ولما تحرج موقفه وأوشك على السقوط أسيراً طعن نفسه فمات منتحراً ، فحمل عليه أحد جنود الأعداء ، وقطع رأسه وذهب به لدون جوان الذي قام بالقائه في البحر [٢] .

ويروي (سرهنك) أن الحرب امتدت ساعتين أصيب فيها علي باشا القبودان عندما كان يبحث عن دون جوان ، وفي هذه الأثناء تقدم مركيز زانطة كروس بفرقته الإحتياطية واستولى على سفينة قبودان علي باشا ، وكان مطروحاً على ظهرها فقطع رأسه من جسده وعلقه على السران (الخشبة الموضوعة عرضاً بالسارية) ، ولما رأت السفن العثمانية القريبة رأس قبودنها أصابها اضطراب شديد فنتج عنه انهزام الجناح الأيمن [٣] ، وبعد صراع عنيف بين الطرفين ودفاعات مجيدة أبداها الجنود والقادة العثمانيون وقعت سفن علي باشا في قبضة أسطول التحالف الأوروبي ، فأزال القادة المسيحيون العلم العثماني الذي يحمل عبارة (محمد رسول الله) ووضعوا مكانه العلم المسيحي

١- ول ديورنت : تاريخ الحضارات العام ، الجزء الرابع ، ص ١٨٧ .
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٩ .
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ٦٠ ، ٦١ .
أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٧ .
سعيد برجاوي ، الامبراطورية العثمانية ، ص ١٣٧ .
٢ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٨.
عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ص ص ٦٠ ، ٦١ .
٣ – اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

الذي يحمل رسم (الصليب) [١] .

وفي جناح الأسطول الأوروبي الأيمن كانت تدور رحى معركة رهيبة بينه وبين وحدات الأسطول العثماني دون تنبه بين عناصر الأسطولين . فقد قام قلج باشا بهجوم قوي مباغت على سفن مالطة وذلك قبل أن تتمكن من تشكيل جبهة دفاعية فنشر بينها الرعب والهلع الشديد ، وتمكن من الاستيلاء على راية الصليب المالطي ، وكاد الموقف الحربي أن ينقلب لصالح العثمانيين بهذه الهجمة البطولية لولا وصول سانتا كروز على رأس مجموعة من السفن الحربية الإحتياطية .

فلقد وصل سانتا كروز لنجدة فرسان مالطة في الوقت المناسب ، ومن ثم لحق به دون جوان بسفنه ليحتمي به بعدما غلب على ظنه قرب وقوع كارثة بقواته وبالسفن التي يقودها ، ومن ثم اجتمع شمل الوحدات البحرية الأوروبية المتفرقة ، فاتجهت نحو قلب المعركة ، ومما لاشك فيه أن حركة التكاتف التي قام بها دون جوان عندما انضم إلى سانتا لمواجهة الأساطيل العثمانية التي لاح انتصارها قلبت مرة أخرى ميزان المعركة الذي مالبث أن تحول لصالح الأوربيين . وهنا أدرك قلج علي استحالة وجود أي أمل للفوز في المعركة في ظل هذا الموقف الجديد خاصة بعد زوال راية القائد العام علي باشا قبطان من فوق سطح البحر ، فقرر الانسحاب بسرعة مذهلة مستغلاً هبوب الرياح لصالحه [٢] في حين قاد دون جوان اسطوله إلى ميناء بتيالا ومن ثم إلى مسينا .

---

١ - أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط ، ص ٤٧ .
يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٤ .
عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣١ .

٢ - روبير شوسوا : المعارك البحرية : ص ٧٠ ،
عبد الرحمن حميدة : مجلة الجندي المسلم ، ص ص ٦٠ ، ٦١ .
أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري ، ص ٤٨ .
وسليمان نطقي : محاربات بحرية عثمانية ، ص ٣٦ .

وهكذا انتهت معركة ليبانتو بعد أن استمرت من طلوع الشمس إلى غروبها بهزيمة الأسطول العثماني وانتصار الأسطول الأوروبي الصليبي بعد قتال عنيف ومرير [١] . أبدى فيه الفريقان الكثير من ضروب الصلابة والجسارة والقوة والإصرار إلى أن تمكن الأوربيون من انتزاع الانتصار بعد أن خسر الفريقان خسارات جسيمة ، ويؤكد ذلك بعض الذين شاهدوا هذه المعركة بقولهم : (ولو أن المقاتلين تطلعوا إلى البحر في مكان المعركة لرأوه أحمر من دم البشر) [٢] .

لقد كانت النهاية التي انتهت إليها معركة ليبانتو نهاية مفجعة مؤسفة بالنسبة للعثمانيين ، فقد هزمت أساطيل الدولة العثمانية هزيمة منكرة ربما لم تشهد الدولة العثمانية مثيلاً لها من قبل ، فقد خسرت الدولة في هذه المعركة خسارات كبيرة لم تستطع تعويضها على الرغم من تلك السرعة التي عوضت بها بناء أسطولها ، لأنها فقدت أمهر البحارة المتمرسين والذين لهم باع طويل في ركوب البحار وفي فن القتال البحري [٣] .

وعموماً كانت خسائر الطرفين مخيفة فقد خسر العثمانيون مائتي سفينة حربية ، غرق منها أكثر من تسعين سفينة والباقي غنمه العدو وتقاسمته دول الحلف [٤] .

---

١ - القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٥٤ .
أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، جـ١ ص ١٨٥ .
ابراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ١٤٤ .
٢ - نيقولاي ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٤ .
٣ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، جـ ٢ ، ص ٨٩٦ .
٤ - اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٦٠ .
أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٨ .
ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ٩٩ .
شارل ديل : البندقية ، ص ١٥٦ .
أتوري روس : ليبيا منذ الفتح العربي ، ص ١٩٧ .

كما غنم الأوربيون في هذه المعركة من العثمانيين (١١٧) مائة وسبعة عشر مدفعاً كبيراً ، (٢٥٦) ومائتين وستة وخمسين مدفعا صغيراً وجميعها صالحة للاستعمال [١] .

وقد استشهد من رجال الأساطيل العثمانية (٣٠٠٠٠) ثلاثون ألفاً ووقع في الأسر (٣٠٠٠) ثلاثة الاف منهم ثلاثة برتبة لواء بحري ، ومنهم ابن قائد القوات البحرية العثمانية ، كما استولى المسيحيون على ثلاث شارات لبرتوباشا وراية مؤذن زاده الحريرية المطرزة بالذهب [٢] .

والجدير بالذكر أن قائد القوات البحرية العثمانية نفسه (مؤذن زاده علي باشا) استشهد في هذه الموقعة كما سبق أن ذكرت ، كذلك استطاع الأوربيين تحرير أكثر من ثلاثين ألف من الأسرى المجدفين المسيحيين الذين كانوا في الأسطول العثماني ، ولم ينج من سفن الأسطول العثماني إلا السفن التي كانت تحت قيادة قلج علي [٣] .

أما خسائر الدول الأوروبية في السفن فلم تزد على ثماني عشرة سفينة مسطحة وبلغت الخسائر في البشر (٨٠٠٠) ثمانية الاف قتيل [٤] . و (٢٠٠٠٠)

---

١ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٤ .

٢ – يلمازا : المصدر السابق، ص ٣٧٤ .

٣ – يلمازا : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر ، العددان ٢٩ ، ٣٠ / (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ٩٩ .

٤ – سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

ابراهيم أفندي – مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ١٤٤ .

يلمازا : المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

J . Elliott : Imperial Spain . P 131

وعشرين ألف جريح ، وعدداً قليلاً من الأسرى ، كما جرح القائد العام للأساطيل الأوروبية دون جوان في هذه المعركة [١] .

وقد تضافرت أسباب عديدة لعبت دوراً كبيراً في هزيمة العثمانيين وإنتصار الحلفاء في ليبانتو فمن هذه الأسباب : إختلاف القادرة العثمانيين فيما بينهم إضافة إلى التفرق والضغائن والغايات الشخصية التي انتشرت في صفوفهم ، وقد أدرك ذلك الصدر الأعظم وندم ندماً شديداً على الخلاف بين القواد والذي كان وراء الهزيمة لأنه لم يكن يتصور أن يتطور هذا الخلل الخلقي ويؤدي في النهاية إلى هزيمة الأساطيل العثمانية [٢] .

ومن هذه الأسباب عدم استعداد البحارة العثمانيين وتحمسهم لمواصلة الحرب بعد الغارات الكثيرة التي شنوها على القواعد الأوروبية في سواحل البحر المتوسط .

ومنها إنتشار وباء الطاعون بينهم مما أودى بحياة الكثيرية منهم .

ومنها مواصلتهم الأعمال الحربية ومهاجمتهم دول الحلف على الرغم من اقتراب فصل الشتاء الذي اعتادوا أن يستريحوا فيه ولا يخرجوا للقتال فيه تجنباً لأهواله وزمهريره [٣] و لذلك وُزعت القوات العثمانية عند حلول الخريف على قواعد مختلفة ، حتى القوات التي جاءت إلى قاعدة ليبانتو ذهب عدد كبير

---

١ - يلماز ، أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٣ .

٢ - ابراهيم حليم : التحفة الحلمية ، ص ص ١٠٠ ، ١٠١ .

Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1102

٣ - روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٣ .

عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ص ٥٦ ، ٥٧ .

يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

من ضباطهم وقادتهم لقضاء فصل الشتاء في قواعد أخرى .

ومنها أنه كان هناك العديد من السفن التي كانت تحتاج إلى الإصلاح وأودعت في ترسانة ليبانتو لإصلاحها بسبب سيرها في البحار مدة طويلة ، إضافة إلى أن كثير من السفن العثمانية كانت تعاني نقصاً في المجدفين [١] .

ومنها أن العثمانيين بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة اعتمدوا في معاركهم البحرية اعتماداً كبيراً على الرياح ، فكانت السفن الحربية تواجه أحياناً رياحاً غير موافقة أو مخالفة أو ساكته ، لذلك اعتمد البحارة في مثل تلك الحالات على قوة المجاديف لتسيير السفن ووضعها في المكان المناسب الذي يحقق لها النصر ، فقد كان الفوز في مثل هذه المعارك صعب المنال لأن حرب البحار شديدة وعسيرة لعدة أمور منها ضيق المجال ، فلا تكاد السهام والأحجار أو المدافع والبنادق تخطيء خاصة إذا اختلفت الرياح أو توقفت وقت الحاجة إليها ، وفي هذه الحالة تصبح الحرب في البحر قدراً لايمكن الفكاك منه إلا بصعوبة بالغة [٢] ، وهنا تظهر قيمة المهارة في استخدام الرياح والتي تعتبر من أهم أسباب النصر كما تظهر خطورة عدم المهارة في استخدام الرياح ومعاكستها أو سكونها والذي قد يؤدي في النهاية إلى الهزيمة ، فقد ظهر ذلك بصورة جلية في معركة ليبانتو إذ كانت الرياح معاكسة للأسطول العثماني ، وكان هذا من أهم أسباب الهزيمة [٣] .

ومما لاشك فيه أن اعتماد العثمانيين على الأسرى النصارى في التجديف كان أحد الأسباب الذي أدى إلى الهزيمة فهؤلاء كانت تربطهم بالمسيحين الذين

---

١ - يلمازا : المرجع اسابق ، ص ٣٧٣ .
٢ - ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية ، ص ١٦٩ .
٣ - أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري - ص ٤٨ .×

أتوا بأساطيلهم لقتال العثمانيين روابط الدم والدين ، وليس ببعيد أن يتوانوا في التجديف أو يتوقفوا في اللحظات الحاسمة ، وهذا ما أعاق حركة سير الأسطول العثماني مما أتاح للأسطول المتحالف إستغلال ذلك في استكمال استعداداته ، كما أنه أثناء الاشتباك تعمد المقاتلون الأوربيون إطلاق سراح المجدفين النصارى بعد أن اقتحموا السفن العثمانية وهذا أعطى لهؤلاء الأسرى فرصة جيدة ليكروا على العثمانيين ويبثوا فيهم أحقادهم وسمومهم [١] .

ويرى نيقولا إيفانوف أن جهل العثمانيين بالإمكانات التكتيكية والتقنية الحقيقية للسفن الأوروبية الحديثة ، كان سبباً في هذه الهزيمة [٢] فقد أدخلت تحسينات على سلاح المدفعية الأوروبي ، أهمها تبسيط الحركات ، رجحت فعاليتها بعد أن تكاثرت أنواع المدافع التي كانت قيد الإستعمال ، فمنذ عام ٩٥١هـ / ١٥٤٤م اقتصرت المدفعية في جيش شارل الخامس على بعض المدافع ، وكذلك كانت فرنسا ، كما تمكن الألمان من اختراع الصاروخ للقنابل المعدة للإنفجار واشعال الحرائق ، ودخل في تركيب المتفجرة عناصر مختلفة كالزرنيخ والزفت ، كذلك اعتمدوا قنابل يدوية تبقى مشتعلة في الماء ، كذلك اخترعوا نوعاً من الرشاشات وهي عبارة عن عدد من البنادق صفت جنباً الى جنب عمل بها حتى سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م [٣] غير أن هذا الرأي لايحمل دليلاً قاطعاً على التفوق الأوروبي في التنفيذ والتكتيك ، كما أن العثمانيين اعتمدوا على مدفعيتهم الثقيلة ، وبعض الأسلحة التقليدية التي تستعمل في البحار ، ولم يكونوا قد طوروا أسلحتهم ، لكنهم تداركوا هذا الأمر وطبقوه في بنائهم للأسطول الجديد [٤] .

---

١ – روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ص ٦٨ .

عبد الرحمن حميده : مجلة الجندي المسلم ، ص ٥٨ .

٢ – الفتح العثماني للأقطار الغربية ص ٢٤٤ .

٣ – موريس كروزيه : تاريخ الحضارات العام – جـ ٤ – ص ١٩٢ .

٤ – الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٨١ .

ومن أسباب هزيمة العثمانيين في ليبانتو وفاة القائد علي باشا في أثناء المعركة فقد ذكر المؤرخون الأوربيون أن قائد الأساطيل المسيحية أمر بالقاء رأسه في البحر ، أما المصادر العثمانية فقد جاء فيها أنه أمر برفع رأسه على إحدى سواري السفن ، وهذا إدى إلى وقوع الإضطراب والبلبلة بين صفوف البحارة والمقاتلين العثمانيين . ومن هنا نستنتج أن القائد يلعب دوراً كبيراً في المعركة وفي رفع الروح المعنوية ، وأن قتله يؤثر على معنويات الجند تأثيراً عظيماً ، لذلك جرت العادة في المعارك الإسلامية المبادرة بقتل القائد منذ بداية المعركة لإحداث البلبلة والخلخلة في صفوف المقاتلين وإضعاف الروح المعنوية لديهم [١] . لذلك حرص قبودانات البحر على تقوية الروح المعنوية في نفوس جنودهم لأن حرب البحر لامنجي ولا مخلص منها إلا بصدق القتال [٢] . ويؤيد ذلك أنه عندما توفى الملك الصالح أيوب أخفت زوجته شجر الدر خبر وفاته ، وأخذت تصدر الكتب والمناشير والمراسم باسمه وختمه إلى أن تحقق النصر [٣] . على الحملة الصليبية التي قادها لغزو مصر الملك لويس التاسع في سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) .

ولا شك في أن قيادة دون جوان لأساطيل التحالف كان سبباً من أسباب انتصارها على الأساطيل العثمانية في ليبانتو لما كان يتمتع به من ذكاء في تسيير

---

١ - سرهنك : حقائق الأخبار جـ ١ ، ص ٥٦٠ .

٢ - ابراهيم العدوي : الأساطيل العربية ، ص ١٧٠ .

٣ - أحمد الشامي : صلاح الدين والصليبيون . (تاريخ الدولة الأيوبية) مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ٢٤٩ .

مخطط القتال . كذلك كان لجيان اندريا دوريا دوربارز في تسيير دفة الحرب ضد العثمانيين في هذه المعركة الحربية مثل سحب المنجنيق من السفن خلال الليلة السابقة للمعركة بحيث تسقط سهام العثمانيين في الماء وبالتالي تصل قذائف المدفعية المسيحية على سطوح المراكب الخشبية العثمانية بشكل مباشر مما يسبب في حرق سفن العثمانيين .

ومن أسباب هزيمة العثمانيين في هذه الموقعة هذا الدور القوي الذي قامت به جمهورية البندقية والذي أسهم إسهاماً كبيراً في انتصار الأساطيل المسيحية ، فقد كانت سفن البندقية المشاركة في القتال بمثابة قلاع عائمة على سطح الماء مسلحة بالمدفعية القوية التي أحدثت دوياً هائلاً في المعركة .

ومن هذه الأسباب أيضاً الدور القوي الذي قام به جنود أسبانيا إذ أبلوا في معركة ليبانتو بلاءً عظيماً بعد أن ساندتهم مدفعيتهم الأسبانية ، فقد كانوا كأنهم يخوضون معركة برية على الأرض وليست على البحر [١] .

فماذا كانت نتائج هذه المعركة على العالمين الأوروبي والإسلامي ؟

كانت معركة ليبانتو من المعارك الهامة ، واحدى المواقع الحربية البحري غير العادية والتي عدها الحلفاء من أمجادهم الحربية ، ولكن انتصار ليبانتو في

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1102 .
عمر الأسكندري ، سليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني .. ص ٣٧ .

حقيقة أمره كان انتصاراً لم يقد إلى غاية لها آثارها الفعالة ، وقد أكد هذا المؤرخون الأوربيون وعلى رأسهم براودل ، فهذه المعركة لم يكن لها نتائج إستراتيجية ، هي فقط نتيجة جيدة من نتائج مطاردة الأساطيل المتحالفة للأسطول العثماني في البحار (١) .

وقد إدعى الأوربيون أن هذه المعركة حررت الصليب من أسر المسلمين واحتفظت بأوروبا الغربية مسيحية لأنه لو تم النصر للعثمانيين لأدى ذلك إلى تطورات عظيمة ولاستثمر هذا النصر لصالح الإسلام والمسلمين (٢) .

بيد أن هذه الأقوال مبالغ فيها تبعاً للمبالغة والتهويل الأوربي اللذين صاحبا ذكر هذه المعركة ، وما يمكن أن يكون صحيحاً وموافقاً لوقائع التاريخ هو

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1103 .

٢ – و ل ديورانت : قصة الحضارة ، الجزآن ٢١ ، ٢٢ ، ص ٢٢٤ .

محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البـــر الى البحر ، ص ٢١٢ .

المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر ، العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٨٣م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس

أن تحسناً طرأ على الموقف العسكري الأوروبي في البحار وعلى الروح المعنوية لدى القادة والأمراء والملوك الأوربيين بعد هذه المعركة .

وفي الجانب العثماني استُقبل قلج علي في اسلامبول إستقبال الأبطال لتمكنه من إنقاذ بقية السفن العثمانية والعودة بها إلى الدردنيل سالمة ، لهذا منحه السلطان سليم الثاني لقب قلج بمعنى السيف أو القاطع ، وتمت ترقيته إلى قبودان باشا أي القائد العام للقوات البحرية وناظر البحرية العثمانية في (٩ من أكتوبر سنة ١٥٧١م) مع بقائه بيلر بك لمدينة الجزائر [١]، واستمر في منصبه لمدة خمسة عشر عاماً [٢] ، وكنتيجة لذلك حاول البابابيوس الخامس كسب قلج علي إلى جانبه بعرض الكثير من الإغراءات الخيالية عليه مثل تسليمه عرش أسبانيا أو صقلية ، وكان هدف البابا من ذلك كله حتى وإن لم يوفق هو إحداث البلبلة والشك لدى السلطان العثماني تجاه قلج علي ، وبالتالي تعطيل جميع مهامه ، ويؤكد ذلك ماجاء في وصية البابا التي بعث بها إلى ملك أسبانيا

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1102

عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .
سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٥٦٠ .
عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٠٩ .
نبيل رضوان : جهود العثمانيين ، ص ٥٢٤ .
نيقولا إينانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٤ .
أحمد مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٨ .
الشناوي : الدولة العثمانية - جـ ٢ - ص ٩٢٤ .
أرجمنت كوران : السياسة العثمانية ، ص ٩٢٤ .
يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٥ .
محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ٥٠ .
شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص ٣٤٨ .
٢ - الشناوي : الدولة العثمانية - جـ ٢ - ص ٩٢٤ .

وفحواها أننا :

« إذا لم نوفق بهـذه الخطة ، فـإنهـا على الأقل ستـخلف الشك لدى السلطان سليم الثاني ، وتعرقل العمل لدى الأميرال المشهور والمكلف بإدارة وتسيير الأسطول العثماني » [١] .

وقد واصل البابابيوس الخامس مساعيه لاضعاف الجبهة الإسلامية وتفريق كلمتها فاقترح مخططاً شاملاً لإستعادة الأماكن (المقدسة) بدأه بضرورة كسب تأييد بقية المسلمين المعادين للدولة العثمانية فبعث إلى شاه إيران طهماسب كتاباً في سنة ١٥٧١م جاء فيه : « ليكن بعلمك أن القدر يدعوك بواسطتنا للاشتراك في تقبل النصر بدلاً من أتعاب الحرب لأنك لن تجد فرصة مناسبة أو وقتاً أفضل من هذا الوقت الذي ستكون فيه قوى العثمانيين مهاجمة من كل ناحية » .

كما بعث إلى ملك الحبشة ، وأمير مكة ، والإمام الزيدي في اليمن بواسطة البرتغاليين يعرض عليهم هذا الأمر [٢] .

كما عمل البابا على إثارة اليونانيين في الآستانة نفسها رغبة منه في إحداث قلاقل تربك الدولة العثمانية ، وذلك تمهيداً لإستعادة عاصمتهم الشرقية

---

١ – عزيز سامح : الأتراك العثمانيون ، ص ٢٣٣ .

٢ – سعيد برجاوي : الأمبراطورية العثمانية ، ص ١٣٨ .

جلال يحى : تاريخ المغرب الكبير جـ٣ – ص ٢٨ .

المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثها في مجلد واحد) ٣١٩٨٣ – بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية – ص ١٠٠ .

السابقة القسطنطينية [١] .

كما وضع البابابيوس الخامس مع دون جوان خطة وجدولاً زمنياً اقترحا فيها مهاجمة تونس في ربيع عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م ، كما واقترحا توجيه حملة أخرى على المشرق في صيف هذا العام ، وتوجيه حملة على الجزائر في شتاء هذا العام [٢] .

وقد حمل دون خوان على عاتقه أمر مهاجمة تونس في الذكرى السنوية الثانية لمعركة ليبانتو فهاجمها في سنة ٩٨٠هـ/ السابع من أكتوبر سنة ١٥٧٢م [٣] .

وعلى الرغم من هذا فإن بعض المؤرخين الأوربيين وعلى رأسهم فولتير رأو أن معركة ليبانتو لم تكن هزيمة ساحقة للعثمانيين كما أنها لم تكن نصراً حاسماً للأوربـيين بل إن الذي انتصر في الحقيقة هم العثمانيون لا المسيحيون ، فلقد انتصر العثمانيون في نهاية الأمر وإن خسروا في البداية ذلك لأن المسيحين لم يحققوا أي مكسب واضح من فوزهم في تلك الجولة الحربية سوى إلحاق خسارات جسيمة بالسفن الحربية العثمانية ، فلقد أثبت العثمانيون بعد هذه المعركة أنهم كانوا على درجة كبيرة من المقدرة والرفاهية ، فهم شيدوا خلال شتاء واحد اسطولاً ضخماً يعادل أو يفوق مافقدوه ، يضاف إلى هذا أنهم سلحوه

١- المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣م .
بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية ، ص ١٠٠ .

2- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1103 .

نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٦

٣ – المجلة التاريخية المغربية : العددان ١٠ ، ١١ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٧٨م .
بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : الخلفية الدينية للصراع الأسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر ، ص ١٥ .

بأحدث الأسلحة بعد أن ألغوا منه جميع الأسلحة القديمة مثل السهام ، وبذلك أصبح الأسطول العثماني من أقوى الأساطيل في العالم ، ويعد هذا العمل الذي قامت به الدولة العثمانية من أسرع الأعمال العظيمة التي سجلها التاريخ [١] .

وعلى أي حال فإن إنتصار المسيحين في ليبانتو يعتبر انتصاراً عقيماً لأنه لم تعرف له ثمرات عادت بالفائدة على دول التحالف أو على أوروبا ، أضف إلى هذا أن التحالف الأوروبي انفرط عقده قبل أن تتفق الدول الموقعة عليه على الهجوم الحربي التالي للانتصار ، فلقد اكتفت هذه الدول بشعور النشوة بالنصر والإحتفال به في كافة أوروبا ، ومن مظاهر هذا الإحتفال تعليق الأعلام المرصعة بالفيروز والذهب ، وعرض الصور التي رسمت بأيدي أشهر الفنانين الأوربيين أمثال بليفي ، وجيور جوني ، وتيشيان ، وميكل أنجليو ، والحفلات التنكرية التي أقيمت ثم إلغاء جميع القوانين الأخلاقية في فترة هذه الإحتفالات إبتهاجاً بهذا النصر [٢] ، ولم تلبث البندقية أن انفصلت عن هذا الحلف مفضلة مصالحها

---

١ - يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٧٥ .
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٥٤ .
أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ص ١٨٥ .
عمر الأسكندري ، سليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني ، ص ٣٨ .
سرهنك : حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ص ٢٢ ، ٥٦٠ .
Paul Coles : The Ottoman Empact .. P 97 .
J . H Elliott : Imperial Spain .. P 131
أحمد متولي : مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص ٣٩٦ .
ابراهيم حليم : التحفة الحلمية ، ص ١٠٠ ، يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣٢ .
سعيد برجاوي : تاريخ الأمبراطورية العثمانية ص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
يوسف اصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٨٢

٢ - ول دايريل ديورانت : قصة الحضارة - الجزآن ٢١ ، ٢٢ - ، ص ٢٢٤ .
البحراوي : فتح العثمائيين عدن ، ص ٢١٢ .
المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣م .
بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ١٠١ .

الخاصة فعقدت صلحاً ومعاهدة مع الدولة العثمانية بواسطة السفير الفرنسي في ٣ من شهر مارس سنة ١٥٨١ م .

وقد تضمنت هذه المعاهدة بنوداً أهمها أن تدفع البندقية للدولة العثمانية جزية مقدارها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة دوكة إضافة إلى ثلاثمائة ألف دوكة أخرى تدفع مرة واحدة كتعويض عن خسائر السلطان في قبرص ، وأن تقر البندقية بتنازلها عن قبرص نهائياً للدولة العثمانية [1] ، وقد زار ممثل البندقية الآستانة قبل توقيع المعاهدة ففاجأه صوقللي باشا بقوله :

« أأتيت تتفقد شعورنا وشجاعتنا بعد تلك الفاجعة ؟ فاعلم أننا دونكم خسارة فيها . لأننا باستيلائنا على قبرص قطعنا أحد سواعدكم . أما أنتم فلم تجزوا بتدميركم عمارتنا إلا لحية . وإن الساعد المبتور لاينبت على حين أن اللحية إذا ما قصّت تعود أكثر كثافة » [2] .

وبخروج البندقية حُرمت أسبانيا من إمكانية شنها حملة عسكرية مشتركة مع البندقية ضد الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ، ولم يتبقَّ أمامها سوى أن تشن هجوماً محدوداً على تونس [3] .

---

١ - رياض زاهر : شمال افريقيا في العصر الحديث — ص ص ٨٠ ، ٨١
شارل : البندقية - ص ١٥٦
آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان - ص ٨٢
الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٨١
يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية - ص ص ٣٧٥- ٣٧٦
روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية - ص ٢٣٢

٢ - سعيد برجاوي : تاريخ الامبراطورية العثمانية - ص ١٣٩
شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزو الايطالي - ص ١٥٥
المجلة التاريخية المغربية - العددان ٢٩-٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) - ١٩٨٣ بحث للدكتور - عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي - ص ١٠٢

٣ - نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للاقطار العربية - ص ٢٤٥

وقد أنهت معركة ليبانتو فترةً من الإحباط وعُقد النقص بالنسبة للمسيحين كما أوقفت تطورات تجاه مستقبل عُدَّ كئيباً بالنسبة لأوروبا لأنه كان من المحتمل مهاجمة العثمانيين لنابلي وصقلية لو انتهت معركة ليبانتو بتحطيم أسطول التحالف الذي يقوده دون جوان [١] ، لذلك انشغلت أوروبا بعد انتصارها في هذه المعركة ببناء الكنائس عند حلول الشتاء شكراً لله على حد زعمهم [٢] .

وعقب معركة ليبانتو تلاشت الفكرة الشائعة بعدم إمكانية القضاء على التفوق الحربي العثماني ، وأصبح الأمل مرموقاً أمام الأوروبيين لتوجيه مزيد من الضربات والهزائم للعثمانيين في شتى ميادين الحرب [٣] .

بيد أن الموقف الأسباني إضافة إلى موقف البندقية حدّ من هذه الآمال وعوقها ، فلم تكن أسبانيا قادرة على أن تجعل من نفسها خير مُخلص في مدة طويلة لشئون أوروبا المسيحية في البحر المتوسط إذ كان من الممكن أن يقود إنتصار ليبانتو إلى أمور خطيرة ضد العثمانيين وبخاصة في الشمال الأفريقي لو تعهدت أسبانيا على نفسها بجدية متابعة القتال [٤] ، لكن اهتمام فيليب الثاني تحول إلى مستعمراته في العالم الجديد وإلى القضاء على الحركة البروتستانتيه في

1- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1103

نبيل رضوان : جهود العثمانيين – ص ٤٥٥

المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩– ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) – ١٩٨٣م – بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ص ١٠٠

٢ – سرهنك : حقائق الأخبار – جـ ١ ، ص ٥٦١

٣ – أحمد رمضان – تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط – ص ٣٧٤

المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩– ٣٠ – (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد ١٩٨٣م) . بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ص ١٠٠

4- Fernand Braudel : The Mediterr anean .. P 1105 .

هولندا ، وذلك لأنه كان يعتقد أنه رسول بعثه الله لنصرة الكاثوليكية في كل مكان [١] ، وأدى اهتمامه بمستعمراته ووراثة عرش البرتغال الذي ضم إلى أسبانيا في عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م إلى إنتهاجه سياسة واضحة الاستقلال ، ومن ثم تخلى فيليب الثاني ملك أسبانيا عن جميع خططه السياسية في البحر المتوسط ، والتي كانت تتلخص في حرمان العثمانيين من جميع قواعدهم وتدمير قلاعهم تدميراً شاملاً في شمال أفريقيا وبالتالي سيصبحون غير قادرين على حماية أنفسهم أمام الهجمات المحلية التي سيقوم بها منافسوهم في هذه الأصقاع ، والحد الأدنى الذي أصبحت أسبانيا تود تحقيقه في الشمال الأفريقي هو تحييد منطقة الشمال الأفريقي بحيث تصبح لا عثمانية ولا أسبانية [٢] .

لقد كان لمعركة ليبانتو أثر لاينكر في إضعاف نشاط الملاحة العثمانية البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط يضاف إلى ذلك أن نشاط الدولة البحري قد توزع في أنحاء أخرى مثل البحار الشرقية خاصة بعد وصول البرتغال إلى هذه البحار ، فلم تلبث الدولة أن أعطت الأولوية لمجابهة البرتغال في هذه الأصقاع كما أن الملك الإسباني فيليب الثاني انشغل بالبروتستانت ونشاطهم في الأراضي المنخفضة ، لهذا أدرك السلطان العثماني ضرورة تحول النشاط البحري العثماني إلى المشرق الإسلامي ، خاصة بعد موقف السعديين والأمراء المحليين المعادي للدولة في المغرب ، كل هذا جعل الدولة تقلل من إهتمامها بالحوض الغربي للبحر المتوسط وبالتالي ظهرت طموحات البرتغاليين

---

١ - عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ١٢٦ .

٢ - المجلة التاريخية المغربية : العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي، ص ٩٦ .

٣ - نيقولا ابفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٥ .

وأطماعهم في المغرب العربي فاستغلوا هذه الفرصة لتنفيذ مشروعهم في هذه المناطق ، فقد كان ملك البرتغال سباستيان يعقد العزم على مهاجمة المغرب العربي ليحقق آمالاً كبار ، كما كان يحاول جذب ملك أسبانيا إليه خاصة بعد هزيمة أسبانيا في حلق الوادي بتونس سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م [١]، أمام العثمانيين .

وقد عد الأوربيون انتصارهم على العثمانيين في معركة ليبانتو بمثابة أخذ للثأر من العثمانيين الذي استولوا على جزيرة قبرص وضموها إلى ممالكهم في سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م [٢] .

ومما يجدر ذكره أن العثمانيين تمكنوا من تدمير القواعد العسكرية في سواحل ايطاليا الجنوبية المشرفة على بحري الإدرياتيكي Adrica والبحر التيراني Tiren وكان ذلك مقدمة لإسترداد تونس [٣] ، عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، فلما كان أخذ قبرص من البندقية بمثابة تعويض مسبق عن خسارة ليبانتو ، وبعد أن بنى العثمانيون أعداداً من السفن عادل مافقدوه في ليبانتو وجهزوها بالأسلحة والجند وأثثوها في البحر المتوسط أصبح الأسطول العثماني متفوقاً بمجموع سفنه على دول التحالف [٤] ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى زيادة الضغط الصليبي الأسباني على مسلمي شبه جزيرة إيبيريا إذ أصدر فيليب الثاني مرسوماً حرم على الأندلسيين المواركة التخاطب بالعربية والكتابة بها ، وحدد عقوبة المخالفة

---

١ – ابراهيم شحاته : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ص ٣٤ .
جلال يحى : تاريخ المغرب الكبير ، جـ ٣ ص ٢٨ .
أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط ، ص ٤٥ .
صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٢٤ .

٢ – ليلي الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ص ٩٩ .
شارل ديل : البندقية : ص ١٥٦ .

٣ – يلمازا : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٣٧٦ .
سعيد برجاوي : تاريخ الأمبراطورية العثمانية ، ص ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
Paul Coles : The Ottoman Empact On Europ .. P 97 .

٤ – يلمازا : المصدر السابق ،ص ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

الأولى للمرسوم بالسجن مع التكبيل بالحديد مدة ثلاثين يوماً ، وضعفي هذه المدة للمخالفة الثانية والخدمة أربع سنوات في القواديس مع مائة جلدة للمخالفة الثالثة [١] .

وأخيراً يتبين لنا أهمية معركة ليبانتو التي تعتبر البداية نحو تحولات كبيرة ، إذ أدركت أوروبا والدولة العثمانية أن الحروب في البحر المتوسط قد أصبحت باهظة التكاليف ولا جدوى منها لذلك سعت أسبانيا والدولة العثمانية لإجراء مفاوضات السلام والتي بدأت منذ عام ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م ، وتم عقد هدنة رسمية بينهما في سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م ، وتجددت مرتين إحداهما في سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م والأخرى في سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م [٢] ، وقد احتفظ فيليب الثاني ملك أسبانيا بمليلة ، والمرسي الكبير ، ووهران ، بموجب هذه الإتفاقيات ، وقسمت الدولة العثمانية المغرب إلى ثلاث ولايات هي طرابلس ، وتونس ، والجزائر [٣]، واتجهت الدولة في سياستها إلى المحافظة بقدر الإمكان على مابحوزتها خاصة الأماكن المقدسة ، كما اتجهت أسبانيا نحو المحافظة على مستعمراتها في العالم الجديد وشرق آسيا .

١- عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركه .ص ١٦٦ .

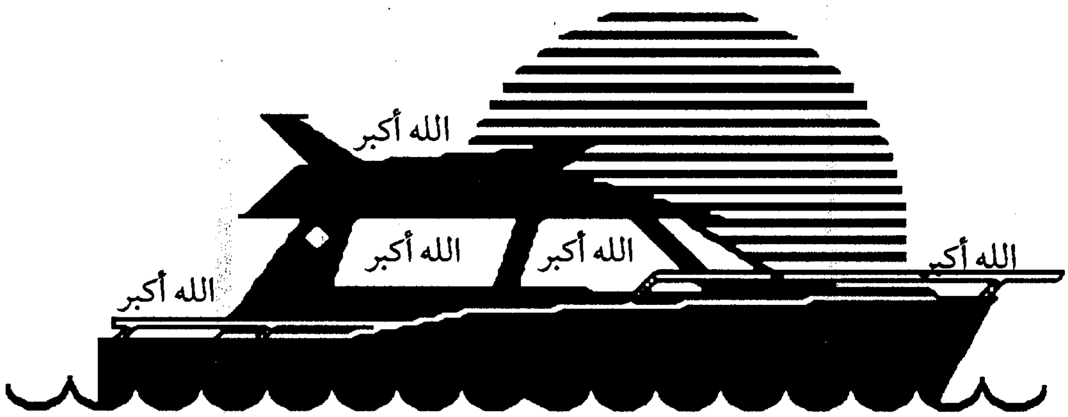
٢- محمود المهندس : البحر الزاخر ، ص ٨٦ .

رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصر الحديث – ص ٨١

نبيل رضوان : جهود العثمانيين – ص ٥٤

أدوارد بروي : تاريخ الحضارات العام – جـ ٤ – ص ١٩٩ .

3- Paul Coles : The Ottoman Empact On Europ .. P 97 .



الفصل الرابع

نتائج معركة ليبانتو

(أ) اشتداد الاضطهاد الصليبي الأسباني لمسلمي شبه الجزيرة الإيبيرية (الموريسكيين)

(ب) الإحتلال الأسباني الصليبي لتونس ٩٨٠هـ / ١٥٧٢ م .

(جـ) استعادة الدولة العثمانية لتونس 982هـ / ١٥٧٤ م ..

(د) قيام النيابات العثمانية الثلاث (تونس - الجزائر - طرابلس).

أ - إشتداد الإضطهاد الأسباني لمسلمي شبه (الجزيرة الإيبيرية (الموريسكيين) :

كانت غرناطة آخر الممالك الإسلامية التي استسلمت للأسبان في الأندلس في ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ / يناير ١٤٩٢ م [١] بعد أن كلفت أسبانيا الكثير من حيث الجيوش والأسلحة إلي أن اضطرت إلى الإستسلام في إطار معاهدة وافق عليها الطرفان ، ورضي بموجبها أهل غرناطة أن يكونوا من رعايا الدولة الأسبانية شريطة تمتعهم بالحرية الدينية ، فقد جاء في هذه المعاهدة « . . ، **أن مَن شاء البقاء عنده [٢] أقام في ظل الأمان مكرمًا ، ومن أراد الخروج إلى بر العدوة أُنزل بأي بلاد شاء منها ، من غير أن يعطي كراءً ولامغرمًا** [٣] » وأظهر للمسلمين العناية والإحترام [٤] ومن الشروط التي جاءت في هذه المعاهدة أن يقوم المسلمون الأندلسيون بتسليم الحصون والمدافع للسلطات الأسبانية ، في حين تبقى الأسلحة الفردية في حيازة المسلمين الأندلسيين ، ولهم الحق في الإحتفاظ بلغتهم وملابسهم . وبتوقيع وثيقة التسليم وبدخول فردناند وزوجته ايزابيلا غرناطة بدأت موجات الإضطهاد ضد اليهود أولاً ثم ضد المسلمين ، فتوالت ثورات المسلمين منذ ذلك التاريخ ، وتوارث حكام أسبانيا

---

١ - حسين مؤنس : رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص ١٤٠ .

٢ - يعود الضمير إلى الملك فرديناند .

٣ - هذا النص مأخوذ من شهاب الدين أحمد المغربي (أزهار الرياض في أخبار عياض) الرباط - الطبعة الثانية ١٩٧٨م جـ ١ ، ص ٦٧

٤ - أي أن الملك فرديناند تظاهر للمسلمين باحترامهم وتقديرهم .

أنظر : نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ، ٦٨ .

العداء ضد مسلمي الأندلس ، وبلغ العداء قمته في عهد الملك الأسباني فيليب الثاني وخاصة عقب إنكسار القوات العثمانية في معركة ليبانتو البحرية وإنتهاء ثورة البُشارات [١] إذ إزداد الأسبانيون في إستئصال بقايا المسلمين بالأندلس بوسائل عدة [٢] ، وقد ظهرت مشكلة الموريسكيين في أوائل القرن السادس عشر ، ونشأت نتيجة للصراع بين الديانات وكان من الصعوبة أن يُحل أو يُحتوي هذا الصراع ويحسم في سنوات عدة ، وقد أطلق على نسل مسلمي أسبانيا الذين تحولوا الى النصرانية (الموريسكيون) رسمياً ، بينما ظل هؤلاء الموريسكيون في أعماق نفوسهم محتفظين بإيمانهم بالله سبحانه وتعالى وبرسوله ﷺ [٣] وقد بلغت أسبانيا قمة إنتصارها السياسي الديني على الموريسكيين في أواخر القرن السادس عشر عندما حَرّمت عليهم كل ماله إرتباط بالإسلام [٤].

ومن اللحظة الأولى التي تلقى فيها الموريسكيون التعميد تحولت مجتمعاتهم الى جمعية سرية كبيرة ، لأنهم ظلوا يشعرون

---

١ – ثورة البشارات : او البوشرات أو كما يذكرها بعض المؤرخين بالثورة الأندلسية الكبرى ونسبة إلى جبل البشرة أو (البشرات) في الجنوب Al Pujerros,las ، حيث قام بها الموريسكيون وشارك فيها مائة وخمسون ألف مسلم وذلك في عام ٩٧٦هـ/١٥٦٩م وتولى قمع هذه الثورة دون جوان النمساوي وذلك في عام ٩٧٧هـ/١٥٧٠م . أنظر عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركه ص ١٥٠ .

٢ – ابراهيم حليم : التحفة الحلمية : ص ١٠٠ .

3- Fernand Braudel : The Mediterranean . P 780

لوي كارداياك : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (حياة المورسكين الدينية تماسك لطائفة كانت تشكل أقلية في أسبانيا في القرن السادس عشر الميلادي ص ١٢٧ – العدد السابع سنة ١٩٨٣–١٩٨٤م ، ص ١٢٧ .

٤ – عبد الجليل التميمي : تمسك الموريسكين بدينهم وهويتهم من خلال قراءاتهم لأحاديث الرسول في مخطوطتين موريسكيتين ، بحث ألقي في المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسكية ، الجامعة التونسية ، المعهد الأعلى للتوثيق ، ص ٤ .

بأنهـم أُجبروا على قبول أمور لم يرغبـوها ، ذكر ذلك المـؤرخ الأسبـاني لوي دي مارمول كار فاجال (Louis de Marmol carvajel) في تاريخه عن ثورات البشارات فقال :

« أن الداخلين حديثاً في الدين المسيحي كانوا دوماً يشعرون بالحقد تجاه ديننا » [١] وما تصوره كارفاجال حقداً هو في الحقيقة تمسك المورسكيين بعهد أخذوه على الأسبان لم ينسوا أبداً اتفاقية غرناطة ، والتي التزم فيها الملكانً الكاثوليكيان بأن يسمحا للمسلمين بحرية ممارسة ديانتهم .

غير أن ملوك أسبانيا أزمعوا على قطع صلاة المورسكيين بأرضهم ، وصمموا على مصادرة حرياتهم .

فمنذ نهاية عـام ٩٧٩هـ / ١٥٧١م وُزِّع مورسيـكو غرناطـة [٢] علـى جميع أنحـاء شبه جزيرة إيبـريا فتشـتت معظمـهم فـي قشتالة الجديدة (طليطلة) ، ومـانتشـا [٣] (المدينـة الملكـية - البسـيط كينتاز) ، والأندلـس (اشبـيلية وقرطبة واستجة) كما توجهت أقلية منهم إلـى قشـتالة الـقديمة ، كما إتجـه بعضهم إلـى (استراما دورا) [٤] (وسطاليس) ومـع صـدور الأوامر العليـا المتتـالية التـي تقضـي بنفيـهم وإبعادهم إلا أن أعدادهم كانت في تزايد مستمر ، ومن أمثـلة هذه الأوامر العليا تلك الأوامر التي صدرت في ٩٨٦هـ- ٩٨٧هـ -٩٨٨هـ/ ١٥٧٦م-١٥٧٨م - ١٥٧٩م وفي

---

١ - لوي كاردياك : Louis Cardaillac الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ص ٩١ .

٢ - أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٣٥١ .

٣ - منتشا : La Mancha: مدينة في وسط أسبانيا جنوب طليطلة .
أنظر : Philips Modern School Atlas P . 38

٤ - استرامادورا : إحدى أعمال إسبانيا تقع في غربها إلى ماغرب اسبانيا يحدها من الشمال قشتالة القديمة والجنوب الأندلسي وشرقها قشتالة وغربها البرتغال ، وأهم مدنها القصر وبطليوس . أنظر : عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة - طبع بمطابع انترناشيونال برس في ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، القاهرة - ص ١٨٢

عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م هاجر إلى قشتالة ثلاثة آلاف وخمسمائة موركسي وهاجر إلى مناجم المعدن مائتا موركسي ، كما هاجرت في العام نفسه أربعون أسرة مسلمة إلي استرامادورا .

وكانت محاكم التفتيش تصدر الأحكام القاسية والتي أودت بحياة الكثيرين وذلك فيما بين ٩٩٠ - ٩٩٣هـ/ ١٥٨٢-١٥٨٥م ، واستمر التهجير القسري خلال عام ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م حيث هجر في هذا العام إلى استرامادورا أربعمائة مورسيكي .

وبعد أن تمكن الأسبان من إخماد ثورة البُشارات صدر في الرابع والعشرين من شباط عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م مرسوم ملكي يقضي بمصادرة ممتلكات الموريسكيين كعقاب لهم لمساهمتهم في هذه الثورة سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، وقد شملت المصادرة جميع الأملاك دون استثناء ونص المرسوم على أن « **تصبح جميع الممتلكات التي كانت للموريسكيين في مملكة غرناطة مهما كان نوعها وحالتها ملكًا لجلالة الملك** » ، وقد أرسل الملك موظفين لتنفيذ هذا المرسوم ، وأصدر في الوقت نفسه قرارًا بالتحقيق الدقيق خوفاً من إخفاء الموريسكيين لممتلكاتهم[1] .

وفي السادس من اكتوبر سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م أصدر فيليب الثاني

---

١ - محمد عبده حتامله : التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني (١٥٢٧-١٥٩٨م) ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م ، ص ٩٠ . ص ٩٣

مرسوما آخر مضمونه حرمان الموريسكيين المواركة من التخاطب باللغة العربية أو الكتابة بها [١] ، وأن عقوبة كل من يخالف هذا المرسوم السجن مع التكبيل بالحديد مدة شهر ، والخدمة أربع سنوات في الكنائس والجلد بمائة جلدة ، كما ألغى المرسوم أي قيمة قانونية لأي وثيقة أو صك يكتب باللغة العربية ، وتضمن المرسوم العديد من الممنوعات والمحظورات ، وكانت أكثر العقوبات توقّعُ على الأندلسيين الذين يتركون مناطق سكنهم المحددة لهم بعد عملية النفي ، وكل اندلسي يقع في هذه الجريمة (من وجهة نظرهم) إذا كان سنه بين العاشرة والسابعة عشر وكان انتقاله على بعد عشر فراسخ من غرناطة حكم عليه بالعبودية الدائمة في القواديس [٢] ليقضي فيها بقية أيام حياته ، وأما إن كان سنه فوق ذلك حكم عليه بالإعدام ، كما أجبر المرسوم بقية المورسكيين على أبلاغ السلطات الأسبانيه في حالة هرب أحد الموريسكيين من المنطقة المحددة لسكنه ، وفي حالة عدم الإبلاغ تنفذ العقوبة في المتسترين عليه وهي الجلد والسجن لمدة شهر ، كما رصد هذا المرسوم الجوائز القيمة لكل من يدل على الهاربين أو يمسك بهم [٣] .

وترتب على تلك السياسة القاتلة أن القلة الذين كانوا يكتبون العربية من الموريسكيين أصبحوا يكتبونها بشكل رديء ملي بالأخطاء ، أدى ذلك إلى

---

١ - عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ١٦٦ .

محمد فقيه : دين الموريسكين الأندلسيين وهويتهم ومصادرة وثائقهم ، من آثار الموريسكيين بالغرب العربي . تونس ، بحث ألقي في المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسيكية ، ص ١.

- Fernand Brandel : The Mediterrane an . P 791 .

٢ - القواديس : أي الخدمة المؤيدة في السواقي والنواعير .

والقواديس : جمع قادوس وهو وعاء تربط أعداد منه في النواعير أو السواقي لاستخراج الماء .

أنظر : جبران مسعود : الرائد ، معجم لغوي عصري ، طبع بيروت ، سنة ١٩٨١ م .جـ ٢ ص ١١٤٢.

٣ - عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ١٦٦ .

ظهور مستوي متدن في قواعد اللغة العربية ، وسجل ارتفاعا كبيراً في عدد الأخطاء ، وبالتالي اصبحت كتاباتهم ومخطوطاتهم تمتزج فيها عدة لغات باللغة العربية مثل اللغات الأسبانية والأعجمية واللاتينية [١].

وإضطر الموريسكيون مع مرور الزمن الى التخاطب بالقشتالية ، وترتب على ذلك ان عم الجهل بينهم ، كما تفشت فيهم الأمراض لمنعهم من استخدام(الحمامات) لانها سلوك اسلامي وإجبارهم على قبول القذارة .

كما منعوا من العمل بالتجارة والمهن المختلفة ولم يَبْقَ أمامهم غير العمل بالفلاحة لصالح القشتاليين ، أو نقل الأثقال على الحيوانات ، أو رفع البضائع من الموانيء على ظهور السفن ، غير أن بعض الموريسكيين استطاعوا في الخفاء العمل في الصناعات اليدوية ، وبعضهم استطاعوا العمل في التجارات الصغيرة [٢] على الرغم من هذا الخطر .

وبالرغم من انهم حرموا من أمور كثيرة فإنه كان آخر ملجأ وملتجأ لهم هو الله سبحانه وتعالى ودينهم الحنيف [٣] .

---

١ – عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركه ، ص ١٦٦ .

٢ – عادل بشتاوي :المرجع السابق : ص ١٧٤ .

محمد فقيه : دين الموريسكيين الأندلسيين ، ص ١ .

٣ – عبد الجليل التميمي : تمسك الموريسكيين بدينهم وهويتهم من خلال قراءاتهم لأحاديث الرسول في مخطوطتين موريسكيتين – (بحث ألقي في المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسكية) .

الجامعة التونسية ، المعهد الأعلى للتوثيق ، ص ١٧ .

محمد فقيه : دين الموريسكيين ، ص ١٧ .

كما أمر ديوان التفتيش الديني بإحراق جميع الكتب العربية بعد الاستيلاء على غرناطة مما جعلهم يبحثون عن المؤلفات والكتابات العربية التي من الممكن ان تعمق الدين الإسلامي في نفوسهم ، وصدرت مراسيم عديدة تأمر بتسليم هذه المؤلفات إلى السلطات ومع ذلك ضرب المورسيكيون بهذه المراسيم عرض الحائط ، واحتفظوا بهذه المؤلفات مما جعل دواوين التفتيش تلاحقهم ، فقد كانت الكتب الدينية ونصوص الأدعية والأذكار تتناقل من يد الى يد ، وتحتفظ بها بعض الأسر وتجمعها في مجلد لتساعد في تلقين أفراد الأسرة مباديء الدين الإسلامي [١] .

وقد اصدر مفتي وهران الشيخ أحمد بن جمعة فتوى تناولت العلاقات بين المسلمين المورسكيين والمسيحيين في حالة إجبار المورسكيين على التنكر للدين الإسلامي وإعتناق المسيحية [٢] فأكد أن إيمانهم صحيح لأنهم إنضووا تحت قوله تعالى : ﴿ **الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾* ، ومن أمثلة ذلك أن الأسبان كانوا يجبرون المورسكيين على سب الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وقد أوجبت الفتوى على المورسكيين في هذا الموقف تسمية محمد ﷺ بحمّد (Hamed) مثلهم في هذا مثل المسيحيين ، وألا يفكروا في الرسول عليه السلام وهم يسبون حمد ، ولكن في شخصية يهودية أو في الشيطان [٣] ليصبح احدهما أو كلاهما مقصوداً بالسب .

---

١ - **لوي كارداياك : بحث بعنوان : حياة المورسكيين الدينية عامل تماسك لطائفة كانت تشكل أقلية في أسبانيا في القرن السادس عشر للميلاد ، مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية بفاس ، العدد السابع ١٩٨٣-١٩٨٤م ، ص ١٣٣ .**

٢ - **لوي كارداياك : المورسكيون الأندلسيون ، ص ص ٩١ ، ٩٢ .**

* جزء من الآية ١٠٦ ، سورة النحل .

٣ - **لوي كارداياك : المورسكيون الأندلسيون المسيحيون ، ص ٩٢ .**

لوي كارداياك : حياة المورسكيين ، ص ١٣٠ .

وفي الصلاة إذا اكره الموريسكي على دخول الكنيسة في وقت حلول أي صلاة من الصلوات المكتوبة عليه فكأنه أداها ، أي إذا تعذر عليه أداؤها في وقتها بالنهار فليقضها في الليل ، وهكذا قضي الموريسكيون امورهم ومعظم شئون حياتهم [١] أي أن الموريسكيين اضطروا أمام تلك الرقابة الشيطانية والتسلط الفاحش أن يعتصموا بالتستر والتقيه للحفاظ على دينهم، والتقيه مباحة في الإسلام .

وقد ذكر أحد الموريسكيين الملتجئين إلى تونس أن الأسبان أضطهدوا الاندلسيين الموراكةبالسجن والتعذيب والقتل ، ومع ذلك فإنهم استطاعوا أن يحافظوا علي دينهم وتظاهروا باتباعهم لعقيدة أخرى ، ولم يكن زبانية دواوين محاكم التفتيش والقساوسة بغافلين عن مقاصد الموريسكيين فكالوا إليهم التهم تلو التهم ، ومن أشهر التهم التي كانوا يوجهونها إليهم «إخفاء معتقداتهم بفنٍ وخبث» [٢] .

وقد وصف أحد الموريسكيين حالتهم بقوله « **لقد كنا مضطرين إلى أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون فيه منا ، وعلى الرغم من ذلك فإنهم ساقونا إلى محاكم دواوين التفتيش بسبب إتباعنا الحقيقة لقد حرمونا من الحياة والأملاك والأبناء ، وزُجُّوا بنا سجون مظلمة لأتفه الأسباب ، ونظراً لافكارهم السيئة فإنهم يبقوننا في هذه السجون سنين عديدة في الوقت الذي يستولون فيه على أملاكنا التي صادروها ويستغلوننا ، ثم يقولون إن لذلك الفعل مُبَرراً ، وعلى ضوء ذلك فإنهم ظلوا يخفون أفكارهم السيئة وسريرتهم الضالة** » .

---

١ – لوي كاردياك : حياة الموريسكيين ، ص ٩٢ .

٢ – لوي كاردياك : الموريسكيون الأندلسيون ، ص ٩٤ .

أما أطفالنا ، فإنهم عندما يكونون يافعين فإنهم يربونهم على منوالهم ، ويصبحوا مرتدين ، أما اذا كبروا فإنهم يسعون للهروب . وبالإضافة إلى ذلك فإن حكام دواوين التفتيش ظلوا يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائيًا علي هذه الأمة » (١) .

ولا ننس الضرائب الفادحة التي فُرضت على الموريسكيين منذ عامي ٩٨٥-٩٨٦هـ / ١٥٧٧ - ١٥٧٨ م ، وقد تردت الأوضاع الإقتصادية في مملكة غرناطة نتيجةً لعملية الإبعاد والطرد مما جعل أسبانيا تصدر أوامر عليا بعودة جميع الغائبين إلى أراضيهم في فترة أقصاها أربعة أشهر ، ولا شك في أن هذه الأوامر لم تكن إلا محاولة من السلطات الأسبانية لتعديل بعض البنود الشيطانية رغبةً منها في تأمين وضع اقتصادي معقول لتلك المناطق الكاسدة للمستوطنين (٢) بعد أن ساءت أحوالهم ، فوضعت شروطا جديدة خلاصتها : دفع ضريبة البيوت ، واستخدام الطرق الزراعية على حسب عادات المقاطعة مع استمرار الموريسكيين في الإقامة في الأماكن المحددة لهم ، وحراسة الشواطيء التي يقيمون عليها ، وعدم إستغلال الأراضي من قبل غير المزارعين ، ومنع رهن الأراضي ، أو إقامة أي نوع من المؤسسات الدينية أو بيع أي جزء من الأراضي للمؤسسات الدينية ، اما بالنسبة للإقطاعيات فقد اعطت السلطات الأسبانية أولوية ملكيتها للقادر على جمع أكثر كمٍ من الضرائب من المستوطنين (٣) .

وقد بلغت القيمة الإجمالية للأموال المصادرة من مسلمي الأندلس في نهاية القرن السادس عشر أربعةً وثلاثين مليون مرافيدي (٤) .

---

١ - لوي كارداياك : الموريسكيون الأندلسيون - ص ١٠٤ .

٢ - يقصد بالمستوطنين الموريسكين المهجرين .

٣ - محمد حتامله : التهجير القسري ، ص ٩٥.

٤ - محمد حتامله : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

ولا جدال في أن سياسة فيليب الثاني مع الموريسكين امتازت بالقسوة والعنف والتعصب والغدر ونقض العهود والمواثيق ، ومع ما أبداه المورسكيون من صبر واحتمال فإنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي فقاموا بالعديد من الثورات ، أضف إلى ذلك وقوف الدولة العثمانية إلى جانبهم ، إلا أن إمداداتها لهم لم تكن كافية ، ولم يستطع المورسيكيون أن يقلبوا بهذه الإمدادات ميزان القوى تجاه سياسة الاضطهاد الديني الذي شنته عليهم الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الحاكمة في أسبانيا عقب سقوط غرناطة وما تبع ذلك من إقامة محاكم التفتيش ، تلك المحاكم التي مارست أعمال قمع واضطهاد لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، كما قامت بتشريد الاف السكان المورسكيين وتنصيرهم قسراً ، لهذا كان معظم المورسكيين يُفضل الموت على الحياة نتيجة لما عانوه من أصناف العذاب على أيدي رجال محاكم التفتيش ورجال السياسة الأسبان ، فلقد حكم هؤلاء على كثير من المورسكيين بالموت لمجرد الشك ودون أن يثبت عليهم ذنب أو جرم ، فكانت السلطات تلاحقهم في دورهم ومناطق وجودهم ، لذلك التجأ بعض الثائرين من المورسكيين إلى رءوس الجبال للإنطلاق منها وتوجيه ضرباتهم إلى الأسبان بغض النظر عن المصير الذي ينتظرهم [1].

وفي عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م مُنع موريسكيو مدينة بلنسية من الإقتراب من سواحل البحر .

وفي عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م طرد من مدينة (بلنسية) جميع الغرناطيين الذين كانوا يترددون عليها [2]، كما استغل المسيحيون هذه الفوضى لشن هجوم

---

١ – محمد حتامله : التهجير القسري ، ص ١١١.

٢ – محمد قشتليو : محنة الموريسكوس في أسبانيا ، مطبعة الشويخ (ديبرس) تطوان المغرب ، ص ٥٩ .

على الموريسكيين أنفسهم ، كما تم دمج بارجوزا [1] في التاج الأسباني عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م [2]، واقترح برلمان مدريد على الملك في عام ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م توزيع جميع الموريسكيين على المقاطعات ، وتجريدهم من كل مايؤدي إلى رفاهيتهم أو يجعلهم أصحاب ثروة ، وألا يُسمح لهم بمغادرة البلد الذي يسكنونه ، وكل من يخالف هذا منهم فعقوبته الموت ، كما اقترح هذا البرلمان ألا يعمل الموريسكيون في وظائف حكومية ، وعليهم ألا يعملوا إلا في الأعمال الصعبة مثل الخدمات الحربية .

وفي عام ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م تم نزع السلاح من موريسكيي أراغون ، كما شرعت السلطات الأسبانية في تطبيق القوانين الصارمة عليهم في محاولة لإجبارهم على التَنَصُر .

لذلك أخذ الأسبان في شن حملات التبشير ، وسلكوا طرقاً عدة لتحقيق غاياتهم وكان كل واحد من المبشرين له طريقة خاصة في التبشير [3] .

وبعد أن وضعت الحكومة الأسبانية الخطوط العريضة لنفي المورسكيين لم يصبح أمامها إلا القيام بتنفيذ مرسوم النفي الذي كان أكثر شمولية وصراحة ، وقد قررت السلطات الأسبانية البدء بتنفيذ مرسوم الطرد في بلنسيه لوجود أعداد

---

١ – بارجوزا : إحدى مدن البرتغال أنظر :

Philips Modern School Atlas P,38

2- J. Hellioh : Imperial Spain 1469 - 1716 - Edward Arnol , London 1981 . P 141 .

٣ – محمد قشتيليو : محنة المريسكوس ، ص ٥٩ .

كبيرة من المورسكيين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لخوفهم من أن يجمع هؤلاء الموريسكيون قواهم ضد السلطات الأسبانية ، فيما لو اختارت الحكومة الأسبانية مجموعات موريسكية أخرى وطردتهم قبلهم ، وقد تولى عملية الطرد النهائي للمورسكيين من بلنسية رئيس أساقفة بلنسية خوان دي ربيدة الذي أُطلق عليه «مضطهد المواركه » وقد بعث دوق ليرميا[١] مسئولاً هو دون أوغسطين دي ميشيا Don Augastin De Mexia إلى مدينة بلنسية للوقوف على الخطوات التنفيذية لنفي الموريسكيين من هذه المدينة [٢].

وفي شهر جمادى الثاني سنة ١٠١٨هـ الموافق أيلول من سنة ١٦٠٩م [٣]، وصلت إلى ميناء بلنسية إثنان وستون قادساً وأربعة عشر غليوناً تحمل حوالي ثمانية آلاف جندي لتنفيذ مرسوم طرد المورسكيين ، ثم نودي على جميع المورسكيين بالبقاء في منازلهم لمدة ثلاثة أيام حتى تصدر الأوامر الأخرى ، وكل من يخالف ذلك فسيقتل على الفور ، وفي الوقت نفسه أخذت السلطات البلدية تجري مشاوراتها من أجل إعادة النظر في قرار الطرد والسماح بإستثناءات لوقف الخراب الذي سيلحق بالمملكة من جراء طرد المورسكيين ، وبالفعل بدأت غالبية الأرغوانيين بإعادة النظر نحو بقاء المورسيكيين خاصة وأن الأندلسيين كانوا عاملاً أساسياً في رخاء الكنيسة ورفاهية

---

١ - ليرميا : أحدى مدن أسبانيا وحاكمها في هذا الوقت هو الدوق فرنسكودي ساندوقال .

Fernand Braudel : The Maditeranean .. P 515 .

٢ - عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

٣ - عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

- Jhonlynch : Spain Yunder the Habsburgs . Basil Blackweel . Ox - Ford . P 48 .

- المجلة التاريخية المغربية ، العددان ٢٣ ، ٢٤ - (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / نوفمبر ١٩٨١م ، بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين ، ص ٢٠ .

- أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ص ٣٥٣ .

السكان الذين كانوا يقدمون لهم الأرز والسكر والدقيق والمواد الغذائية الأخرى ، وبعد مشاورات طويلة تقرر السماح لستة بالمائة فقط من الموريسكيين بالبقاء في أماكنهم وطرد الباقين ، غير أن هذا الاستثناء لم يشمل إلا المورسكيين الذين لم يمارسوا أي عادات عربية أو إسلامية خلال السنتين الماضيتين ، كما سمح لجميع الأطفال الذين لم تتجاوز أعمارهم الرابعة بالبقاء ، أما الأطفال الذين بلغوا السادسة فلم يسمح بالبقاء لأحد منهم إلا من كان آباؤهم نصارى كما سمح لأمهاتهم بالبقاء معهم ولو كُنَّ مورسكيات ، أما إذا كان آباء هؤلاء الأطفال موريسكيين فعليهم مغادرة البلاد بأطفالهم ، إلا إذا كانت الزوجة نصرانية قديمة فإنها تبقى مع أطفالها ، ويغادر الأب المورسيكي البلاد فوراً ، وكل من يخالف هذه المراسيم تكون عقوبته العمل في القواديس لمدة ست سنوات [١] .

ونتيجة لذلك كله حدثت مذابح رهيبة راح ضحيتها عدد كبير من الموريسكيين في مناطق أخرى من قشتالة .

وقد كلف فيليب الثاني اسبينور المفتش العام بأن يبطش بالموريسكيين ، وأن يعاقب كل من يشك في أمره منهم ، فأصدر اسبينور أوامره إلى محاكم التفتيش بالتحقيق في أية شبهة أو وشاية تحوم حول المورسكيين ، كما أصدر المفتش العام أسبينور توجيهات تتعلق بالمورسكيين منها الإكتفاء بشاهد واحد لإثبات أية تهمة ضدهم ، ومن ثم معاقبتهم بالعمل في السفن لمدة ثلاث سنوات ، بينما لايكفي شاهد واحد لاثبات أية تهمة على أي نصراني ، وإذا لم يعترف المورسكي بأي جرم نسب إليه فإن أقل عقوبة توقع عليه هي الجلد أو دفع

١ - عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ١٨٥ .

الغرامات المالية الكبيرة [1].

وبعد ، فلقد أثبت الموريسكيون المسلمون أمام التاريخ أنهم كانوا أمة صامدة صابرة تمسكت بدينها برغم الاضطهاد والكوارث والمصائب وحرب الإبادة التي لوحقوا بها في فترة طويلة بلغت حوالي أكثر من قرن من الزمان ، ولقد فشلت جميع المحاولات في هذه الفترة لتنصيرهم على الرغم من الوعيد والتعذيب بالحرق والقتل .

وعلى الرغم من ذلك فإن مرسوم الطرد لم يُنفذ إلا في عام ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م أي بعد سبع سنوات من صدوره ، إذ تمكن بعض المورسكيين من الهرب إلى الجبال والإحتماء بالأسر الكبيرة ، كما خرج بعضهم إلى شتى بقاع الأرض ، وباعوا ماتركوه بأثمان زهيدة ، ثم تعرضوا بعد ذلك للسلب والنهب في الطريق .

وبذلك أسدل الستار بشكل نهائي على مأساة المسلمين المورسكيين في الأندلس ، وانتهى بهم المطاف إلى تلك النهاية القاسية والمريرة التي دفعهم إليها أعداء خلت ساحاتهم من مباديء الشرف والمروءة [2]، وماتت في ضمائرهم ونفوسهم الأخلاق الإنسانية .

---

١ – عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

٢ – أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، ص ص ٣٥٣ ، ٣٥٤

ب - الإحتلال الأسباني الصليبي لتونس ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م :

أراد الأسبان أن يغتنموا فرصة الخوف الذي أحدثته معركة ليبانتو في صفوف المسلمين ، وذلك من أجل تنفيذ مخططاتهم الصليبية الاستعمارية منذ عهد شارلكان ، لذلك رأوا البدء بغزو مدينة تونس وطرد العثمانيين منها لأنها كانت الهدف المفضل لصقلية ، ومن ثم هجومهم على مدينة الجزائر [١] التي تعتبر قاعدة أمامية لها أهمية عظيمة عند المسلمين ، وتمثل مركز إمدادات للرجال والسفن والأسلحة ومنطلقاً لتحرك السفن [٢]، ومما شجع فيليب الثاني على الهجوم على تونس هو لجوء السلطان أبي العباس الحفصي إليه وطلبه المساعدة ، إلا أن شروط الأسبان كانت مجحفة ، فقد طالبوا باقتسام تونس بينهم وبين الحفصيين ، وإعطائهم إمتيازات كبيرة تبيح لهم السكن في أي مكان بتونس والتنازل عن عنابة وبنزرت وحلق الوادي مما جعل أبا العباس الحفصي يرفض هذه الشروط ويؤثر الإنسحاب ، لكن أخوه محمد بن الحسن قبل هذه الشروط ذات الأطماع العظيمة والأخطار الجسيمة [٣].

---

١ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٩ .

- محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، تعريب محمد الشاوش ، محمد عجينة طبع بمطبعة « دار سرانس » للنشر تونس مارس ، ١٩٨٠ م ، ص ٦٦ .

- عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٩٢٧ .

Fernand Braudel : The mediterranean . P .1117 - 1129

٢ - Fernand Braudel : I bid . P .1117

٣ - محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث ، ص ٥٠ .

- أحمد توفيق مدني : المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

- نبيل رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٥٦ .

- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير ، ص ١٠٧ .

كما بنى فيليب الثاني على قلعة حلق الوادي آمالاً عريضة حيث كان يأمل نشر الديانة المسيحية في المغرب [١].

أما دون جوان فقد كانت لديه خطط تامة شاملة ، فقد كان يحلم بتأسيس مملكة خاصة به ، وأكثر الذي أغراه هو اللعب مثل كل الأمراء الشبان الذين يحلمون بالتيجان ، وجاءته هذه الفرصة من خلال تونس خاصة وأنها كانت لاتقل جمالاً وثروة عن أي مدينة في بلاد الفرنجة ، كما كان ممثلي مدينة روما يؤيدون خططه تأييداً مطلقاً ، كما وقف بجانبه البابا بيوس الخامس ومن بعده غريغوريوس وقدم له كل منهما مساعداته ، ووعده كل منهما بعرش تونس ، وشجعاه بكافة الطرق للقيام بحملة عسكرية في شمال أفريقيا وكان من آرائهما أن تونس إذا أحتلت فمن الأفضل أن توضع في أيد مسيحية لا أن تمنح لملك مغربي [٢].

وفي ربيع عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م وَقَّع فيليب الثاني أمْراً بالحملة على تونس لكنه عاد وألغاه ، وفي صفر ٩٨١هـ/ يونيو ١٥٧٣م عاد وصادق على الحملة بشرط أن يتم تحطيم القواعد العثمانية ثم الجلاء عن تونس فوراً [٣].

وقد قرر دون جوان قائد الحملة على تونس استغلال هذه الفرصة لتحقيق

---

١ - المجلة التاريخية المغربية - العددان ١٠ ، ١١ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٧٨م ، بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : الخلفية الدينية للصراع الأسباني العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر ص ١٥ .

2- Fernand Braudel : The mediterranean . P .1131 -

٣ - نيقولا ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ - ١٥٧٤م ، ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

مآربه [١]، ولكن كان عليه أن يعمل بما يشبه المعجزة لجمع كل مايلزم لإعداد الحملة وأن يحصل عليها عملياً دون أموال ، وقد زودت أسبانيا هذه الحملة بالاعتمادات الأساسية وبأقساط بسيطة ، وذلك لأنها كانت تمر بوضع مالي دقيق في هذا الوقت يشبه الإفلاس [٢].

وفي بداية سبتمبر من هذا العام غادر دون جوان مسينا Messina إلى بالرم Palerme [٣]، فوصلها يوم السبت ، ونزل خلفه دوق سيساوماركيز سانتاكروز ، وأرسل جوان دي كاردونا إلى ترباني

---

١ - محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، ص ٦٦ .
- جلال يحيى : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٨ .
- عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٠٩ .
- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصر الحديث ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب ، ص ٨١
- نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني ، ص ٢٤٦ .

٢ - Fernand Braudel : The mediterr an ean . P .1132
المجلة التاريخية المغربية - العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) /١٩٨٣ : بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ١٠١ .

٣ - مسينا : مدينة بصقلية في الطرف الشمالي الشرقي منها وهي ثغر حربي تجاري Messina تقع على المضيق المنسوب إليها .
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ١ ، ص ٣٩٥ .
بالرم : Palerme قصبة ولاية بجزيرة صقلية واقعة في الجانب الشمالي منها .
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ١ ، ص ٣٩٧ .

Trapani [١]، ومما قَوَّى من عزيمة دون جوان التقرير الذي وصله والذي بين أنَّ أسطول العثمانيين قد شوهد يبتعد عن رأس سانتا مورا Santa Moura [٢]، في طريق عودته إلى المشرق ، وفي هذه الأثناء وصل دون جوان إلى تراباني قادماً من بالرمو ، وفي هذا الوقت تراجع الأسطول العثماني متجهاً صوب الغرب وعاد يشكل خطراً على قوات جوان مما جعلهم يقومون بالترتيبات للدفاع عن مملكة نابلي [٣].

وفي رجب سنة ٩٨١هـ/ السابع من شهر أكتوبر سنة ١٥٧٣م [٤]-

---

١ - ترباني Trapani: ميناء يقع غرب جزيرة صقلية .

أنظر : حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، خريطة رقم ١٣٦ ، ص ٢٨٠ .

٢ - سانتا مورا : (Santa Moura) جزيرة في البحر الأيوني .

Fernand Braudel : The Mediterranean P . 149 .

٣ - نابلي : مدينة في جنوب غرب إيطاليا .

محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٤ .

Fernand Braudel : The Mediterranean , P 1132 .

٤ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٩ .

- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص٤٥٧ .
- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠(جمعت أبحاثهما في مجلد واحد)، ١٩٨٣م ، بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ١٠٣ .
- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث « ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب » ص ٨٧ .
- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصر الحديث « ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب » ص ٨١ .
- شارل اندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية « تونس - الجزائر - المغرب الأقصى » ، ص ٣٤٨ .
- عبد العزيز محمد الشناوي : الدول العثمانية دول اسلامية مفترى عليها ، ص ٩٢٧ .
- نيقولا ايفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية - ص ٢٤٦ .

Fernand Braudel : The mediterr an ean . P .1132

الذكرى السنوية الثانية لمعركة ليبانتو خرج دون جوان من جزيرة صقلية بأسطول مؤلف من مائة وثمان وثلاثين سفينة ، منها مائة وسبع من السفن الحربية ، وواحد وثلاثون سفينة من السفن الناقلة بالإضافة إلى عدد من سفن الغاليون التي تخص دوق توسكانيا ، وعدد من السفن ذات ثلاث صواري متنوعة تحمل المؤن ، وبوارج ومراكب صغيرة كانت مملوكة لأفراد أندلسين وكانت سفن هذا الأسطول تحمل ثلاثة عشر ألف إيطالي ، وتسعة الاف أسباني ، وخمسة آلاف ألماني [١].

وقد وصلت السفن الأسبانية ترفع على أشرعتها علامة الصليب بقيادة القائد الأسباني يوحنا النمساوي تجاه قلعة حلق الواد التي كانت تحتلها أسبانيا[٢] ، وعند ذلك أخلى حيدر باشا مدينة تونس وانسحب بالحامية العثمانية التي كانت في تونس ، واتخذ لها مواقع على الطريق الذي يصل إلى عمق البلاد ، ثم خرج عشرات الألوف من السكان تاركين منازلهم ومناطق سكنهم ، وفي طريق هجرتهم أصابهم الجوع والعطش ، وتشتت شملهم ، ووقع عليهم كثير من المحن والمصائب التي تقشعر لها الأبدان .

وفي رجب ٩٨١هـ / ١١ أكتوبر ١٥٧٣م دخل الأسبان مدينة تونس

---

1 - Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1132

– أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٣٩٩ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ص ٤٥٧ .

– المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن ١٦ م ص١٠٣ .

٢ – أحمد توفيق مدني : المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

فوجدوها خاوية على عروشها فاحتلوها دون صعوبة أو مقاومة[1].

وكان الجنود الأسبان تؤرقهم أساطير الكنوز القديمة التي يُقال أنه أخفاها المغاربة لذلك انطلقوا في شوارع المدينة وظلوا أياماً عديدة يفتشون المنازل ويدقون الجدران وينقبونها ويحفرون في الساحات وأراضي المنازل ويقومون بتقشير جوانب الأسوار وعضادات الأبواب والنوافذ بحيث أنه لم يبق منزل واحد سليماً في المدينة ، وعندما لم يجدوا شيئاً صبوا نقمتهم على خوابي الزيت فقاموا بتحطيمها حتى بلغ عدد الخوابي المحطمة منها حوالي مائة خابية في كل مزرعة ، كما قاموا بتلويث الأثاث ومعالم الزينة والزخرفة الداخلية ، ونهبوا من المنازل منهوبات عظيمة ثم قاموا بعرضها للبيع عند بوابة البهار بأبخس الأثمان ، أما أعمدة الرخام التي تزين المنازل والمساجد فقد قاموا بانتزاعها حتى أن دون جوان النمساوي لم يتمالك نفسه أمام مشهد أحد أعمدة المسجد الكبير فأمر

١- نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٦ .

- Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1132

- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٤٠٠ .

- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين ، ص ٤ .

- الصدفي : تاريخ دول الإسلام ، ص ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

- شارل اندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية « تونس - الجزائر - المغرب الأقصى » ، ص ٣٤٨ .

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٣ .

بانتزاعه وإرساله إلى إيطاليا [١]، مقر البابوية لتفخر المسيحية به كرمز لانتصارها على تونس ، ثم جاءت الأوامر الملكية من مدريد بهدم مدينة تونس ، وعودة الحملة إلى أسبانيا لكن دون جوان لم يتلقّ هذه الأوامر إلا قبيل رجوعه ، فلما اجتمع في قصر القصبة وتشاور مع قادته ، أيد الجنرالات الأسبان والإيطاليون بأكثرية الأصوات الاحتلال الدائم لتونس والاحتفاظ بها باسم الملك الأسباني [٢]، كما كتب دون جوان إلى الملك فيليب الثاني رسالة قال فيها : إنه « يجب المحافظة على تونس باسمكم وعدم إرجاعها إلى الملك الحفصي السابق أو أبنائه وذلك لقلة الثقة التي يمكننا أن نمنحهم إياها جميعاً » [٣].

وبعد أن رتب دون جوان الأمر في تونس ترك حامية مكونة من ثمانية آلاف رجل ، منهم أربعة آلاف رجل من الإيطاليين والباقون أسبانيون تحت إمرة ضابط يدعى « جابر يوسير بلوني » ثم غادر دون جوان تونس في شعبان سنة ٩٨١هـ/ ٢٤ من نوفمبر سنة ١٥٧٣م ، كما عين محمد الحفصي أخا أحمد

١- نيقولا إيقانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٢ - نيقولا إيقانوف : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ،

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٣ .

- Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1132 .

٣ - المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٣ .

الحفصي أميراً على البلاد [١] في ظل الاحتلال الأسباني مدعياً أنه تلقى أمر فيليب الثاني عندما كان في طريق العودة ، ومع ذلك استولى في طريق عودته على سبارتيفا نتو وبنزرت ثم واصل سفره إلى نابلي تجلله أقواس النصر ، وبذلك لم يكن أمام فيليب الثاني إلا الموافقة على بقاء قواته في تونس ذلك لأن دون جوان وقواته وَضَعُوه أمام الأمر الواقع ، غير أنه أصدر موافقه على بقاء هذه القوات في تونس سنة واحدة فقط بشرط أن تُؤَمِّن البلاد المحتلة المأكل والمشرب للجيش المحتل ، كما رفض الملك فيليب الثاني رفضاً تاماً تتويج دون جوان ملكاً على تونس ، واكتفى بتعيينه نائباً عنه في ميلانو مما جعل دون جوان يشعر بالنقمة والحقد على فيليب الثاني لأنه حال دون تحقيق أحلامه [٢] . وكان وضع الكونت سيربيلوني الذي خلف دون جوان في تونس بالغ الصعوبة في البداية وذلك لأنه كان عليه أن يوفر تموين جيش الاحتلال ويضمن ولاء السكان المحليين إضافة إلى أن التونسيين ظلوا موالين للعثمانيين ، فبدا له أن الاحتفاظ بتونس مهمة صعبة لكن الكونت سيربيلوني واجهها بطريقة عسكرية .

---

١ - محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ٥٠ .

- Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1132

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٣ .

٢- نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٧ .

- Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1134

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٤ .

أما الرسول البابوي الذي جاء إلى تونس فإنه رأى أنه من الضروري الحصول على رضا السكان المحليين ، وتنظيم أمور إدارتهم بدقة متناهية لتحقيق إحترام سلطة ملك إسبانيا ، غير أنه كان من الصعب تحقيق ذلك في ظل هذا الواقع العسكري الأليم ، كما أنه لم تكن للكونت سيربيلوني قاعدة شعبية يمكنه أن يستند إليها في تونس ، وقد سبق أن رفض دون جوان النمساوي في المجلس العسكري المنعقد في رجب ٩٨١هـ/ الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٥٧٣م خدمات مولاي حميدة الذي طلب المساعدة من الأسبان ، وذلك لأن مولاي حميدة من وجهة نظرهم تمادى كثيراً في طلباته ، فاعتبر دون جوان أن مطالبة مولاي حميده بعرش تونس [1]ولو تمت السيادة الأسبانية تتعارض مع مخططاته الشخصية .

ففي صفر ٩٨١هـ/ ٢٦ من يونيو سنة ١٥٧٣م أي قبل بدء الحملة بأكثر من ثلاثة أشهر كتب دون جوان إلى فيليب الثاني يقول : « إنه لابد من الإستيلاء على مدينة تونس بشرط عدم تسليمها إلى الملك مولاي حميدة » ، ثم لم يلبث دون جوان أن أمر بنفي مولاي حميدة إلى باليرمو ، فتسلم عرش الحفصيين في تونس مولاي محمد الذي كان صديقاً قديماً للأسبان والحاكم الأسباني السابق لحلق الواد ، ولم تكن له مطامع تثير قلق دون جوان [2]ووفقاً لسياسة غابريوسيربيلوني كان على مولاي محمد كسب ثقة المسلمين وإبعادهم قدر الإمكان عن العثمانيين وإبراز مساويء الحكم العثماني وميزات الحكم الأسباني ، فبعد مغادرة دون جوان النمساوي مباشرة سُمح للأهالي بالعودة إلى

١- نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٨ .

٢- نيقولا إيفانوف : المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

مدينة تونس ، ويذكر مؤرخ إيطالي من القرن السادس عشر يدعى دوفّينو : أن الأسبان « أحسنوا معاملة الناس ، ورجع كل من رغب بالعودة إلى المدينة حيث أسكن الناس في المنازل المجاورة للمسجد الكبير ، لأن ثلث المدينة خصص لهم كحي سكني يقيمون فيه ، وبعد بناء الباستيون بوشر بإعادة باقي المنازل ، وتوقفت أعمال السلب والنهب »، وأكد دوفينو أيضاً « أن غابر يوسيربيلوني كان يرغب في أن يعيش المسيحيون والمغاربة في وئام وصداقة وثيقة ، ولتجنب المشاحنات والصدامات مُنع الجنود من دخول الأحياء الإسلامية فرادى أو من دون حاجة ، ومنعوا كذلك من ابتزاز اللاجئين والتجار وأمر ممثلوا السلطة بمعاملة المسلمين بكل تهذيب » (١) .

والجدير بالذكر أن العثمانيين كان لهم أنصار في كل مكان ، وكان حضورهم السياسي في جميع المناطق المحتلة واضحاً ، فقد كانت مخافر حيدر باشا لاتبعد كثيراً عن مدينة تونس ، لذلك كانوا كثيراً مايشنون الغارات على الأسبان ، يؤكد ذلك بارتولوميود فينو بقوله : « من هنا كانت تتم الغزوات المتواصلة والملحاحة (٢) من جانب العثمانيين الذين كانوا يقتربون من مدينة تونس كل يوم ليزرعوا الفتنة بين المسيحين والمغاربة » (٣)، وهذا القول بلا ريب نابع من وجهة النظر الأسبانية والمسيحية ، لكن الحقائق التاريخية لاتؤيد هذا القول ، فقد كانت الخطة العثمانية هي حماية شمال أفريقية الإسلامي من الغزوات الصليبية ، وترسيخ دعائم القوى العثمانية البرية والبحرية في غرب البحر المتوسط ، ولم تكن على الإطلاق مجرد بث فتنة بين المسلمين والمسيحيين .

١- نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٤٩ .

٢ - الملحاحة : أي المتواصلة .

٣ - نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٥٠ .

وفي ٩٨٢هـ/ ١٨ من فبراير سنة ١٥٧٤م شن مولاي محمد الموالي للأسبان هجوماً على القاعدة العثمانية في نابيل Nabeul [(١)]، وكان عدد المهاجمين المغاربة ثمانية آلاف مغربي من الخيالة والمشاة، شاركهم ثلاثمائة جندي أسباني، منهم مائة وخمسون خيالاً والباقي من المشاة، أما العثمانيون فقد بلغ عددهم مايقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل منهم ألفا تونسي.

وقد دارت المعركة بين الفريقين قرب حمامات [(٢)]، هزم على إثرها مولاي محمد وجيشه، فزادت حدة التوتر في مدينة تونس، وزادت الإعتقالات ثم انفجرت الأوضاع وذلك بسبب وقوع حادثة في أحد طرقات المدينة أدَّت إلى إنتفاضة الشعب التونسي وأطلق على هذه الإنتفاضة «تمرد الكيس» كما سجلت في التاريخ التونسي باسم «شرا - شرا»، وتتلخص هذه الحادثة في أن دورية أسبانية تصدت لأحد التونسيين في ساحة البزة وطالبته بفتح الكيس الذي يحمله لارتيابهم في وجود ذخيرة بداخله، فرفض التونسي، فأمسك أحد الضباط الأسبانيين بالكيس وجذبه، فتوسعت دائرة العراك، وتدخل الموجودون بالقرب من هذا المكان سواء من المسلمين أو من الفرنجة، وتحول العراك إلى مجزرة رهيبة وروى أحد المؤرخين الإيطاليين أنه اشترك في هذه المعركة قرابة ثلاثين ألفاً من المسلمين حيث انقضوا على الأسبانيين بالحجارة والبطمان * وبعض الأسلحة النارية، مما جعل غابريو سيربيلوني يتدخل بقواته

١ - نابيل : مدينة صغيرة على ساحل البحر المتوسط قرب قناة حلق الوادي، وتعرفها بعض الكتب باسم نابولي رادسي ويسميها المغاربة نابيل.

أنظر : الحسن بن محمد الوزان : وصف أفريقيا جـ ٢ ص ٨٢.

٢ - تقع على بعد ٦٥ كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة تونس. أنظر :

نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية، ص ٢٥٠.

* - البطمان : ثقل حديدي وزنه أقتان. أنظر محمد علي الآنسي : قاموس اللغة التركية.

طبع بيروت ١٣١٨هـ، ص ١١٥.

لحسم هذه المعركة ، وقد قتل في هذه الانتفاضة من الأسبان مابين ثمانمائة وألف شخص [١]، أما المسلمون فانهم تعرضوا لمذابح رهيبة راح ضحيتها كل من لم تسعفه قدماه بالفرار من الشيوخ والنساء والأطفال والجرحى والمرضى .

وهكذا ظل هذا الحكم الشاذ من وجهة نظر المسلمين مدة تتراوح بين عشرة شهور وعام ، وكان هذا الحكم مؤلفاً من الأسبان أصحاب النفوذ ومن عملائهم التونسيين الحفصيين أي أنه كان حكماً أسبانياً حفصياً مشتركاً [٢] .

جـ - **إستعادة الدولة العثمانية لتونس** ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م :

لما تفاقم الوضع بين العثمانيين والأسبان ، وزاد الإختلاف ، والتجأ بعض ملوك تونس وولاتها إلى الأسبان ليساعدوهم بجيوشهم على أعدائهم في الداخل أو ليستعينوا بهم على تحقيق مطامعهم في التوسع أو ترسيخ أقدامهم في الحكم ، وصار الأسبان يقتلون ويسبون النساء والذراري في تونس وأصبح المسلمون في تونس يرزحون تحت الحكم النصراني ، وازداد النصارى الأسبان في تشديدهم على تونس بأن بنوا قلعة بالقرب من تونس في موضع يقال له حلق الوادي ، وشحنوها بآلات الحرب ، واتخذوا منها مقراً لقطع الطريق على

---

١ - نيقولا إيقانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص ٢٥١ .

٢ - محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، ص ٦٦ .

- جلال يحى : تاريخ المغرب الكبير ، ص ٢٨ .

- عبد العزيز نوار : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٠٩ .

- رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصر الحديث ، ص ٨١ .

المسلمين ، مما أثار غضب السلطان العثماني سليم الثاني [١] الذي أدرك أن سكوته على الهزيمة في تونس قد يفقده صداقة ملك فرنسا ، وقد يدفعه هذا الموقف إلى تغيير سياسته والتفكير في وسائل أخرى للاستيلاء على الجزائر ، وبالتالي يصعب على الدولة العثمانية الاحتفاظ بها أو الدفاع عنها لوقوعها بين سلطتين متناهضتين في كل من تونس ومراكش [٢].

وعلى ضوء ذلك قام الباب العالي بإرسال العديد من الفرمانات إلى الحكام العثمانيين في مدن البحر الأبيض المتوسط مبلغاً إياهم بقرار الحملة الرسمية العثمانية المزمع إرسالها إلى تونس ، وطالبهم بتقديم جميع أنواع المساعدة مهما كان نوعها ، كما أحاط السلطان سليم الثاني حيدر باشا والي الجزائر علماً بهذا القرار بكتابه الذي جاء فيه : « لقد جهزنا لفتح حلق الوادي اللعينة التي سببت الإحتكاك والفساد في الولاية والتابعة حالياً لأسبانيا ، جهزنا لتسخيرها ثلاثمائة من المراكب ، شبيهة بالكواكب ، وعدداً وافراً من مماليك بابي [٣]. وغيرهم من الزعماء ، وأرباب التجار ، وعدداً وافراً من الجنود ،

---

١ – أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري : نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان .

(مخطوط محفوظ بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم D ٥٢٧ ويوجد نسخة مصورة في مكتبة مركز البحث العلمي – ق ١٤١ . علماً بأن هذه المخطوطة حققها د / يوسف الثقفي وطبعت ١٤١٥هـ وفيها أخبار حلق الوادي في ص ص ١٦٨ ، ١٧٠ .

– ابراهيم حليم : التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ١٠١ .

– اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عند دول البحار ، ص ٥٦٢ .

– أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ، ص ٤٠٠ .

٢ – مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١١١ .

– أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري مخطوط نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان ، ق ١٤١ .

٣ – أي باب السلطان العالي .

وسيتوجهون في أوائل محرم من السنة المقبلة . وحالما يصلكم أسطولي المنصور تكونون ورمضان باشا الذي هو أمير أمراء جزائر الغرب ومصطفى باشا أمير أمراء طرابلس وأحمد عرب باشا أمير أمراء جزائر الغرب سابقاً وأنت على قلب وإتجاه واحد ، فترجعون وتنظرون أيُّهما أنسب محاصرة حلق الوادي أو حصاراً البستيون ؟ [١] ، كما أمر السلطان سليم الثاني قلج علي باشا بالتحول على رأس أسطوله إلى تونس كذلك أمر سنان باشا كقائد عام للقوات البحرية بأن يُنزل قواته في رأس قرطاج [٢] ، كما طلب من أحمد عرب أن يلحق بهذه القوات وأن يعزز قواته بقوات أخرى من عنابة وقسنطينة وطرابلس [٣] .

وبعد أن اكتمل الاستعداد الحربي أقلع الأسطول العثماني من القسطنطينية وكان مؤلفاً من ثلاثمائة سفينة حربية تقريباً كالأغربة والغلايين والشواني والمواعين المشحونة بالرجال والآلات وغير ذلك من السفن الحربية والناقلة ، وقد اتيح للسلطان العثماني ولأول مرة الظهور في الحياة المغربية بهذه الاستعدادات الضخمة والتخطيط المنسق ، بعكس أسبانيا

---

١ - البستيون : قلعة بناها الأسبان بجانب مدينة تونس : أنظر أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة عام ، ص ٤٠١ . المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٥ .

٢ - رأس قرطاج : موقعة في تونس على ساحل البحر : أنظر مارمول كربخال : أفريقيا - جـ ٢ - ، ص ١٧ .

٣ - المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٥ .

- مبارك الميلي : تاريخ الجزائر ، ص ١١١

التي كانت تعاني من ضعف إقتصادي كبير ، وعلى الرغم من ذلك فإنها قامت برد فعل سريع للمحافظة على تونس تحت سيطرتها إلا أنها فوجئت بضخامة التجهيزات العثمانية الحربية ، لذلك لم تجرؤ على القيام بأي نشاط حربي هام أو حاسم [١].

وقد كان يقود الأسطول العثماني ناظر البحرية العثمانية المشير البحري قلج علي باشا كما كان الوزير سنان باشا قائداً عاماً للقوات البرية العثمانية ويساعده أربعة فرقاء أوائل بحريين وهم مصطفى باشا والي طرابلس ، وحيدر باشا والي تونس ، ورمضان باشا والي الجزائر ، وأحمد باشا والي قبرص [٢]، والذي كان قد ولي الجزائر قبل ذلك .

وقد تلقى حاكم تونس الأسباني سيربيلوني معلومات تؤكد احتشاد وتجمع القوات العثمانية على مشارف تونس إذ وصل من ليبيا قرابة أربعة آلاف مقاتل ، ومن جربة والقيروان ستة آلاف مقاتل ، ومن فصائل قسنطينية وبسكره وعنابة ألفا مقاتل ، ومن الجزائر ثلاثة آلاف مقاتل وصلوا عن طريق البحر ، كما وصلت فصائل مسلحة من تلمسان وفاس عاصمة مراكش الشمالية والتي لم تكن تابعة للدولة العثمانية ، وكان في مقدمة هؤلاء المجاهدين المراكشيين الأمير

---

١ - أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية - جـ ٥ - ، ص ١٨٩ .

- القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٥٥ .

- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٦٢ .

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) / ١٩٨٣ م .

بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص١٠٥ .

٢ - يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨٠ .

عبد الملك شقيق السلطان السعدي مولاي محمد وولي عهده[١] .

إضافة إلى فيلق عثماني مكون من أربعين ألف رجل ، منهم سبعة آلاف من الإنكشارية ، وسبعة آلاف من الفرسان (الأسباهية) ، وعشرة آلاف (باش بزق) سوري ، إضافةً إلى عدد كبير من المتطوعين ، وجميعهم تحت قيادة سنان باشا ، وفي الوقت نفسه كان حيدر باشا يتابع هجومه في تونس ، وكان الأسبان قد أخلوا بنزرت ، واسترد العثمانيون بورتو- فارينو وقرطاجة ، وأخذوا في التقدم نحو مدينة تونس ، وقد حاول مولاي محمد التصدي للعثمانيين ، واستطاع أن يجمع قوةً قدِّرت بثلاثين ألف رجل مؤلفة من البدو وفصائل سكان المدن المسلحة ، ثم اشتبك بها مع القوات العثمانية واستمرت المعركة طول النهار ، وقبل المساء ترك البدو المشاركون في القتال المعسكر بسرعة مدهشة وتفرقت بعدهم الفصائل المسلحة مما أثار الريبة حول تواطيء ما لصالح العثمانيين ، وبذلك سارت الأمور ميدانياً لصالح العثمانيين كما ذكر دوفينو حين قال : « في الطريق لم ينتبه البدو إلى أنهم يسيرون مع العثمانين جنباً إلى جنب كما لو كانوا أصدقاء في وقت مضى »[٢] .

أصبحت أوضاع الأسبان سيئة للغاية في الوقت الذي حقق فيه العثمانيون تقدماً حربياً ملموساً إذ دخلو تونس ، وأجبروا الأسبان على إخلاء جميع الأحياء الإسلامية تماماً .

ولما وصل سنان باشا إلى ضواحي تونس وجد القوات القادمة من القيروان وطرابلس والجزائر في انتظاره فولى أحمد عرب قيادة الهجوم على

---

١ - نيقولا ايفانوف : الفتح العثماني للاقطار العربية ص ٢٥١ .

٢ - نيقولا ايفانوف : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

حلق الواد بينما تولى سنان باشا تنظيم الحصار على تونس بنفسه [١].

وقد شدد العثمانيون الحصار علي حلق الواد وبنوا عليها المتاريس من جميع الجهات ، ونصبوا المدافع فدارت معركة رهيبة استشهد فيها عدد كبير من المسلمين وتم فتح القلعة المذكورة عنوه في السادس من جمادي الأولى سنة ٩٨٢هـ / ٢٥/ ٨/ ١٥٧٤م بعد حصار دام فترة طويلة ، وقد رأى سنان باشا وقادته ضرورة إزالة هذه القلعة حتى لايبقى للأسبان أثر يذكر بعد اليوم وحتى لايتخذوها قاعدة لهم عند قيامهم بهجمات أخرى على تونس فزرعت فيها الألغام ودُمرت تدميراً شاملاً [٢]، ثم تحولت القوات العثمانية لتعزيز قوات سنان

---

١ - مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١١١ .
- أحمد أبي الضياف إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ص ٢٣
- القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٥٥ .

٢ - أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري : نصرة أهل الإيمان بدولة ال عثمان ، مخطوط محفوظ بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم ٥٢٧ D ، ويوجد نسخة مصورة في مكتبة مركز البحث العلمي ، بكلية الشريعة بجامعة أم القرى ، ق ١٤٢ .
- الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدولة السعدية - جـ ٢ - ، ص ٦٠ .
- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ، ص ٥١ .
- Fernand Braudel : The mediterr anean . P .1137
- رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصر الحديث ، ص ٨١ .
- شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، ص ١٥٦ .
- الطاهر أحمد الزاوي : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، ص ١٦٠ .
- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
- إتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ ، ص ١٩٨ .
- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير « ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب » ص ١٠٨ .
- محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، ص ٦٦ .
- شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية « تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م » ، ص ٣٤٩ .
- محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، ص ١٣٢ .
- عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسية العثمانية ، ص ص ٢٨ ، ٢٩ .
- A . J . Grant : Ahistory of ~Europe . P 224 .

باشا في تونس ، فنظموا أربع هجمات تمكنوا في آخرها من القضاء على آخر مقاومة للأسبان في تونس وحلق الواد ، ففر منها الأسبان ، ومعهم محمد بن الحسن الحفصي إلى البستيون ، أما العسكر العثماني فقد بادر إلى حصار قلعة البستيون ، وأخذوا في تضييق الحصار على من فيها من الأسبان وعملائهم وأمر سنان باشا بأن يعمل ترس يشرف منه على قتال المحاصرين في البستيون ، وبلغ من تواضعه أنه كان ينقل الحجر والتراب على ظهره مثل بقية العسكر ، فقال له أحد أمراء الجند « ماهذا أيها الوزير ؟ نحن إلى رأيك أحوج منا إلى جسمك فقال له الوزير « لاتحرمني من ثواب » (١) .

كما قام العثمانيون بوضع الألغام ، وشق الممرات عبر الخنادق ، ثم دمروا الأسوار بالمدفعية الثقيلة والمنجنيق الذي كان له أثر فعال في هزيمة الأسبان إلى أن تمكنوا في النهاية من فتحه ، وقد وقع عدد كبير من المدافعين عن البستيون في الأسر ، ومن بين من أسر حاكم البستيون الأسباني سربلوني ، والأمير محمد بن الحسن الحفصي ، وتم فيما بعد هدم البستيون (٢) ، وبذلك عادت تونس إلى الوحدة الإسلامية العثمانية بعد أن تم القضاء نهائياً على حكم الأسرة

---

١ – مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ١١١ .

– أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري : نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان ، ق ١٤١ .

– القرماني : تاريخ (سلاطين آل عثمان) ، ص ٥٥ .

– المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ١٠٦ .

– نيقولا إيفانوف : الفتح العثماني للأقطار العربي ، ص ٢٥٣ .

٢ – المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر العددان ٢٩ ، ٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) ١٩٨٣ م بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر الميلادي ، ص ١٠٦ .

الحفصية التي حكمت تونس قرابة ثلاثمائة وخمسين عاماً [١]، وكان لعودة تونس في أيدي المسلمين دوي هائل في العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، فقد أحزنت هزيمة العثمانيين في ليبانتو الموريسكيين في أسبانيا لكن فتح تونس قد سرهم ، ومحا عنهم كثيراً من أحزانهم ، وخفف عنهم ماعانوه من إضطهاد الأس``بان لهم [٢]، كما تطلع العثمانيون إلى ضم المغرب الأقصى (مراكش) إلى الوحدة العثمانية تنفيذاً لبقية مشروعاتهم ، ولكن حال دون ذلك أسباب عدة أهمها إحراز المغاربة المراكشيين نصراً كبيراً على البرتغاليين في معركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة أو القصر الكبير في عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م ، وظهور شخصية قوية حاكمة في المغرب متمثلة في المنصور السعدي ، وهذا النجاح العظيم جعلهم محط تقدير وإعجاب من السلطات العثمانية ودول العالم الإسلامي ، فأوقفت الدولة العثمانية الحملة التي أعدتها لضم المغرب الأقصى [٣].

---

١ - أحمد أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ص ٢٤

- نبيــل عبيد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص ٤٥٩ .
- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ص ٤٠٠
- أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية - جـ ٥ - ص ١٨٩
- عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ص ٩٢٧ .
- عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٩
- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث « ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب » ص ص ٨٧ - ٨٨ .
- أحمد عبد الرحيم مصطفي في أصول التاريخ العثماني ص ١٤٧

٢ - نبيل عبد الحي رضوان : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

٣ - احمد توفيق : المرجع السابق - ص ٤٠٢

- اندري كلو : سليمان القانوني مثل من التمازج بين الهوية والحداثة ص ص ٢٦٧ - ١٤٧
- شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق . ص ص ٨٧ -٨٨ .

أما في أوروبا فقد توقع الجميع أن تثأر أسبانيا لما أصابها ، نتيجة لتحرج موقفها ، لكن فيليب الثاني خيب ظن الجميع فيه ، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها : أن شخصية فيليب الثاني تختلف عن شخصية والده شارلكان وذلك لأنه لم يكن ملكاً جُندياً بل كان ملكاً إدارياً ، فلم يشارك قط في قيادة الجيوش ، أو يظهر في ساحة أي معركة ، كما كانت أسبانيا في تلك الفترة تعاني من سوء الأوضاع الاقتصادية ومن الثورات والاضطرابات الناشبة في إيطاليا وهولندا المشاكل السياسية الناشئة بينها وبين إنجلترا وفرنسا (١)، فلم يفكر فيليب الثاني في الأخذ بالثأر بل قبل بالدخول في هدنة مع السلطان العثماني عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م فاكتفى ببعض الحصون المتواضعة في مليلة والمرسى الكبير ووهران (٢) .

والجدير بالذكر أن فتح العثمانيين لتونس قد ساعد في تثبيت نفوذهم في الشمال الأفريقي ، وفرض الأمن الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط شرقه وغربه ، ومَثَل حراسة جيدة لولاياتهم ومراكزهم الحربية وسفنهم ، في الشمال الأفريقي (٣)، وقد شرع سنان باشا في تنظيم أمور تونس بأن ترك فيها أربعة

١ – محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الي الاحتلال الفرنسي ص ٥١

– عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسية ص ص ٢٢– ٢٩

– شارل اندري جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية : تونس – الجزائر – المغرب الاقصي ، ص ٣٤٩

٢ – شارل اندري جوليان : المرجع السابق ، ص ٣٤٩

– احمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ص ٤٠٢

– اندري كلو : سليمان القانوني – مثل التمازج بين الهوية والحداثة ص ٢٦٧

٣ – محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الي البحر ص ١٣٢ – المجلة التاريخية المغربية – العددان ٣١ –٣٢ – جمعت أبحاثهما في مجلد واحد .

– بياربر تيبي ترجمة الدكتور / عبد الجليل التميمي: الاسبان في مواجهتهم للخطر التركي علي المغرب الاقصي إبان معركة وادي المخازن (ع ١٥٧٨م ص ص ١١٤ ، ٥١٤) .

آلاف من الجنود الإنكشارية لحمايتها والمحافظة عليها ، واختار منهم أربعين رجلاً اشتهروا بالشجاعة والإقدام ، وقدم كل رجل من الأربعين على مائة من الأربعة آلاف إنكشاري ، ثم نظم أمورها وأحوالها ، وسلم مقاليد الحكم فيها إلى أمير الأمراء المعين من قبل الباب العالي حيدر باشا ، وأقيمت الخطبة ، وضربت السكة باسم الخليفة العثماني [١].

د - **قيام النيابات العثمانية الثلاث** (تونس - الجزائر - طرابلس) :

بعد أن تم للدولة العثمانية إستعادة تونس بشكل نهائي في عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م انتظم عقد تأسيس الولايات العثمانية في منطقة الشمال الأفريقي وهي على التوالي (الجزائر - تونس - طرابلس) ، وذلك بعد ماسحبت أسبانيا قواتها منها ، وانحصر وجودها في منطقة ضيقة على الساحل هي (مليلة والمرسى الكبير ووهران) ، ونظراً لأسباب عدة ذكرت آنفاً اضطر

---

١ - حسين خوجة : ذيل بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان ص ص ٢١ - ٨٧ .

- محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول ص ٢٢٤
- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ .
- زاهية مصطفى قدورة : تاريخ العرب الحديث ص ٤٥٤
- حسين حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ص ١٣٩
- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الاندلس ص ٤٦٣
- عبد الرحمن تشايجي " المسألة التونسية ص ٢٩
- شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير ص ١٠٨

المجلة التاريخية المغربية العددان ٢٩ -٣٠ (جمعت أبحاثهما في مجلد واحد) - ١٩٨٣م : بحث للدكتور عبد الجليل التميمي : رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن السادس عشر -ص ١٠٦ .

فيليب الثاني إلى عقد هدنة مع السلطان العثماني [١]

وتعتبر الجزائر من أقدم تلك الولايات ، وكانت بمثابة العاصمة لشمال أفريقيا العثمانية ، وكان ممثلها يحمل لقب البيكلر بك أي رئيس البكوات ، وقد قام باي لرباي [٢]، الجزائر بحكم الإيالات الثلاثة في تنسيق متكامل متطابق مع سياسة حكومة الدولة العثمانية في جميع فترات حكامها السابقين (خير الدين بربروسا ، وصالح ريس ، ورمضان باشا ، وحسن بن خير الدين ، وقلج علي ، وحسن أغا (البندقي) ، وقد تعرض هؤلاء جميعاً لإغراءات أسبانيا إلا أنهم رفضوها بإباء وأنفة بدافع من إخلاصهم وموالاتهم للسلطات العثمانية [٣].

كما اعتاد الكتاب الأوربيون تسمية الولايات العثمانية Les Regences Barbaresques بمعنى نيابات بلاد البربر ، وذلك لأن حاكمها كان يشبه نائب الملك الذي يملك السلطة المطلقة والكاملة داخل ولايته [٤]، فلقد

---

١ – نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الاندلس – ص ٤٦٢

– صلاح العقاد : المغرب العربي ص ٢٥

– عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية ص ٢٩

٢ – باي لرباي : من أعظم القاب الدولة العثمانية ، وهي أعلى من باشا ، والبكلربكية في الدولة العثمانية نظام اداري ، وتعتبر قاعدة ارتكاز لزحف يتلوها .

– نبيل رضوان : المرجع السابق ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٩

٣ – ابراهيم شحاتة حسن : اطوار العلاقات المغربية العثمانية ص ٢٣٦

– صلاح العقاد : المغرب العربي ص ٢٦

– حليمي عبد القادر علي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل ١٨٣٠م ص ١٧٤

٤ – ابراهيم شحاتة حسن : المرجع السابق ص ٢٣٦

– صلاح العقاد : المغرب العربي ص ٢٦

كان التنظيم الإداري باسطنبول مشابه ومماثل للتنظيم الإداري في عواصم وولايات الدولة العثمانية ، من حيث الحكم المطلق ، وكان للحاكم مجموعة من الموظفين المعاونين أبرزهم شيخ القرية ، والقائد الخزنة جي [١]، والجاويش ، وقد كانت مدينة الجزائر مقر الباشا الحاكم العثماني والداي أو سلطان البلاد الذي يخضع لسيادة الدولة العثمانية وفيها الحكومة المركزية ، ورجال الديوان ، وكنوز الدولة ، ويتركز فيها معظم الجنود الانكشارية ، وكانت تعرف بدار السلطان والمحروسة [٢].

كما نظمت الجزائر من النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية بطريقة جعلها موضع حسد من أوروبا كلها ، فالسلطة التشريعية كانت في مجلس يسمى الديوان ويتألف من أكابر الدولة ورؤساء الجند ، والسلطة التنفيذية كانت بيد الباشا الذي ينتخبه الديوان ، أما مجلس الوزراء فكان يتألف من ستة رجال : خوجه الخيل (للحرب) ووكيل الحرج (للبحر) ، والخزنه جي (للماليه) وحساب الدولة ، والآغا وهو قائد الجند العام ، والقبودان رئيس وهو أميرال الأسطول والباشكاتب وهو وزير الداخلية ، أما الشئون الخارجية فهي من إختصاص الباشا نفسه ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان القول الفصل فيها للديوان [٣].

كما قُسمت الجزائر إلى ثلاث عمالات : في الشرق قسنطينة ، وفي الوسط تيطرى ، وفي الغرب وهران ، وعين على كل عماله وال يدير شئونها ، أما مدينة الجزائر فكانت تحت سلطة وزير الحرب الآغا ، وبذلك أصبحت الجزائر

---

١ - الخزنه جي : صاحب الخزانة .

٢ - حليمي عبد القادر علي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل ١٨٣٠م ص ٢٧٤

٣ - احمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ص ص ٧٠ - ٧١

مهابة بقوتها الحربية والعسكرية وبأسطولها [١].

وعند ماتوفى قلج علي باشا والي الجزائر في عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م وجدت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لإدخال ولايتها في شمال أفريقية في إطار التنظيمات العثمانية العادية فألفت نظام بكلربكية الجزائر الذي يتيح لهؤلاء النواب الاستقرار في الحكم فترات طويلة وعينت ولاة تكون ولايتهم لمدة ثلاث سنوات وتنتهي بانتهائها ، ويحمل كل وال من هؤلاء الولاة لقب باشا فقط ، وكان هدف الدولة من ذلك هو تأمين وحدة هذه الولايات وحتى لاتترك ولاية من ولايات شمال أفريقيا في يد شخص واحد لمدة طويلة فتراوده النزعة الإنفصالية ، وبذلك لم تعد الجزائر هي الحصن الأمامي الأوحد للسلطة العثمانية بل أصبحت شأنها كشأن أية ولاية عثمانية أخرى في الشمال الأفريقي [٢].

ويفسر مارسيل كولومب هذا التغير في شكل الحكم العثماني بالجزائر بخوف الدولة العثمانية من أن يسعى البكلربكوات نتيجة لقوتهم وضعف البحرية العثمانية للانفصال والإستقلال ، فعينت باشا عثماني حتى يقوّي من تبعية الجزائر للسلطان من ناحية وليهديء ويقلل روع الإنكشارية من سياسة تجنيد الأهالي الذي شرع فيه البكلربكوات [٣].

وإذا نظرنا إلى التنظيم الإداري بعد ذلك في الجزائر نجد أن الجزائر كانت تتبع بجميع أجزائها الدولة العثمانية ، لكن الدولة العثمانية لم تكن تسيطر إلا

---

١ – احمد توفيق مدني : هذه هي الجزائر ، ص ص ٧٠ – ٧١

٢ – محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ، ص ٥٨ .

أرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، ص ٢٤ .

٣ – يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ٥٨ ، ٥٩ .

على عُشر مساحتها ، وهذا أول مظهر من مظاهر الضعف في الإدارة العثمانية إضافة إلى الدايات [1]، وهم القسم الأخير من الحكام الذين حكموا الجزائر ولم يكونوا خاضعين بصورة مباشرة للحكومة العثمانية بل كانوا يتمتعوا بإستقلال داخلي لكنهم كانوا خاضعين لمجالس تشاركهم مشاركة فعالة في الحكم ، كما كان الداي في أغلب أحواله مطيعاً لأوامر الدولة محافظاً على نظامها لأنه كان يخشى على نفسه من الخلع ، وكان هناك البايات حكام المدن الكبرى مثل الحديه ، وقسنطينه ، ووهران ، وقد كانت ميزانية بعض هذه المدن الكبرى تفوق ميزانية الحكومة المركزية في الولاية مما أحدث تكاسلاً في النظام الإداري وتنافساً بين البايات .

كما كان يوجد الى جانب هذا كله حكام المدن الصغيرة والقرى الساده القطاعيون وشيوخ القبائل وزعماء الجند ، وغيرهم ، ولكل منهم نزعاته ورغباته وإتجاهاته .

فتلك البلاد التي تضم أنواعاً متباينة من المجتمعات والزعامات كان موقف الدولة العثمانية تجاهها موقفاً سلبياً ، ولكن كان عزاؤها الأكبر وحدة الدين واللغة والثقافة ، ونضيف إلى ذلك أيضاً الخطر الأجنبي الذي أخذ يهددها ، وكان هذا الخطر عاملاً عظيماً من عوامل التوحد فلم يكن أمام هذه

---

١ - الداي في التركية « الخال » لكنه لم يستعمل في تسمية رسمية إلا في ولايات الجزائر وتونس ، وقد استعملت اللفظة في تونس في أواخر القرن العاشر وأطلقت على رئيس إحدى الفرق الأربعين لعساكر الإنكشارية الذين أبقاهم سنان باشا في تونس .

أنظر : حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تحقيق وتقديم : الطاهر المعموري. الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، ص ٢٥ .

المدن والزعامات والمشيخات إلا عقد المعاهدات [١].

ولقد كان لنجاح العثمانيين في البقاء في تونس أهمية كبرى وذلك لأن استقرارهم في تونس أصبح شرعياً ، لهذا ربطت الدولة العثمانية ولاية تونس بالحكومة المركزية في إسلامبول مباشرة، وطبق النظام الجزائري عليها بعد معركة ليبانتو [٢]، حيث قسمت تونس إلى أقسام إدارية ، كما طبق فيها نظام التيمارات والزعامات والوقف [٣]، كما استفاد العثمانيون من النظم التي كانت متبعة في السابق ، فبقى النظام الجبائي ومهمته استخلاص الجباية بالمحلات العسكرية في الصيف والشتاء ، ومع ذلك حدثت بعض التغيرات في أسماء فرق المحلات العسكرية مثل التشكيلات التي كان يطلق عليها الموحدون أو الزمازمة ، فأصبحت تسمى الجوانب أو السباهيه والمزارقه كما ألحق العثمانيون

١ – زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٩٠ .

٢ – عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا ، ص ٢٧٥ .

– عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ، ص ٢٩ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٦٢ .

– محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ص ٨٥ .

– حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، ص ٢١ .

٣ – الوقف هي الأراضي التي كان يوقفها السلطان ويخصص ريعها للأعمال الخيرية أو للحرمين الشريفين ، وتشمل جزءاً كبيراً من الأراضي الزراعية في الأقاليم المفتوحة ، وكانت تخضع لإدارة العلماء . والوقف في الشرع حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح أنظر : محمد اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني : سبل السلام شرح بلوغ المرام من جميع أدلة الأحكام ، الناشر : دار الريان للتراث القاهرة ، ودار الكتاب العربي بيروت –جـ ٣ – ص١٨٥ .

التيمار : هي الأراضي التي كانت تعطى للجنود الفرسان ليعيشوا منها ، وتقدر ايرادها عشرين ألف قرش ، وما زاد ايراده على ذلك يسمى زعامات . أنظر :

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ١٣٢ .

بكل محلة قاضٍ حفصي تعينه الدولة العثمانية [١].

وقد وضع سنان باشا في تونس بعد فتحها قوة عسكرية عددها أربعة آلاف جندي من الإنكشارية ووضع على رأس كل مائة رئيس (بلوك باشي Bluk Bos) ويشكل مجموعهم الديوان والذي كان يعتني في البداية بشئون الجند [٢]، وجميعهم بقيادة الوالي العام (حيدر باشا) وإلى جانب فرقة الإنكشارية توجد فرقة المتطوعة المقسمة إلى فرق ، وكانت تقيم في ثكنات ، ومن أسلحتها المستخدمة السيف الطويل والقصير إلى جانب البندقية وقد حظى جنود الإنكشارية بعناية فائقة من الحكومة العثمانية ، فقد كانوا يتسلمون بالإضافة إلى مرتباتهم الشهرية حصة من الخبز واللحم والزيت ، كما أعفيت أراضيهم من الضرائب ، وعندما قامت الحكومة العثمانية بتحديد الأسعار للأهالي وضعت سعرين أحدهما منخفض للإنكشارية ، والآخر مرتفع لغيرهم ، كما كان لهم قاضيهم الخاص [٣].

وقد تحمل أعباء التصدي للقراصنة المسيحيين طائفة الرؤساء البحريين [٤]، ثم قام سنان باشا بتنظيم تونس ودعمها ذاتياً بأن جعل فيها صناع

---

١ – نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

– حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، ص ٢١ .

٢ – عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسية ، ص ٢٩ .

– حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٣٩ .

– شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث « ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب » ، ص ١٠٨ .

– نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٦٣ .

٣ – رياض زاهر : شمال أفريقيا في العصور الوسطى : ص ١٨٧

٤ – شوقي الجمل : المغرب العربي في العصر الحديث ، ص ١٠٨ ، حسن عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٣٩ .

– عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ، ص ٢٩ ،

نبيل رضوان : جهود العثمانيين ، ص ٤٦٣ .

المدافع والتحصينات ، كما رتب القوانين والأنظمة ، وقام بإصلاح شئون العامة وتنظيم الإدارة ، كما نادى في الخطبة باسم السلطان العثماني ، وقبل توجهه للآستانة أوصى حيدر باشا بالحيطة والحذر ، وصرف أموال الجباية في تقوية القلاع والحصون الموجودة في تونس [١] .

ولكن هذه التنظيمات كثيراً ماكانت تختل بسبب سلطة الإنكشارية ، وعلى وجه الخصوص أعضاء الديوان منهم ، فلقد جعلتهم نشوة الإنتصارات يتجاوزون سلطاتهم وأقدارهم ، فعند إجراء أي تغيير للولاة في تونس كانوا يطالبون بزيادات في مرتباتهم ، ولتوفير هذه الأموال كانت تُزاد الضرائب على السكان الذين كانوا يبعثون برسائل التذمر إلى الباب العالي ، ولكن رسائلهم ظلت بدون جواب [٢] .

إن النظام السياسي الذي فرضه سنان باشا في تونس كان يعتمد على السرعة مثله مثل الأنظمة التي تُفرض إثر الحروب ، فقد كان جنود الإنكشارية يقضون معظم أوقاتهم في الفتنة والشغب وجباية الأموال وعدم إيداعها في الخزينة بحجة إستيفاء حقوقهم ، كما قاموا باغتصاب الأراضي وزراعتها وحصدها دون دفع ضريبة للدولة ، وفوق ذلك كله كانوا يسجلون أبناءهم وخدامهم في قوائم المرتبات [٣] .

وفي عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م اندلعت ثورة عساكر الانكشارية فقاموا بقتل الضباط السامين أعضاء الديوان بحجة تسلطهم وتجبرهم وظلمهم للجنود ،

---

١ – عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ، ص ٢٩ .

– حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٣٩ .

– شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ١٠٨ .

– نبيل رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٦٣ .

٢ – حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، ص ٢٢ .

٣ – حسين خوجه : المرجع السابق ، ص ٢٣

وبالتالي قاموا بإجراء تعديلات جديدة في نظام الحكم بتشكيل ديوان جديد ورؤساء جدد يحملون لقب الداي مع إبقاء الباشا شخصاً شرفياً يرتدي الخلعة السلطانية ، ويمثل مصالح الباب العالي [١] .

والجدير بالذكر أن حكم الولايات دام من سنة ٩٩٩هـ / ١٠٥٠هـ/ ١٥٩٠م - ١٦٤٠م) إلى سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م حيث ظهرت سلطة أخرى تغلبت على سلطة الدايات وهي سلطة البايات [٢] .

أما بالنسبة لموقف الباب العالي من هذه التغيرات فلم يتجاوز التأييد والتفويض ، وذلك لما تقتضيه مصالح الولاية وللصعوبات التي كانت تواجهها الدولة العثمانية في ذلك الوقت كاتساعها وصعوبة مواصلاتها وخاصة في الولايات التي يفصلها بحر مثل (تونس والجزائر وطرابلس) فكان كلما حدث أي

---

١ - حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، ص ٢٢ .

- عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ ، ١٩١٣ م ، ص ٢٩ .

- محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، ص ٧١ .

- زاهية مصطفى قدوره : تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٥٤ .

- عبد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول ، ص ٢٢٥ .

- إبراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ص ٢٣٨ .

٢ - الباي : أصل لفظ (بك) المستعمل في البلاد العربية ، ورتبته أقل من الباشا .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ، ص ٩٥ .

والدايات والبايات في تونس هم ولاة تونس من الانكشارية ابتداء من بعد الثورة ١٠٠٠هـ/١٥٩١م ، التي قام بها رؤساؤهم ، وصاروا من ذلك الوقت يتلقبون بالدايات وتارة بالبايات وتارة بالباشوات ، وقد اشتهروا مدة حكمهم بلاد تونس بالغزو في البحار حتى تمكنوا من قطع الطرق البحرية أمام سفن أوروبا . أنظر : اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار - جـ ١ - ، ص ٤٢٢ .

وزاهية مصطفى قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٥٤ .

تغيير في شئون ولاية من الولايات باتفاق أهل الحل والعقد استصدروا تأييداً من السلطان العثماني لإصباغ الصبغة الشرعية على الحكم ، ومع أن الدولة العثمانية أعطت للوالي حرية التصرف في إدارة شئون البلاد إلا أنها حافظت على الإتجاه السياسي أي وحدة السياسة الخارجية ، فلا يكون للولاية سياسة خارجية إلا من خلال سياسة الدولة العثمانية ، كما حافظت على السكة باسم السلطان العثماني والدعاء له في صلاة الجمعة [١].

ولم يختلف الحكم العثماني في ليبا (طرابلس) خلال الفترة [٩٥٨هـ - ١١٢٣هـ/ ١٥٥١-١٧١١م] عن الولايات العثمانية الأخرى ، فقد كان العثمانيون يعينون الولاة لحكمها وأول الولاة العثمانيين الذين حكموا ولايات الشمال الأفريقي هو القائد البحري طرغود باشا الذي عمل على فرض نفوذ الدولة العثمانية على شواطيء ليبيا [٢] ، وكان الولاة يأتون إلى طرابلس بفرمانات سلطانية ، وكان الوالي يستعين بمجلس الديوان برئاسة الداي ، وبالانكشارية التي يرأسها الباي ، وفي حالة ضعف الباشا يستأثر الباي والداي بالحكم ، مما يؤدي إلى الخلاف وظهور تأثيرات سلبية على البلاد ، فبعد وفاة طرغود باشا تسببت طائفة الانكشارية بإثارة الإضطرابات والفوضى والقلاقل في طرابلس وبرقة وفزان وذلك بسبب تدخلهم المستمر في شئون البلاد [٣]، لذلك كانت الدولة العثمانية وبصورة مستمرة تغير ولاتها في ليبيا حتى لاترسخ اقدامهم وحتى لا يفكروا في الانفصال ، وقد ترتب على هذه التغيرات ازدياد نفوذ الانكشارية واستبدادهم بالأمر [٤].

١ - حسين خوجه : ذيل بشائر زهل الإيمان وفتوحات آل عثمان ، ص ٢٦ .

٢ - شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ١٣١ .

٣ - حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، ص ١٧٨ .

٤ - شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ص ١٣١ ، ١٣٢ .

- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ص ١٨٨ .

والجدير بالذكر أن طرابلس كانت تابعة لتونس ، وكانت تحكم من قبل حاكم واحد هو حيدر باشا وذلك بعد وفاة واليها مصطفى باشا في سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٥م ، وكان مصطفى باشا قد قام بعدة أعمال فيها ، منها بناء مسجد في طرابلس ، وسك النقود باسم السلطان العثماني ، كما قام بتحسين أحوال أهالي طرابلس ، ولكن طرابلس انفصلت عن تونس في ١٨ من ربيع الأول سنة ٩٨٥هـ/ ٨ من يوليو ١٥٧٧م فعينت الدولة العثمانية التشاقرجي حسن باشا والياً عليها بأمر سام مؤرخ بالخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م بعثت به الدولة إلى حيدر باشا جاء فيه مايلي : « إلى أمير أمراء تونس حيدر باشا ، حكم عليك حالاً بفصل طرابلس الغرب عن تونس اعتباراً من ١٨ ربيع الأول سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م وقد وجهت إمارتها إلى حسن باشا رئيس الخاصكية في مقر السلطنة ، كما عهدنا إليك ثانية بإمارة تونس شريطة أن تلتزم بتأدية الخزنة المفروضة عليك ، وعليك لدى وصوله توجيهه إليها [١]، وعليك الانتباه والحرص على الولاية المذكورة [٢].

ومما لاشك فيه أن طرابلس كانت في هذا الوقت تعد فقيرة بالنسبة لتونس والجزائر ، وذلك لأن معظمها صحاري والأماكن المسكونة في غير المدن هي الواحات والوديان فقط ، كما أن الأراضي التي تزرع كانت قليلة ، والقواعد التي وُضعت لجباية الضرائب هي نفسها المطبقة في الولايات الأخرى ، وهي أن يخرج الجنود مرتين في العام للجباية [٣] ، وكل هذا كان من أسباب تواضع اقتصادها وماليتها .

---

١ - أي لدى وصول حسن باشا توجيهه إلى إمارة طرابلس .

٢ - عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ص ٢٧٦ .

٣ - نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٦٦ .

لقد بدأ الحكم العثماني لهذه الولايات بدايةً حسنة حيث شجع على أعمال الإصلاح والتعمير لكن هذه البداية لم تستمر لأن البلاد كانت تتعرض لنكسات بسبب ضعف الولاة الذين كان همهم بسبب قصر مدة ولايتهم (ثلاث سنوات) تحقيق أكبر معدل لجمع الضرائب والأموال المقررة ليظهروا أمام الدولة في صورة حسنة بنجاحهم في جمع الأموال المقررة ، كما كان هم بعضهم بالإضافة الى جمع الأموال المقررة يَنصبُ أيضاً على جمع الثروات والعودة بها إلى استنبول ، وقد لجأ كثيرون منهم إلى العنف في تحقيق مطالبهم الجائرة ، واذا قام الأهلون بالمعارضة كان الولاة يسلطون عليهم الجنود الذين كانوا يغتصبون أموالهم وأمتعتهم وأنعامهم .

وبسبب ذلك أصبحت البلاد تعيش في ظروف إدارية سيئة لامجال للتعمير والإصلاح فيها ، غير أن هذا ينبغي ألا يخفي الوجه المشرق لحكم هؤلاء الولاة ، فلقد قام بعضهم بإنجازات ذات طابع شخصي دلت على حُب الخير فيهم وتمتعهم بالخلق السليم مما فتح المجال للتيار العمراني الذي ساعد على نمو هذه الولايات في العصر العثماني [١] . كما نجحت بعض العناصر الحاكمة في تأسيس أسرات حاكمة توارث أبناؤها حكم الولايات تحت السيادة العثمانية مثل الأسرة القرمانلية في طرابلس ، والأسرة الحسنية في تونس [٢] .

ومع ذلك التغير والتطور في الحكم بالنسبة لإيالات المغرب فإني أُحَبِّذُ فلسفة الحكم العثماني الذي حدّ من سطوة الجنود ورجال البحرية على سلطة الباشا إثر هزيمتهم في معركة ليبانتو لأن طبيعة السلطة داخل الولاية مع إمساك

---

١ - نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ ، ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

٢ - أبو الفتوح رضوان ومحمد الغنام وأحمد عزت عبد الكريم وعبد الحميد البطريق : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٠ .

- صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٢٦

السلطة العثمانية بسلطة إصدار الفرمانات قد ضمن للدولة العثمانية تحقيق أهدافها في الحكم وهي : (الخطبة في الصلاة باسم السلطان ، وتحصيل الأموال المقررة كل عام ، والمساهمة في حروب الدولة ، والقبول بالباشا الجديد القادم من الأستانة .

وتعتبر هذه الأهداف جميعها من علامات السيادة العثمانية الرسمية [١] .

---

١ – ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ص ٢٣٨ .

– صلاح العقاد : المغرب العربي ، ص ٢٦ .

– نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، ص ٤٧٧ .

– آرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ص ٢٤ .

– محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ، ص ٥٩ .

– زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ص ١٨٨ .

الخاتمة

الخاتمة

بمجرد أن استقر العثمانيون في الأناضول حملوا على عاتقهم نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله في آسيا الصغرى وأوروبا ، لذلك قامت الدولة العثمانية بحروب برية في الأناضول وفي أوروبا حتى وجدت نفسها أمام السواحل الأوروبية وجزر البحر المتوسط وبحر ايجة فتطلب ذلك منها الدخول في ميدان الحروب البحرية بجوار الحروب البرية بكل مايتعلق بالأساطيل والتنظيمات البحرية لتحقق انتصاراتها وتفوقها في هذا الميدان البحري اضافة إلى انتصاراتها في الميدان البري .

أما القارة الأوروبية انشغلت في مطلع العصر الحديث بحروب طاحنة شملت معظم أجزائها فكانت الحروب الإيطالية وأبرز أطرافها (فرنسا وأسبانيا) والتي استهلكت في مرحلتها أموالاً طائلة وتسببت في خسائر مادية جسيمة وذلك بسبب أطماع فرنسا وأسبانيا في التوسع خارج حدودهما .

وبالإضافة إلى الحروب الإيطالية ظهرت الحروب الدينية التي تكتلت فيها الكاثوليكية في كل أرجاء أوروبا لمواجهة البر وتستانتيه .

واستطاعت الدولة العثمانية أن تتقدم في القارة الأوروبية بخطىً واسعة أن تحقق الانتصار تلو الانتصار حتى أصبحت تثير مخاوف البابوية ومنذ ذلك الحين ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م أخذ البابا بيوس الخامس يدعوا لتكوين حملات صليبية ضد الدولة العثمانية للحد من تقدمها في القارة الأوروبية .

غير أن الدولة العثمانية استطاعت أن تسدد لأوروبا ضربة قاصمة حينما قضت نهائياً على الامبراطورية البيزنطية وفتحت القسطنطينية ، وكان فتحها مقياساً

حقيقياً للقوة والارادة والجهاد العثماني .

وبسقوط القسطنطينية حُرمت أوروبا من قاعدتها الدفاعية الفعالة التي كانت تقف في المواجهة . كما كانت القسطنطينية تعتبر رمزاً للمقاومة المسيحية ضد الإسلام وكان سقوطها تحذيراً لأوروبا بظهور مظهر جديد من الجهاد في العالم الاسلامي . ثم توالت الانتصارات البحرية العثمانية حيث استطاعت الدولة العثمانية أن ترد التحركات الصليبية ضد المدن الاسلامية في الشمال الأفريقي .

وفي عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م حققت الدولة العثمانية انتصاراً من انتصاراتها الكبرى بفتحها لقبرص وهذا ما أشعل فتيل الحرب بين دول أوروبا ويتزعمها البابا والدولة العثمانية ذلك أن البابا أخذ يسعى سعياً حيثيثاً لتجميع البلاد الأوربية وتوحيد صفوفها تحت راية البابوية للوقوف أمام الخطر العثماني . ولما تحقق له ما أراد واصلت أوروبا قاطبةً استعداداتها للقيام بمعركتها ، فأسندت قيادة أساطيلها إلى أقوى قادتها الإميرال دون جوان ، وفي خليج ليبانت اشتعلت نيران معركة ليبانت التاريخية والتي جاءت نتيجتها لصالح أوروبا فلأول مرة منذ أوائل القرن الخامس عشر تحل هزيمة بالعثمانيين بالرغم من محاولات القادة العثمانيين انقاذ الموقف . وقد استقبلت أوروبا هذا الخبر بالفرح والسرور ومجدت القائد الذي أحرز هذا الانتصار ، حتى أن البابا لم يتورع في القول بمناسبة النصر (إن الإنجيل قد عنى دون جوان نفسه ، حيث بشر بمجيء رجل من الله يدعى حنًّا) .

وقد ترتب على انتصار المسيحيين في ليبانتو زيادة الضغط على المورسكيين في شبه الجزيرة الايبرية واحتلال تونس بعد المعركة مباشرة ولكن العثمانيين استطاعوا استخلاص تونس من أيديهم ومن ثم قامت في نهاية الأمر النيابات العثمانية الثلاث تونس والجزائر وطرابلس الغرب ، وقد دار البحث حول هذه

الوقائع التاريخية لمقدمات أو نتائج لمعركة ليبانتو ، ويمكننا أن نلخص النتائج التاريخية التي توصل إليها البحث وما أبرزه من جديد فيما يلي :

أولاً : جعلت معركة ليبانتو العثمانيين يقبلون بهمة ونشاط على تجديد وبناء الأساطيل لتعويض مافقدوه في ليبانتو وليظلوا محافظين على تفوقهم البحري إضافة إلى تفوقهم البري كما أصبح هم الدولة وشغلها الشاغل المحافظة بقدر الإمكان على مابحوزتها من أراض وبلدان وجزر وبخاصة الأماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين .

ثانياً: أظهرت معركة ليبانتو أطماع فرنسا في المغرب العربي فبعد هذه المعركة قدم ملك فرنسا شارل التاسع مشروعاً إلى السلطان العثماني في سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م يتضمن طلب الترخيص لحكومته في بسط نفوذها على الجزائر غير أن هذا لم يلق قبولاً من الدولة العثمانية لأنه يخالف المنهج الذي ارتضته لنفسها وهي حماية العالم الاسلامي والدفاع عن ثغوره .

ثالثاً : بعد ماخرج قلج علي بأسطوله الجديد طلبت البندقية الصلح مع الدولة العثمانية بشروط مخزية تنازلت بموجبها عن جزيرة قبرص ، ودفعت غرامة حربية قدرها ثلاثمائة ألف دوكة ، وبمجرد انسحاب البندقية من الحلف انهار هذا الحلف بسبب اختلاف القادة حول ميادين القتال المقبلة فالأسبان والبرتغاليين خططوا لغزو شمال أفريقيا ووفقاً لذلك المخطط أخذ فيليب الثاني في اعداد حملة كبيرة بقيادة دون جوان .

رابعاً : بدأت أسبانيا فيما بعد تفكر في تغيير سياستها تجاه شمال أفريقيا وتونس لظهور المشاكل الاقتصادية في أرجائها وتراكم الديون ، فرأت أن تهتم بأوروبا وأخذت تبحث مسألة عقد هدنة في أواخر القرن السادس عشر مع الدولة العثمانية .

خامساً : يشير تاريخ الحروب البرية والبحرية إلى أن هناك هزيمة ساحقة تجعل المنتصر يهيمن على المهزوم فترة طويلة ، وهناك هزيمة مؤقتة يستطيع المهزوم فيها أن يقف على قدميه بعد فترة وجيزة ويعوض خساراته بينما يعود إلى وضعه السابق دون أن يستثمر هذا النصر ومعركة ليبانتو كانت هزيمة العثمانيين فيها هزيمة مؤقتة استطاعوا بعدها بفترة وجيزة تعويض خسائرهم واستعادة تفوقهم البحري يدلنا على ذلك كما سبق وأن ذُكر أنه عندما قدم معتمد البندقية بعد ليبانتو لتوقيع معاهدة الصلح فاجأه الصدر الأعظم صوقللي باشا بقوله : (**أأتيت تتفقد شعورنا وشجاعتنا بعد تلك الفاجعة ؟ فاعلم أننا دونكم خسارة فيها ؟ لأننا باستيلائنا على قبرص قطعنا أحد سواعدكم أما أنتم فلم تجزوا بتدميركم عماراتنا إلا لحية . وإن الساعد المبتور لاينَبُت على حين أن اللحية إذا ماقُصت تعود أكثر كثافةً**) .

والله أسأل أن يعيد للمسلمين مجدهم وللإسلام عزه .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

الوثائق التركية :

١ - مهمة دفتري رقم ٨٩ حكم رقم ٢٥١ بتاريخ ٢٤ شوال ٩٩٧هـ أرشيف رئاسة الوزراء .

٢ - مهمة دفتري رقم ١٤ صفحة ٢٠٠ رقم ٢٨٤ بتاريخ ٣ صفر ٩٧٩هـ أرشيف رئاسة الوزراء .

٣ - مهمة دفتري رقم ٩ صفحة ٨٩ ، حكم رقم ٢٣١ ، أرشيف رئاسة الوزراء .

ثانياً: المخطوطات العربية :

٤ - أحمد عرابي : تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات ، مخطوط انتهى من كتابة المؤلف سنة ١٢٧١هـ ، محفوظ بمكتبة سوهاج تحت رقم ٣٣٤ ، وتوجد نسخه مصورة في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٥ - رمضان : الرسالة الرادوسية ، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٢٢ ، وتوجد نسخة في مركز البحث العلمي ق - ١٦ ب ، ق ١٧ م .

٦ - رمضان : رسالة فتحية سليمانية متعلقة بفتح القلاع الأنكروسية كبلغراد وغيره من القلاع المكتوبة في الرسالة ، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٢٧٩ وتوجد نسخة مصوره في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١١٠٧ .

٧ - أبو عبد الله محمد بن السرور البكري : نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان ، مخطوط محفوظ بمكتبة الرباط بالمغرب تحت رقم D 527 ويوجد نسخة مصوره في مكتبة مركز البحث العلمي .

٨ - محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار : تحقيق / علي الزاوي ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .

ثالثاً : المصادر العربية :

٩ - إبراهيم أفندي : مصباح الساري ونزهة القاري ، طبعة بيروت ، ١٢٧٢هـ .

١٠- إبراهيم بك حليم : التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية ، مطبعة ديوان عموم الأوقاف ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٣هـ .

١١- الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف أفريقيا ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

١٢-أحمد يوسف أحمد الدمشقي القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، دار البصائر .

١٣- إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية . تقديم ومراجعة د/ حسن الزين ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٤- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣١٢هـ - الجزآن ١ ، ٢ .

١٥- حسين خوجه : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان : تحقيق وتقديم : الطاهر المعموري ، الدار العربية للكتاب - ليبيا ، تونس ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس .

١٦- سليمان نطقي : محاربات بحرية عثمانية (بحريه) مطبعة سنده ، طبع وتمثيل قلنمشدر ، استانبول ، سنة ١٣٠٧هـ .

١٧- شهاب الدين أحمد المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض - الرباط ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م جـ١ .

١٨- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدول السعدية) تحقيق وتعليق ولدي المؤلف : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م ، جـ٥ .

١٩- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

٢٠- مؤلف مجهول : تاريخ الدولة السعدية ، الرباط ، ١٩٣٤م .

رابعا : المراجع العربية :

٢١- إبراهيم أحمد العدوي : الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ، طبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

٢٢- إبراهيم حسن سعيد : البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، الأسكندرية .

٢٣- إبراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، قراءة في تاريخ عبر خمسة قرون (١٥١٠ - ١٩٤٧م) ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م .

٢٤- إبراهيم عبد القادر المازني : تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية ، خزانة المعارف بالسكة الجديدة بالأسكندرية .

٢٥- أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢-١٧٩٢م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

٢٦- أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٢٩ يوليو ١٩٥٦م .

٢٧- أحمد رائف : وتذكروا من الأندلس الإبادة ، الناشر : الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٨- أحمد رمضان أحمد : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط « العصر الوسيط » (٣٥هـ/ ٦٥٥م - ٩٧٨هـ/ ١٥٧١م) ، وزارة الثقافة ، هيئة الآثار المصرية .

٢٩- أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، جـ ٢ .

٣٠- أحمد الشامي : صلاح الدين والصليبيون (تاريخ الدولة الأيوبية) ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

٣١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٣٢- أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٠م ، بيروت .

٣٣- أحمد أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، مطبعة الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، الجزء الثاني ، النشرة الثانية .

٣٤- جلال يحى : تاريخ المغرب الكبير (العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١م ، جـ ٣ .

٣٥- حبيب غزالة : جزيرة رودس ، جغرافيتها وتاريخها وآثارها ، تليها خلاصة تاريخية عن أشهر جزائر بحر إيجة ، مطبعة الاعتماد ، مصر .

٣٦- حسن أحمد محمود ، أحمد ابراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباس ، دار الفكر العربي ، الطبعة الخامسة .

٣٧- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط ، تونس ، الطبعة الثانية ١٣٤٤هـ ، سلسلة ٥٧ .

٣٨- حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٣٩- حسين الشيخ : دراسات في تاريخ حضارة اليونان والرومان ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧م .

٤٠- حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، مصر .

٤١- حسين مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، الطبعة الأولى .

٤٢-حقي العظم : تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان ، مطبعة الترقي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م .

٤٣- حليمي عبد القادر علي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل ١٨٣٠م ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

٤٤- رزق الله منقريوس الصدفي : تاريخ دول الإسلام ، طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، جـ ٣ .

٤٥- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١م .

٤٦- زاهر رياض : شمال أفريقيا في العصر الحديث ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٤٧- زاهية مصطفى قدورة : تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥م .

٤٨- سالم الرشيدي ، محمد الفاتح : الناشر مكتبة الإرشاد - جدة - الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، طبعة جديدة معدلة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

٤٩- سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، الناشر دار المجمع العلمي بجدة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٥٠- سعيد أحمد برجاوي : الأمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت .

٥١- سعيد الصباغ : الأطلس العربي العام ، طبع بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٥٢- شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

٥٣- صلاح العقاد : المغرب العربي ، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٥م .

٥٤- الطاهر أحمد الطرابلس الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف بمصر ، الطبعة ١٩٦٣م .

٥٥- الطاهر أحمد الزاوي : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

٥٦- عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، طبع بمطابع انترناشيونال - برس ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، القاهرة .

٥٧- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار : التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٥٨- عبد الحميد غنيم : الجغرافيا السياسية والعلاقات الدولية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٥٩- عبد السلام عبد العزيز فهمي : السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، دار العلم ، بيروت ، الطبعة الثالثة .

٦٠- عبد الرحمن الرافعي وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة ١٩٩٠م .

٦١- عبد العزيز سليمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٦٢- عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠م جـ٢ .

٦٣- عبد العزيز محمد الشناوي : أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م ، جـ١ .

٦٤- عبد الله سعيد محمد سافر الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، مطابع جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ .

٦٥- عبد اللطيف أحمد علي : التاريخ اليوناني (العصر الهلادي) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧١م جـ١ - ٢ .

٦٦- عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ، نشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة - الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٦٧- أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، عني بتصحيحه والتعليق عليه : الطاهر أحمد الزاوي ، الناشر : مكتبة النور ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

٦٨- عمر الأسكندري وحسن سليم : تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى قبيل الوقت الحاضر) مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، جـ٦ .

٦٩- أبو الفتوح رضوان ومحمد أحمد الغنام وأحمد عزت عبد الكريم وعبد الحميد البطريق ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ، قام بتعديل الكتاب د . أحمد عزت عبد الكريم .

٧٠- لطفي عبد الوهاب يحى : اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧م .

٧١- ليلى الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين / العاشر والحادي عشر الهجريين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، جـ١ ، ٢ .

٧٢- مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر (٣ أجزاء) .

٧٣- محمد اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني : سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام . الناشر : دار الريان للتراث ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ٣ .

٧٤- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، طبعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٧٥- محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني - أسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها ، شركة فرج للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٥٤م .

٧٦- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

٧٧- محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م .

٧٨- محمد عبده حتاملة : التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني ١٥٢٧-١٥٩٨م ، طباعة شركة المطابع النموذجية ، عمّان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

٧٩- محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٨٠- محمد قشيتليو : محنة الموريسكوس في إسبانيا ، مطبعة الشويخ « ديسبرس » تطوان ، المغرب .

٨١- محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م .

٨٢- محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول من القرن السابع إلى ختام القرن الثالث عشر ، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، القصبة ، تونس أكتوبر ١٩٧٤م .

٨٣- محمد ياسين الحموي : تاريخ الأسطول العربي صفحة مجيدة من صفحات تاريخ العرب ، مطبعة الترقي بدمشق .

٨٤- محمود جلال الدين الجمل : أوروبا في مجرى التاريخ ، دراسة جغرافية ، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٩م .

٨٥- محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم ، وأخبار الأوائل والأواخر ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر سنة ١٣١٣هـ ، الطبعة الأولى ، جـ٣ .

٨٦- معاوية هزاع عبد الله الشمراني : المعجم الجغرافي لدول العالم ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة .

٨٧- نبيل عبد الحي رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٨٨- نبيل عبد الحي رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ، الناشر ، دار الثقافة للطباعة ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٨٩- نجم الدين غالب الكيب : مدينة طرابلس عبر التاريخ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، الطبعة الثانية .

٩٠- نوفان رجَا الحمود : العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٩١- يسري الجوهري : جغرافية البحر المتوسط ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

٩٢- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان : تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، دار البصائر .

خامساً : المراجع الأجنبية المترجمة :

٩٣- أتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٩٤- أدوّار برّوى : تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى ، ترجمة : يوسف أسعد داغر ، وفريد م . داغر . منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م جـ٣ .

٩٥- آرجمنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر ، ترجمة عبد الجليل التميمي ، مطبوعات كلية الآداب بجامعة استنبول سنة ١٩٥٧م ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٧٠م .

٩٦- أرشيبالد . لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة ١٩٦٠م ، القاهرة .

٩٧- أندري كلو : سليمان القانوني ، مثل من التمازج بين الهوية والحداثة ،

تعريب : البشير بن سلامه ، دار الجيل ، بيروت .

٩٨- برنارد لويس : إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب : سيد رضوان علي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٩٩- تودورجيانا كوليس : اليونان شعبها وأرضها ، ترجمة : محمد أمين رستم ، مراجعة وتقديم : عز الدين فريد ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، نيويورك ، إبريل ١٩٦٣م .

١٠٠- جون رايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، تعريب عبد الحفيظ الميار - أحمد اليا زوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

١٠١- روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى ، ترجمة عبد الرحمن حميده ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، طبعة ١٩٨٨م .

١٠٢- روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، باريس ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م جزآن .

١٠٣- رولان موسينيه : تاريخ الحضارات العام (القرنان السادس عشر والسابع عشر) ترجمة يوسف أسعد داغر ، فريد داغر ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، جـ ٤ .

١٠٤- شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب

الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م ، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، طبعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، جزآن .

١٠٥- شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم ، توفيق اسكندر ، ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر .

١٠٦- شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية : محمد عبد الكريم الوافي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا .

١٠٧- عبد الرحمن تشايجي : المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١-١٩١٣م ، نقله عن الفرنسية وعلق عليه عبد الجليل التميمي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

١٠٨- عزيز سامح التر : الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ، ترجمة : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

١٠٩- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة تموز (يوليو) ١٩٨٨م .

١١٠- لوي كاردياك : الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠م) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا - تعريب وتقديم عبد الجليل التميمي ، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان

المطبوعات الجامعية (الجزائر - تونس - مطبعة الإتحاد العام التونسي ١٩٨٣م) .

١١١- محمد فؤاد كربرلي : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

١١٢- محمد الهادي الشريف : مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، تعريب : محمد الشاوش ، محمد عجينة ، طبع بمطبعة دار «سراس» للنشر - تونس مارس ١٩٨٠م .

١١٣- نيقولاي ايڤانوف : الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤م ، نقله إلى العربية : يوسف عطا الله ، راجعه وقدم له : مسعود ظاهر ، سلسلة تاريخ المشرق العربي الحديث ، الفارابي ، ١٩٨٨م .

١١٤- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري ، منشورات مؤسسة فيصل للتموين ، تركيا ، استانبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١١٥- ول دايريل ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران وعبد الحميد يونس وفؤاد أندرادس ومراجعة علي أدهم ، دار الجيل ، لبنان ، تونس ، الأجزاء ٥ ، ٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ .

سادساً : المعاجم اللغوية :

١١٦- إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد : المعجم الوسيط ، دار الفكر - جزآن .

١١٧- جبران مسعود : الرائد ، معجم لغوي عصري ، طبع بيروت ، ١٩٨١م ، جـ٢ .

١١٨- محمد الباشا : الكافي : معجم عربي حديث ١٩٩٢م شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

سابعاً : الدوريات والمجلات العلمية :

١١٩- أحمد السيد الدراج : جم سلطان والدبلوماسية الدولية ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثامن ، سنة ١٩٥٩م .

١٢٠- أحمد فؤاد متولي : البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية جامعة الإمام ، العدد الرابع ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

١٢١- خليل الساحلي : وثائق عن المغرب العثماني أثناء حرب مالطة ١٥٦٥م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد السابع والثامن ، ١٩٧٧ م .

١٢٢- رمزي تادرس ، وكيرس تادرس : أنباء الماضي والحاضر ، العمارات البحرية وتاريخها على ذكر زيارة الأساطيل الدولية لمصر ، مجلة رعمسيس ، الجزء الرابع ، يناير سنة ١٩١٤م ، السنة الثالثة .

١٢٣- عبد الجليل التميمي : تمسك الموريسكيين بدينهم وهويتهم من خلال قراءاتهم لأحاديث الرسول في مخطوطتين موريسكتين ، بحث ألقى في المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسكية - الجامعة التونسية ، المعهد الأعلى للتوثيق .

١٢٤- عبد الجليل التميمي : المجلة التاريخية المغربية ، الأعداد الثالث والسادس والعاشر والحادي عشر والثالث والعشرون ، والرابع والعشرون ، والتاسع والعشرون والثلاثون ، والواحد والثلاثون والاثنان والثلاثون .

١٢٥- عبد الرحمن محمد حميده : مقال (معركة ليبانتو) مجلة الجندي المسلم ، العدد ١٨/ ١٣٩٨هـ .

١٢٦- عمر علي بن اسماعيل : الظروف التي أدت إلى احتلال على الجزائري لمدينة طرابلس الغرب ١٧٩٣-١٧٩٥م ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي ١٩ . ٢٣ مارس ١٩٦٨م .

١٢٧- لوي كاردياك : بحث حياة المورسكيين الدينية عامل تماسك لطائفة كانت تشكل أقلية في أسبانيا في القرن السادس عشر للميلاد ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، العدد السابع ١٩٨٣-١٩٨٤م .

١٢٨- محمد فقيه : دين الموريسكيين الأندلسيين وهويتهم ومصادر وثائقهم ، من آثار المورنسكيين بالمغرب العربي ، تونس - ١٩ - ٢٤ - سبتمبر ١٩٨٣م ، الجامعة التونسية - المعهد الأعلى للتوثيق ، بحث ألقي في المؤتمر الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسكية .

129 - Consuelo Lopez - Morillas Department of Spanish and Portugues Indiana University Bloomington , in 47405 U.S . A Copistas y Escribanos Monicos .

(النساخ والكتبة الموريسكيون)

ثامناً : المراجع الأجنبية :

130 - A . J . Grant : Ahistory of Europe from 1494-1610 Methuen and Coltd . London .

131 - Fernand Braudel : The Mediterrane an and the Mediterranean world in the Age of Philip 11 . VoL . 11 .

132 - Halil Inalcik : The Ottoman Empire . The Classical Age 1300 - 1600 weidn feld and Nicolson . London .

133 - J . H . Elliott : Imperial Spain 1469 - 1716 . Edward Arnold . London 1981 .

134- Jhonlynch : Spain under the Habsburgs Basil Blachweel . OX - Ford .

135- M . A . Cook ahistory of the Ottoman Empireto 1730 Combridge University press. London . Newyork.

136- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europe . Thames and Hudson . London . 1968 .

137- Stanford Show : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey . Cambridge University Press , London New York . Melbourne .

138- Academic American Encyclopedia NewJesey . 1980 .

139 - Atlas Philip School .

الملاحق

[illegible]

Tamlilin cinsi	[illegible]	[illegible]
Numarası	17	

وثيقة من السلطان العثماني إلى أمير الجزائر يأمره بالتجهيز والتوجه لفتح قبرص

مهمة دفتري رقم (٩) صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤

جائزة فلتكن على بصيرة من الامر ولتظهر انواع اقدامك واصناف اهتمامك في سبي
الامور المتعلقة بالدين المبين ودولتي الابدية الكروانية ولا تتوانى في اعلامنا باحوا
واوضاع تلك الديار.

تعريب محمد داوود التميم

مهمة دفتري رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ بتاريخ ٢٣ شوال ٩٧٧ هـ (١٩ مارس ١٥٥٩ م) ٢٣ برهماد ١٢٨٥

اعطى الى خليل جاوش الجزائر في ١٠ ذي القعدة ٩٧٧ هـ

حكم الى علي باشا امير امراء جزائر الغرب.

وصل الى بابنا المعلا خطابك الذي علمنا من خلاله بأن الامان يعم ولايتك وان الرعايا والبرايا في احسن حال وعلى ما يرام وانك قمت بتعمير الاماكن الواجب ترميمها وان طائفة لرطران قد حشدت حشودها وقامت بالاغارة ونهب الاجزاء المجاورة لها من اسبانيا وتمكنت من ضم تلك الأجزاء وان الهلع قد حل بالكفار اصابهم الدمار منذ بدأ اهل الاسلام في الاندلس برفع هاماتهم وتمكنهم من صد هجماتهم والانتصار عليهم بارسال العتاد والرجال وعلمنا بان الاغارة على ولايات الكفار اصابهم الدمار غير منقطعة.

وقد عرض بالتفصيل على سرير دولتنا كل ما ذكرته واحاط علمي الشريف وشمل كل ذلك ولقد كان بنيتي ارسال اطولي الهمايوني لتلك الاطراف ولاعانة ومظاهرة اهل الاسلام لكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة نقضوا العهد وبدأوا بالتعدي على التجار واهل الاسلام والمسافرين بحرا قصادين طواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق سبحنه وتعالى والتوسل والاستناد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه وكذلك بالاستمدادات بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم (وسلامه) اجمعين، فقد استقرت نيتي الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المزبورة في الربيع الاخر القادم ونتضرع الى عتبة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وان نبسط ايدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها شعائر الشرع الشريف وحتى يأمن الزوار والتجار ويسلمون في غدوهم ورواحهم وينصرفون للدعاء بدوام وثبات ومجد ورفعة الدولة.

وبما اوتيت من قوة أسواء كان ذلك بارسال الجند او بارسال العتاد أمرت: عليك بالتنفيذ بما جا في هذا الحكم حال وصوله وان تعاون وتظاهر اهل الاسلام المذكورين بكل ما يتيسر تقديمه لهم وان الغفلة عن الكفار اصابهم الدمار غير

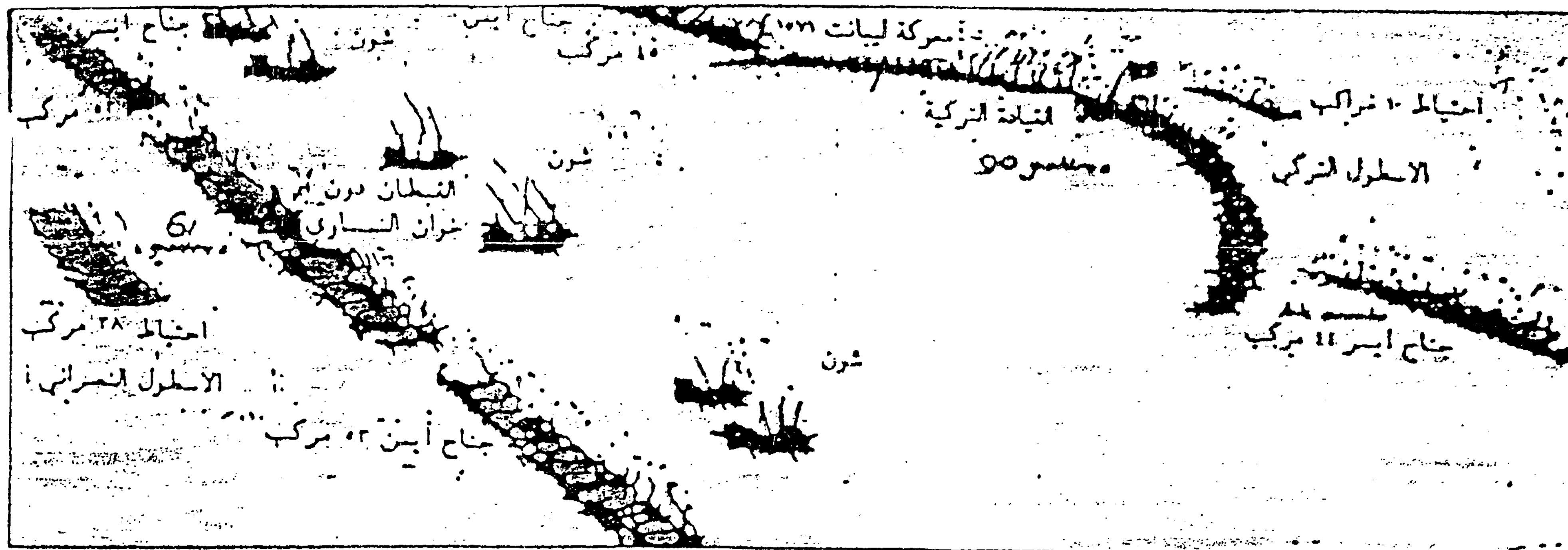
ذكر القبودانات

تاريخ الصدارة — مدة المنصب

٨٥٩	٢	[illegible] بك	
٨٦٣	١٠	خادم [illegible]	
٨٢٢	٨	محمود باشا	
٨٨٠	٤	كدك احمد باشا	
٨٨٤	١٣	[illegible] احمد باشا	
٨٩٦	١	كوكوستان باشا	
٨٤٨	١٤	داود باشا	
٩١٢	٥	هرسك زاده احمد باشا	
٩١٧	٩	جعفر بك	
٩٢٦	١٤	بيلاق مصطفى باشا	
٩٤٠	١	[illegible] احمد بك	
٩٤١	٢	خير الدين باشا	
٩٥٠	٦	[illegible] محمد باشا	بوسنوي الاصل
٩٥٦	٤	سنان باشا	خرواتي الاصل
٩٦١	١١	بياله باشا	خرواتي الاصل
٩٧٥	١	[illegible] علي باشا	
٩٧٩	١٦	قليج علي باشا	
٩٩٥	١	ابراهيم باشا	بوسنوي الاصل

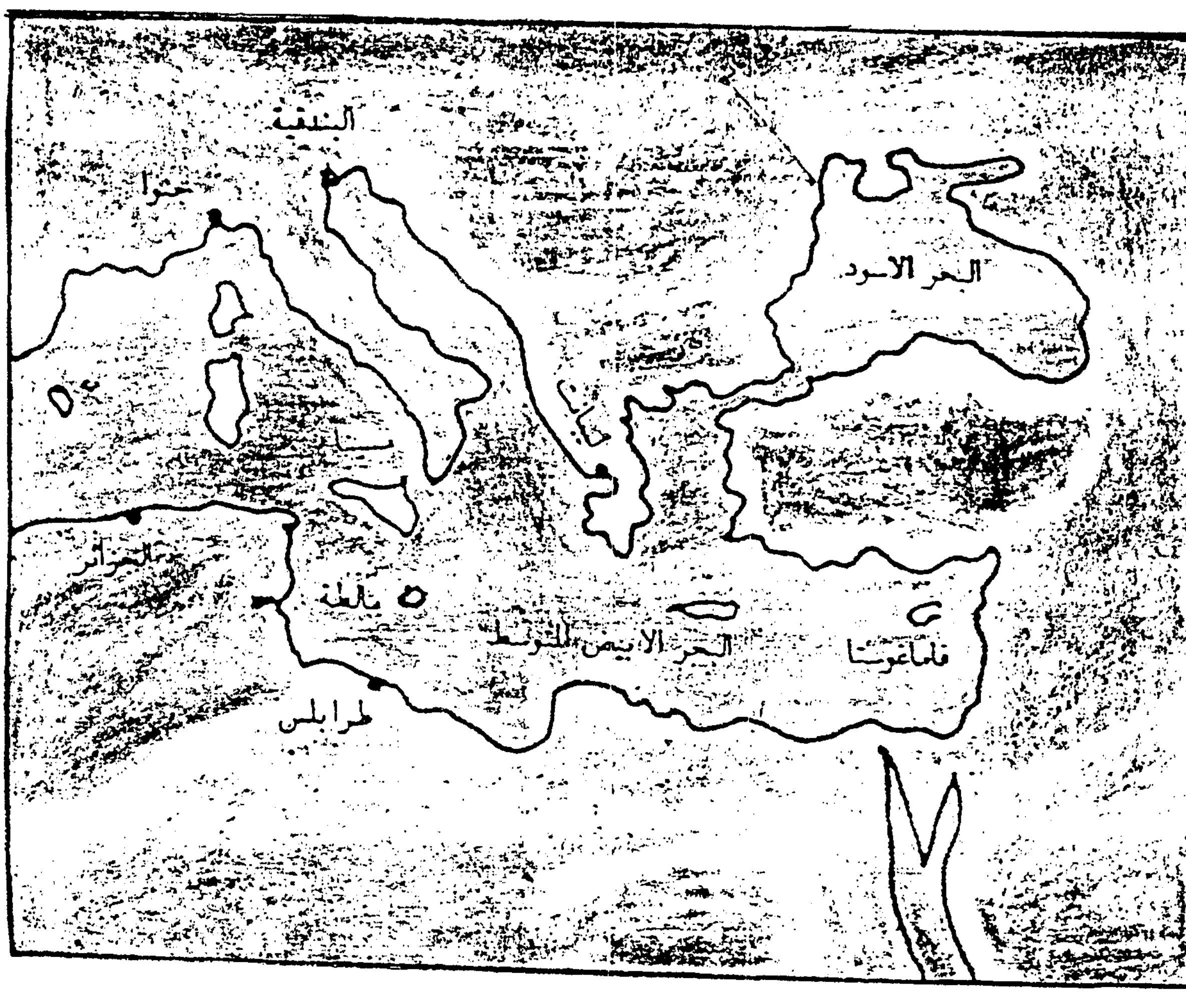
القبودانات البحرين وتواريخ توليهم لمناصبهم

* أحمد عرابي : مخطوط تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات محفوظ بمكتبة سوهاج تحت رقم [illegible]
وتوجد نسخة مصورة في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى . ق ٢٥



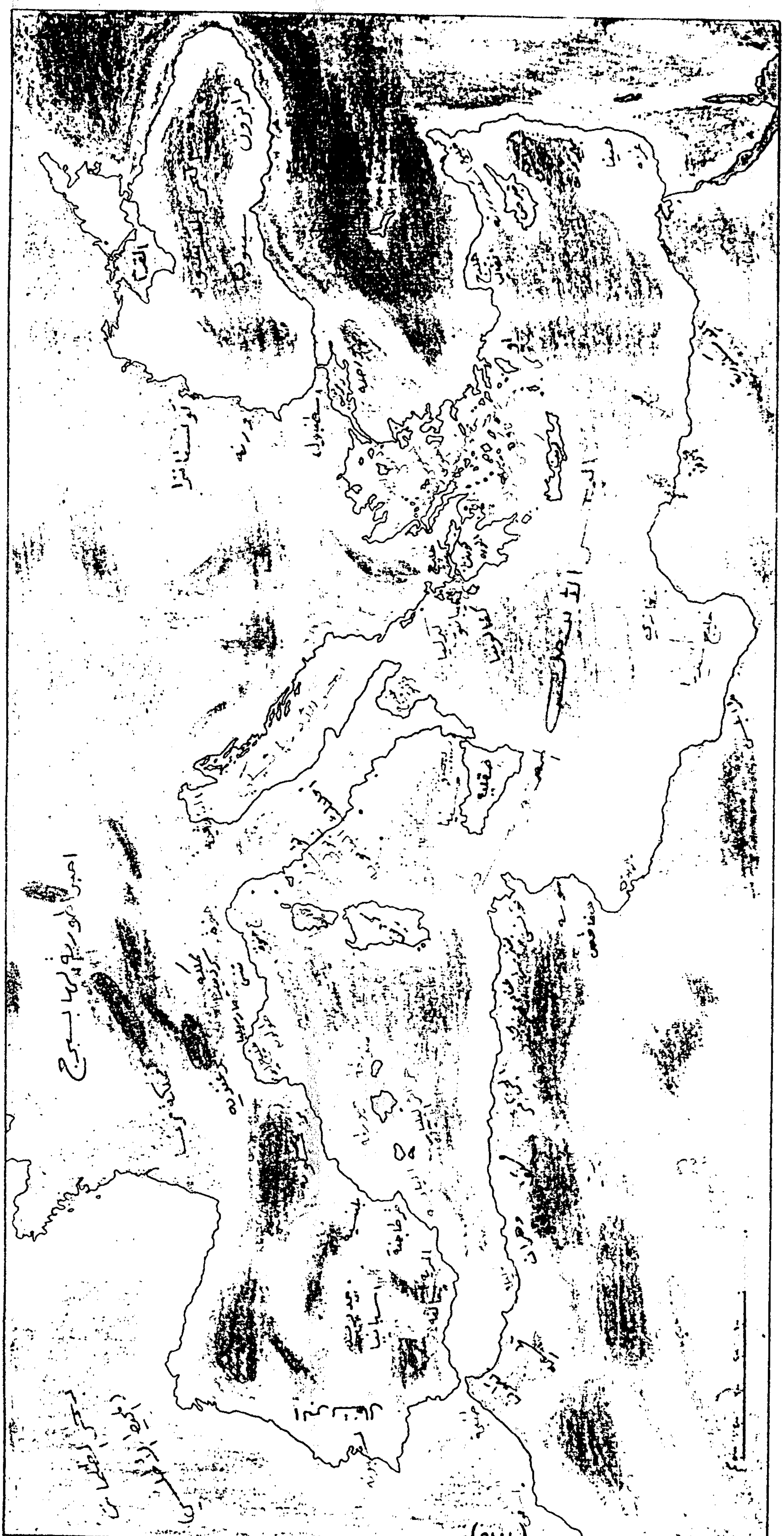
مخطط معركة ليبانتو

روبير شوسوا : المعارك الكبرى في التاريخ ، ص ٥٧

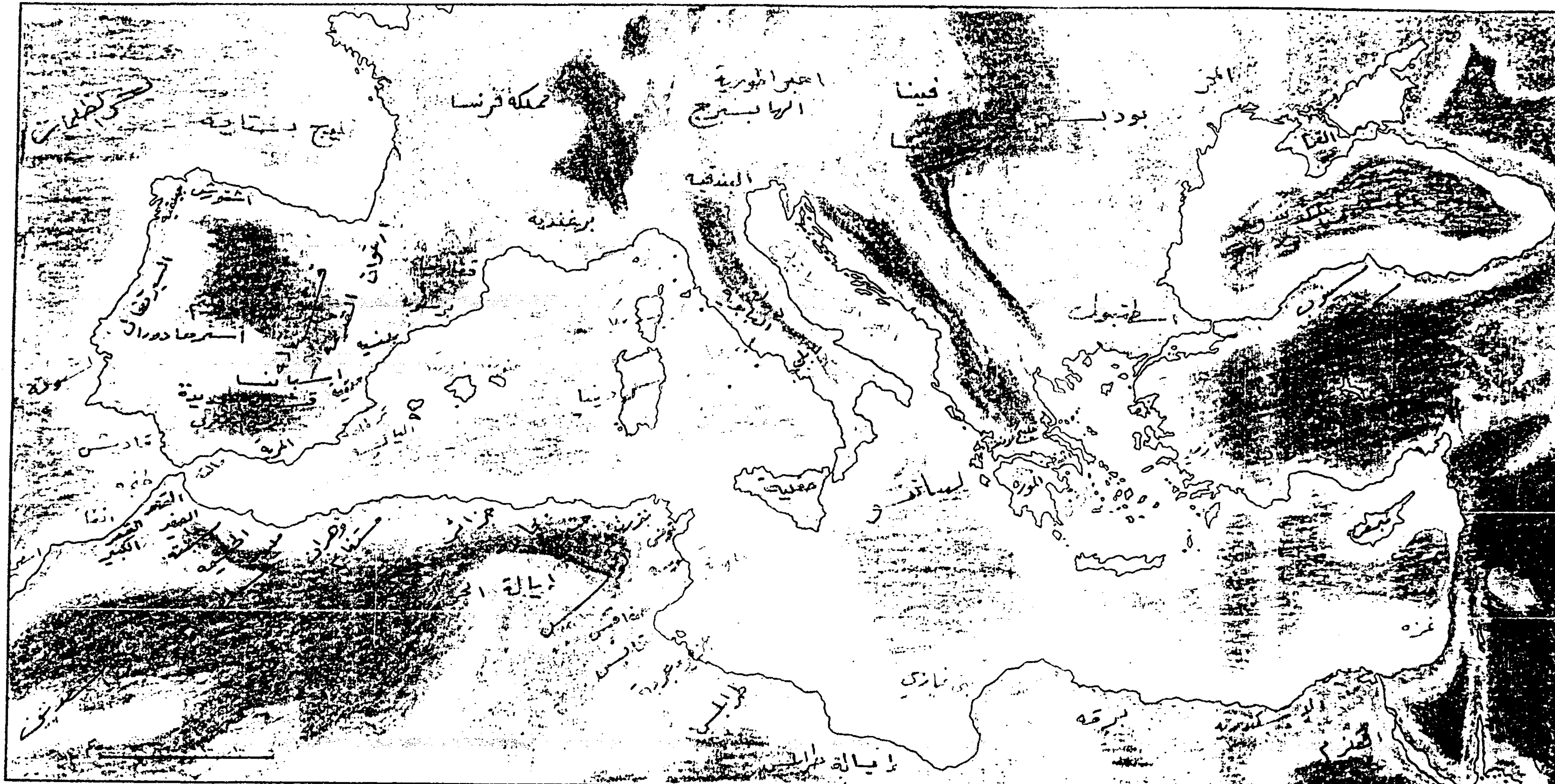


خريطة توضح خليج ليبانتو الذي دارت فيه المعركة

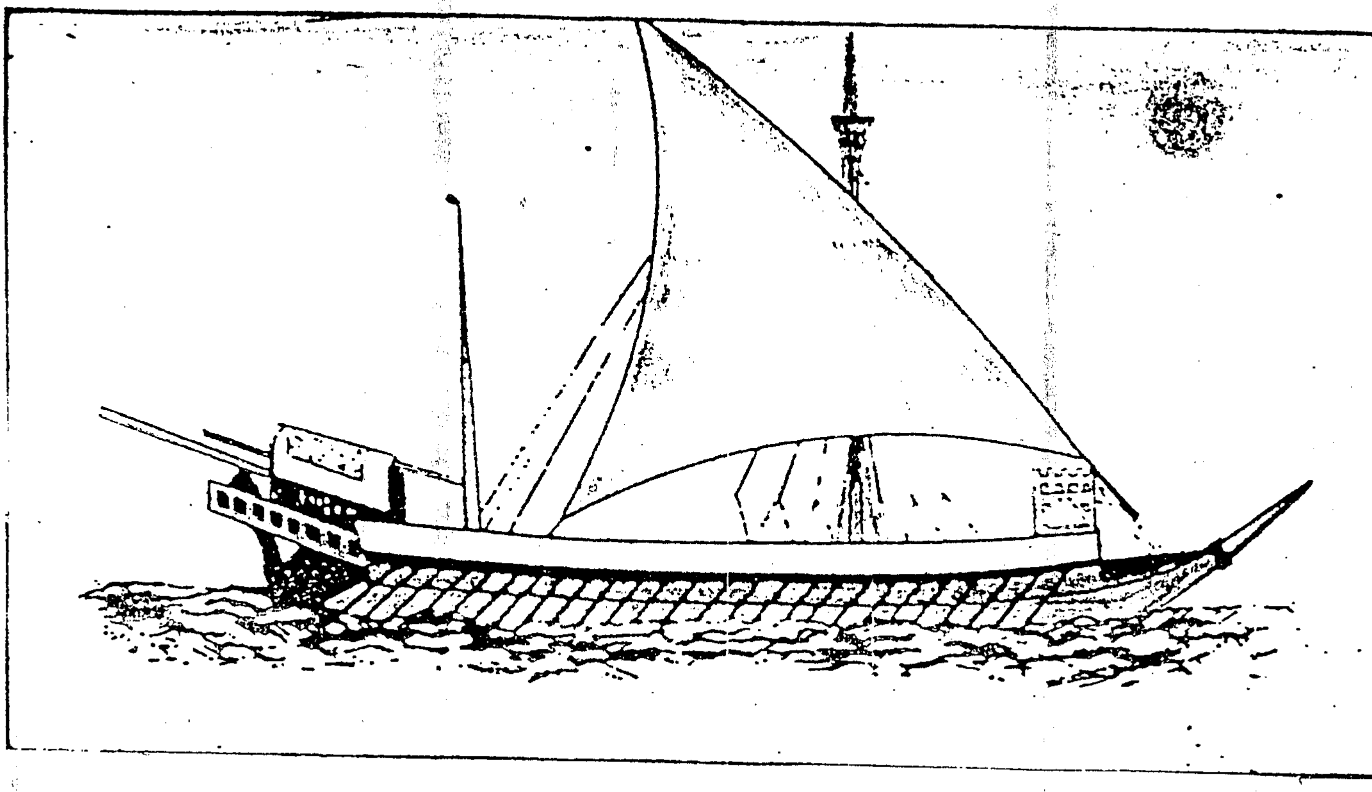
* روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى في التاريخ ، ص ٥٨



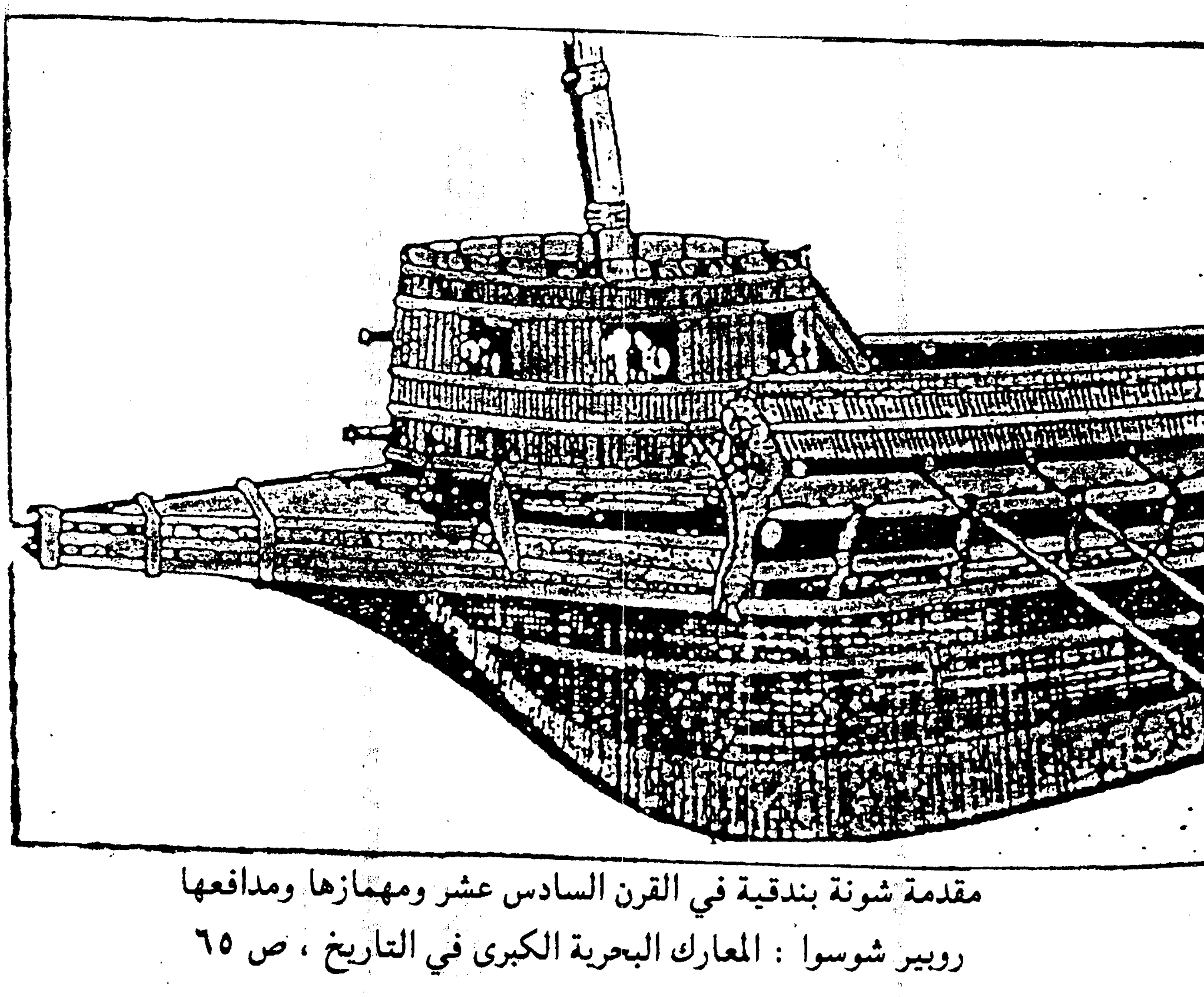
البحر الأبيض المتوسط



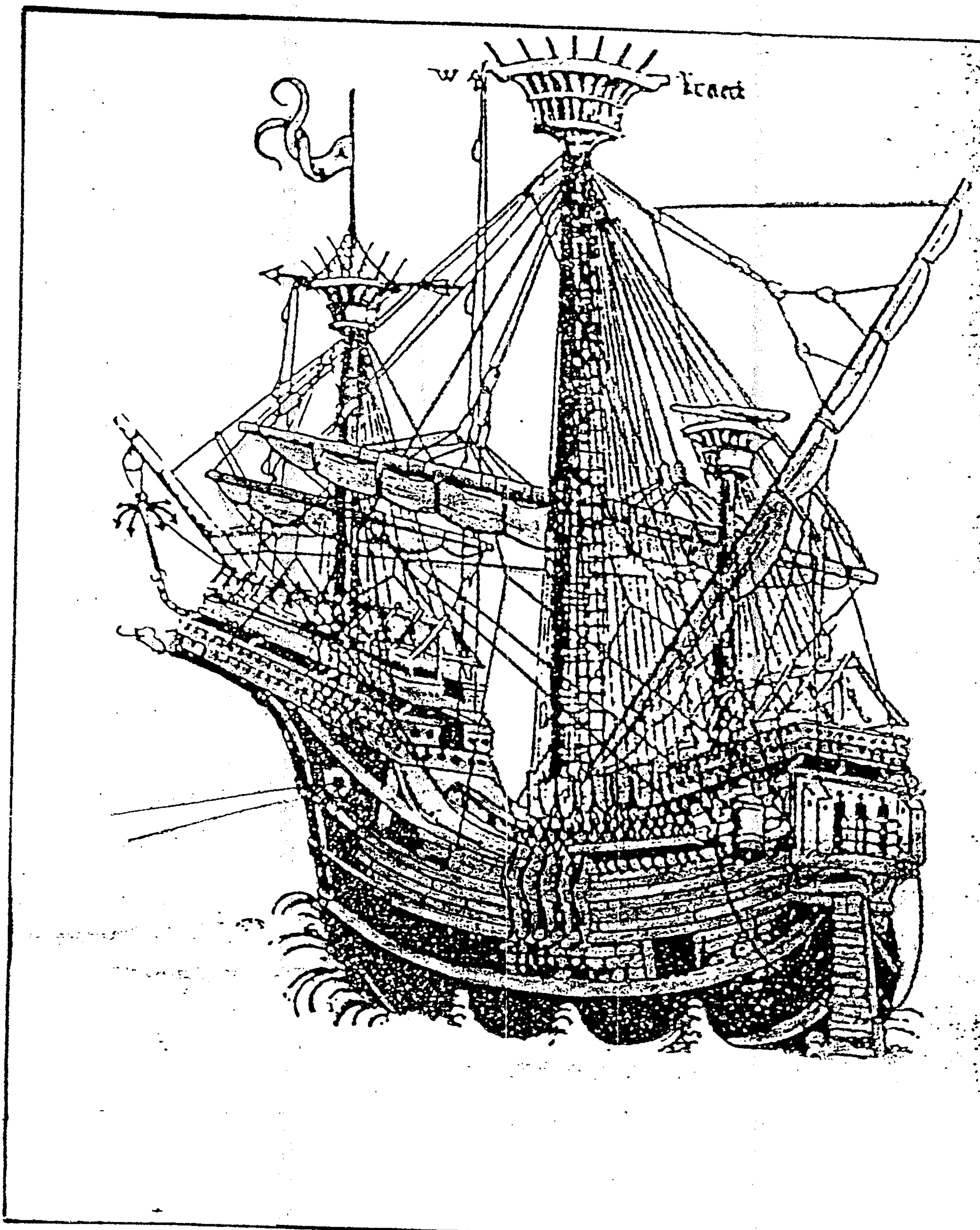
الإيـالات العثمانيــة فـي الشمــال الإفريقــي



طراز المركب التركي الذي اشترك في معركة ليبانتو
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى في التاريخ ، ص ٦٠

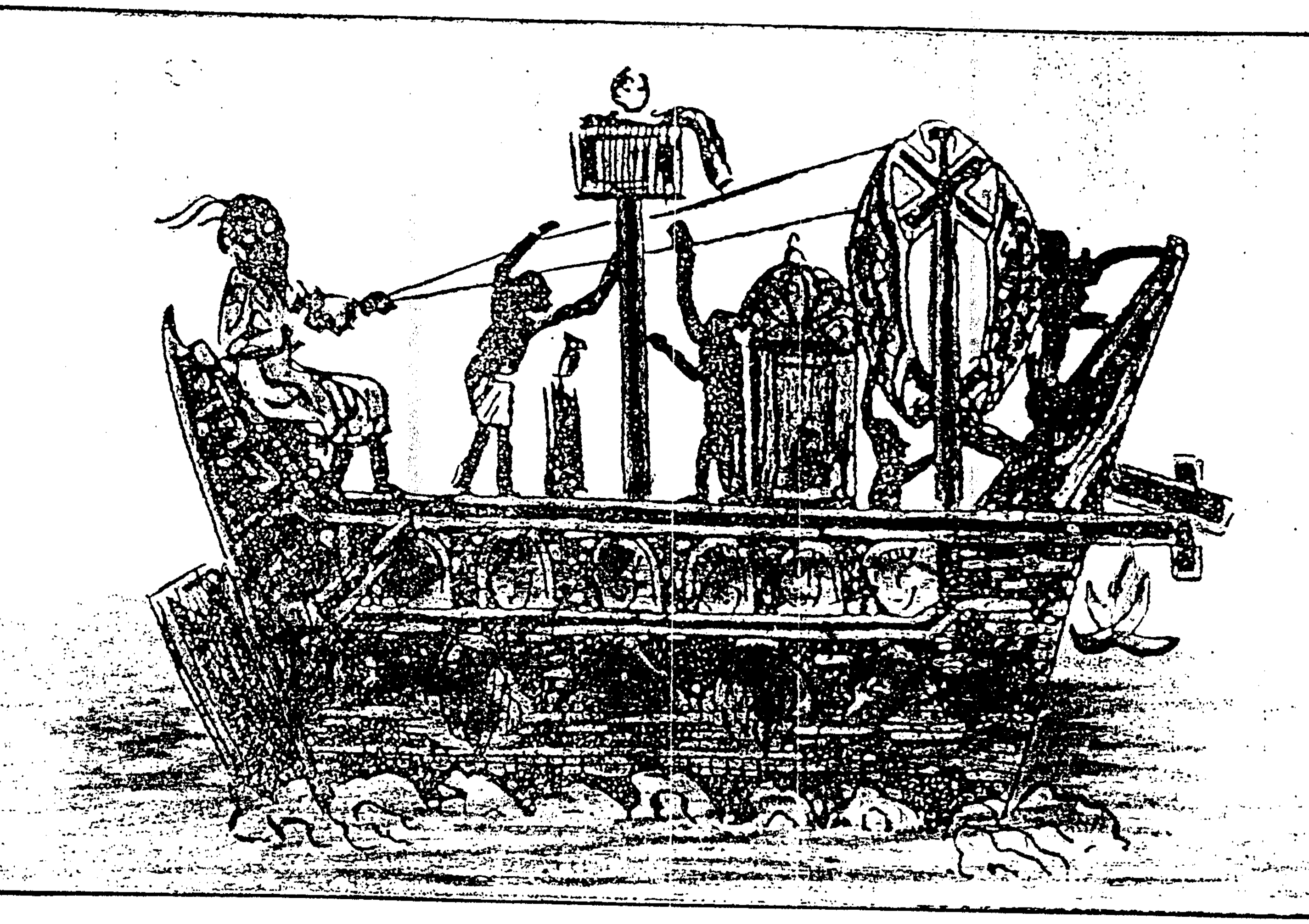


مقدمة شونة بندقية في القرن السادس عشر ومهمازها ومدافعها
روبير شوسوا : المعارك البحرية الكبرى في التاريخ ، ص ٦٥

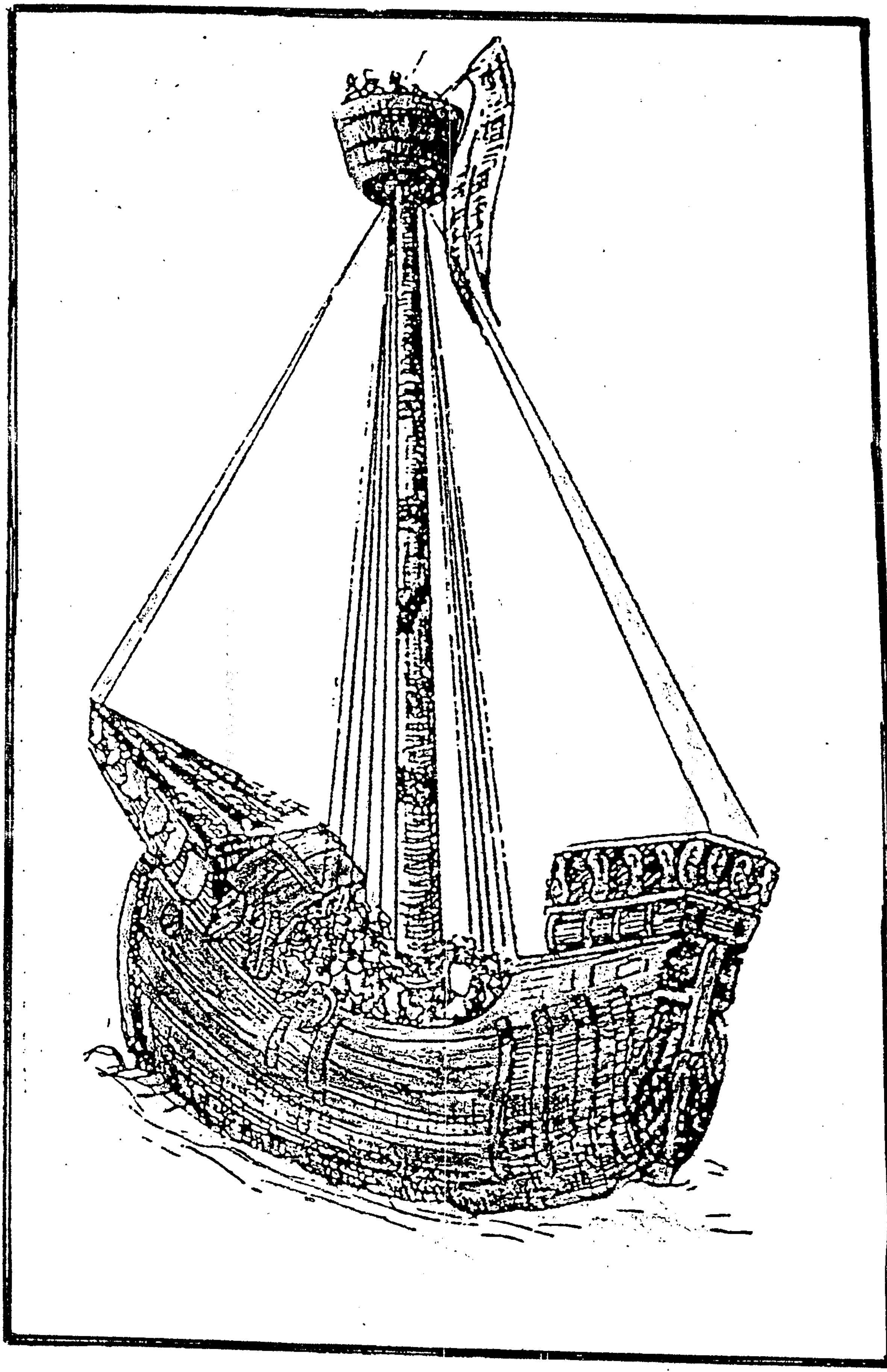


سفينة حربية يطلق عليها الحراقة

سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٤٦٣

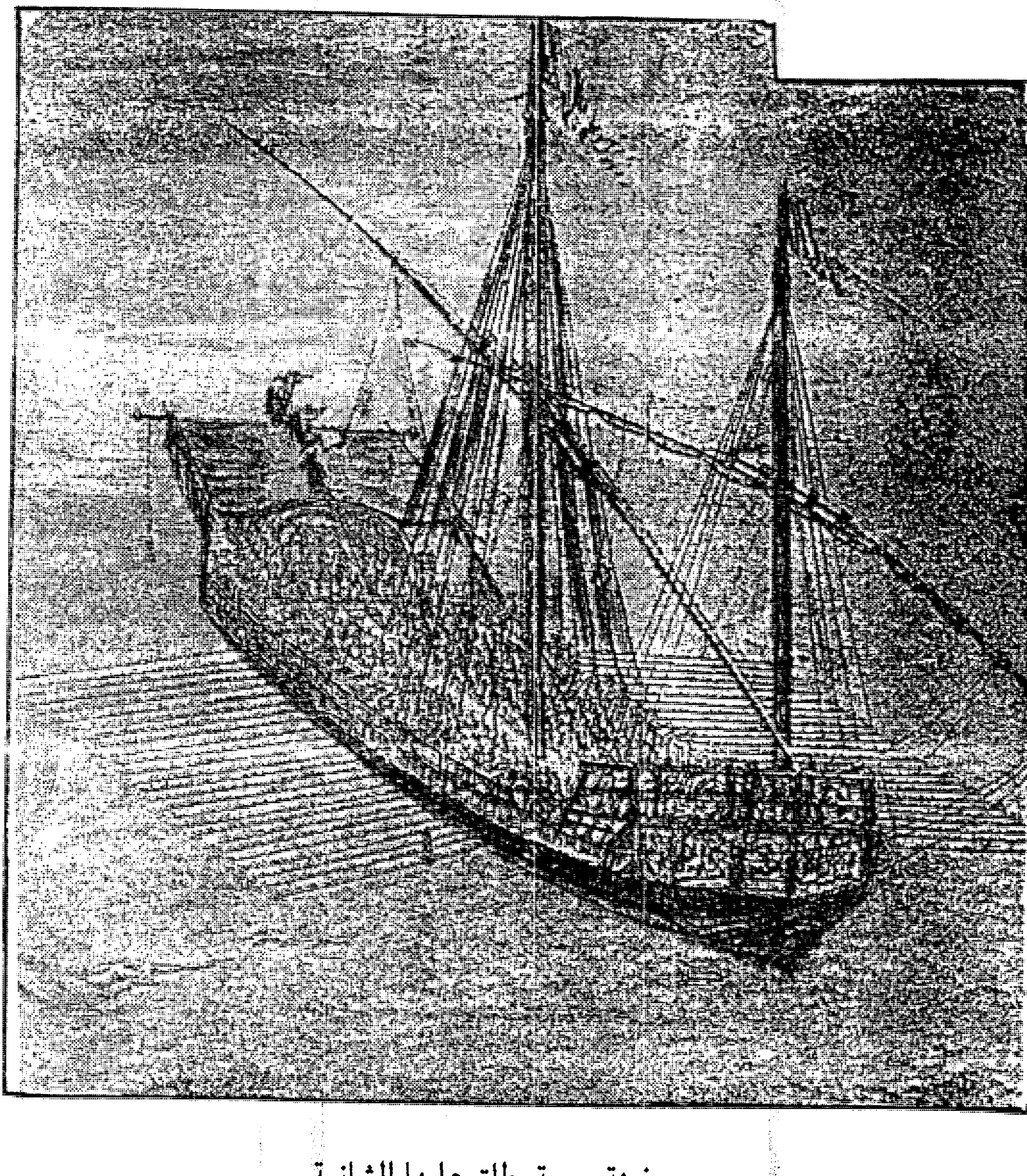


سفينة حربية يطلق عليها الحراقة
سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٤٧١

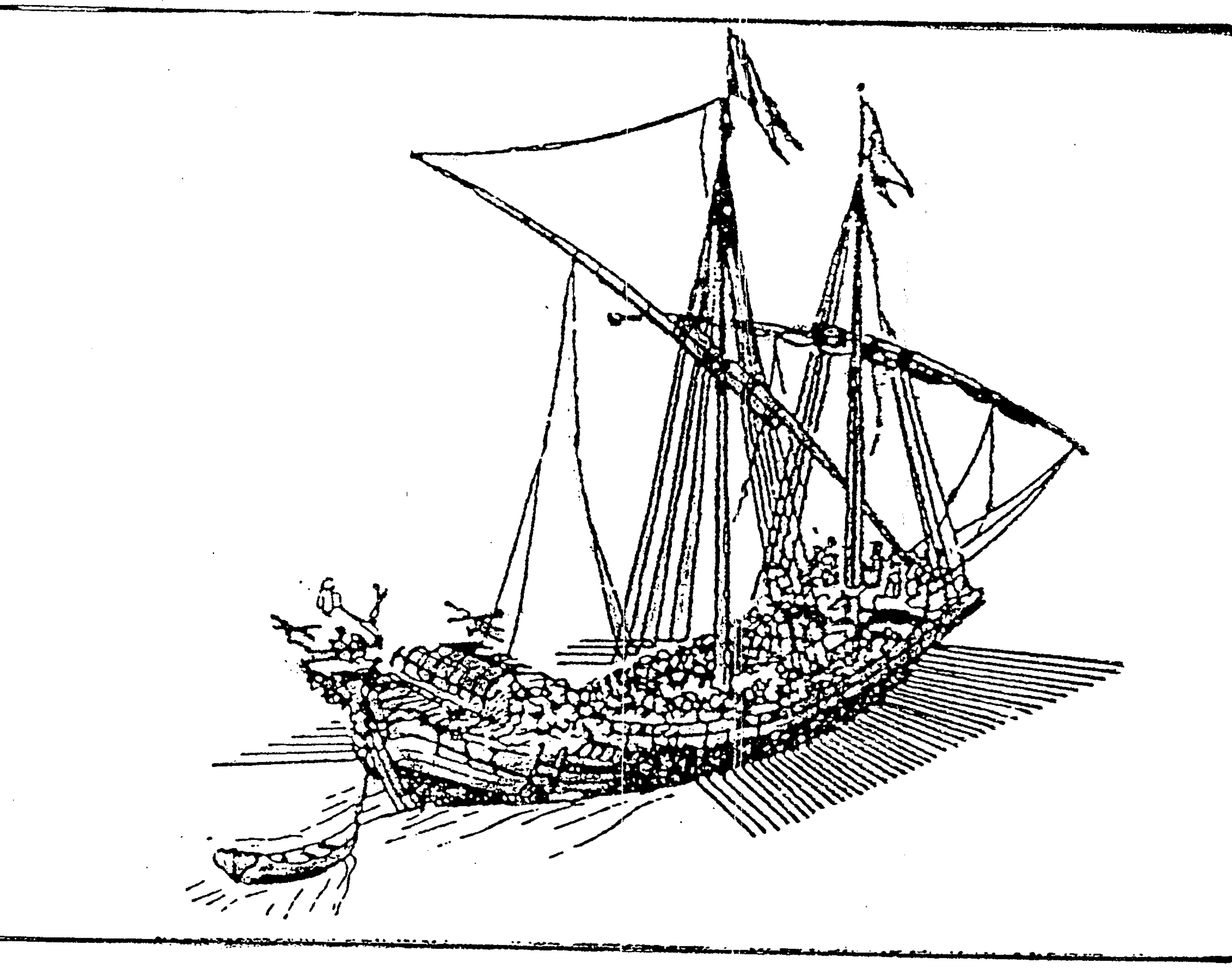


سفينة حربية يطلق عليها الحراقة

سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٤٧٢



سفينة حربية يطلق عليها الشانية
محمد ياسين الحموي : تاريخ الأسطول العربي ، ص ٣٣



سفينة حربية يطلق عليها الشانية
سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٤٧١



سفينة حربية يطلق عليها الغليون Oalleg
سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٤٦٧

الفهرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس